

ارنست همنفراي

عبر النهر وحوال الشجار

مقلها الى العربية
منير البعلبكي



دار العلم للملايين
بيروت

ACROSS THE RIVER
AND
INTO THE TREES
BY : ERNEST HEMINGWAY

دار العام للملايين

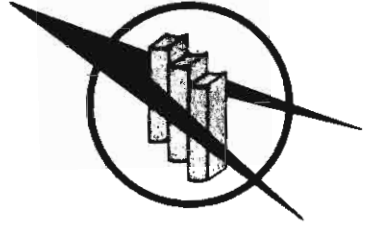
مؤسسة هتافية للتأليف والتشجيع والنشر

شارع مسار الياسمين - خلف مكتبة المتلو

مرب ١٠٨٥ - تلغراف : ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩

رقمها : ملايين - تلغراف : ٢٣١٦٦ ملايين

بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢

أرسلت لمنفراي

عبر الزهر ونحو اللؤلؤ...

نقلها إلى العربية

منير البعلبكي

دار العلم للملايين

بيروت

لقد انطلقا قبل ساعتين من انبلاج الفجر ، وفي بادىء الأمر لم يكن من الضروري ان يُكسّر الجليد عبر القنال ، باعتبار ان زوارق اخرى كانت قد تقدمتها . وفي كل زورق كان السواري^١ واقفاً ، وسط الدجئة ، عند مؤخر المركب وفي يده مجدافه الطويل ، فليس في ميسورك أن تراه : كان في وسعك ان تسمعه ليس غير . أما القنّاص فجلس على كرسيّ قنصٍ خفيضٍ مثبتّ فوق صندوق اشتمل على طعامه وخراطيشه ، وكانت بندقيتا القنّاص ، او بنادقه مُسنّدة^٢ ، الى حمل الطيور الخشبية الخادعة . وفي مكان ما من كل زورق كان عدلٌ يشتمل على بطة برية حيّة أو بطتين بريتين حيتين ، أو على بطة انثى وبطة ذكر . وفي كل زورق كان كلب يتنقل ويرتهب في قلقى كلما سمع تصفيق اجنحة البط الذي كان يمرّ فوق رؤوس القوم في الدجئة .

كانت أربعة زوارق قد صعّدت في القنال الرئيسية نحو اللاغون^٣ الكبير الذي في الشمال . وكان زورق خامس قد انهطف قبيل ذلك نحو قنالٍ جانبية . واستدار الزورق السادس ، الآن ، الى لاغونٍ ضحل ، ولم يكن ثمة مياه محطمة .

١ - نسبة الى سارية السفينة .

٢ - اللاغون ، Lagoon ، المستنقع او البحيرة الضحلة وخاصة ما اتصل منها بالبحر او بالنهر أو كان قريباً منها .

كان كل شيء جليداً ... جليداً انجمد منذ قريب ، خلال زهرير الليل المفاجيء المتفر الى الرياح . كان مطاطياً ، وكان ينحني مع طعنات مجذاف المراكبي . ثم انه كان من دأبه أن ينكسر بمثل حدة انكسار لوح من زجاج ، ولكن الزورق لم يحرز غير تقدم ضئيل .

— « أعطني مجذافاً ! » ، كذلك قال القناص الذي في الزورق السادس . لقد انتصب واقفاً وثبتت قدميه موازناً نفسه في حذر . كان في ميسوره أن يسمع البط ينطلق في الظلام ، ويستشعر ترتج الكلب القليق . والى الشمال سمع صوت تحطم الثلج مقبلاً من الزوارق الاخرى . وقال السواريّ القناص عند مؤخر المركب : « احترس ! لا تقلب الزورق رأساً على عقب . »

فقال القناص : « أنا ملاح ، ايضاً . »

وتناول المجداف الطويل الذي قدّمه المراكبيّ اليه وعكّسه بحيث يستطيع الامساك به من نصّله . حتى اذا قشّرت بالنصل ، مال الى أمام وغرز مقبض المجداف في الجليد . لقد استشعر قعر اللاغون الضحل الثابت ، وألقى بثقله فوق اعلى النصل المريض وامسك به بكلتا يديه ، جاذباً باديء الأمر ، ثم دافعاً بعد ذلك ، حتى انكفاً سناد السارية الى المؤخرة ، وراح يسوق الزورق قدماً لكي يحطم الجليد . وانكسر الجليد مثل رقاقات من البلور فيما كان الزورق يشق طريقه وسطه ، ويتقدم نحوه . وعند المؤخرة ، دفع المراكبيّ تلك الرقاقات الى أمام نحو الهجاز المانع .

وبعد هنيهة التفت القناص ، الذي كان يبذل جهداً قاسياً موصولاً ويتصبب عرقاً في ثيابه الثقيلة ، الى المراكبيّ وسأله : « اين برميل القناصة ؟ »

— « هناك ، الى اليسار . في وسط الخليج التالي . »

— « أبتعن علي ان اتجه نحوه الآن ؟ »

- « كما تشاء . »

- « ماذا تعني بقولك : كما أشاء ؟ أنت تعرف المياه . هل ثمة ماء
لحللنا الى هناك ؟ »

- « المدّ منخفض . من يدري ؟ »

- « سوف ينبثق الفجر قبل ان نصل الى هناك إن لم نسرع . »
ولم يجب المراكبيّ بشيء .

- « حسناً ، أيها الرجل التافه الفظّ ، كذلك قال القناص في ذات
نفسه . إننا في سبيلنا الى هناك . لقد قطعنا ثلثي الطريق الآن ،
وإذا سكنت قلق البال حول اضطرارك الى العمل لسكي تحطم الجليد
لتعثر على الطيور ، فذلك مؤسف الى حد بعيد . »
وقال بالانكليزية : « انتقم لنفسك من هذا الوضع ، أيها الرجل
التافه ! »

فسأله المراكبيّ بالايطالية : « ماذا ؟ »

- « لقد قلت فلنمض . سوف تبرزغ الشمس عما قريب . »

وانبلج الصباح قبل ان يبلغا البرميل الكبير ذا الاضلاع السنديانية
الغارق في قعر اللاغون . كان مطوقاً بحاشية منحدره من الارض يكسوها
العشب ونبسات الخلفاء ، فصعد القناص نحوها متأرجحاً في حذر ،
مستشعراً ان الأعشاب المنجمدة كانت تتكسّر تحت قدميه . ورفع
المراكبيّ كرسي القنص الحقيظ المشدود الى صندوق الخراطيش من الزورق
وقدمها الى القناص ، الذي انحنى الى أمام ووضعها في قعر البرميل
الكبير .

وتسلق القناص البرميل ودخل فيه ، وكان يرتدي حذاءه الطويل
الساق المرتفع حتى الوركين وسترة عسكرية قديمة على كتفها الأيسر
كثافة لم يفهمها احد ، مع مواضع ضئيلة خفيفة حيث كانت من قبل
مجوم ثم تزعجت . وناوله المراكبيّ بندقيته .

وأسند البندقيتين الى جدار البرميل ، وعلّق كيس خراطيشه الآخر
بينهما ، مدلياً اياه على كلاً من مُبَدَّتَيْنِ مُثَبَّتَيْنِ في جدار البرميل الغائر . ثم
إنه أمال البندقيتين الى جانبي كيس الخراطيش .

وسأل المراكبي : « ألدَيْك ماء ؟ »

فقال المراكبي : « لا ماء . »

— « هل نستطيع ان نشرب ماء اللاغون ؟ »

— « لا . انه غير صحي . »

كان القناص ظمآن من أثر التعب الذي اورثه اياه تحطيم الجليد
وقيادة الزورق . وأحسّ بالقضب يتملكه ، ولكنه كبج جماعه وقال :
— « هل استطيع ان اساعدك في الزورق على تحطيم الجليد لاطلاق

الطيور الخشبية الخادعة ؟ »

فقال المراكبي : « لا ، » ودفع الزورق في وحشية مخرجاً اياه الى

طبقة الجليد الرقيقة التي انفلتت وانشقت فيما كان الزورق يصعد نحوها .
وشرع المراكبي يهشم الجليد بنصل مجذافه ، ثم راح يلقي بالطيور الخشبية
الخادعة خلفه والى جانبه .

إن مزاجه اليوم رائق ... كذلك قال القناص في ذات نفسه . وهو
يهيمة كبيرة ، ايضاً . لقد عملتُ انا مثل فرس حتى انتهيت الى هنا .
أما هو فاكتمى بدفع ثقله ولم يزد . ما الذي يغيظه ، بحق الشيطان ؟
ان هذه هي مهنته ، أليست هي مهنته ؟

وسوّى كرسي القنص الخفيض بحيث ينعم بأقصى القدرة على التمايل
ذات اليمين وذات الشمال ، وفتح صندوق خراطيش ، وملاً جيوبه ،
وفتح صندوق خراطيش آخر في كيس الخراطيش بحيث يستطيع أن
يتناوله في يسر . وقبالتّه ، حيث انبسط اللاغون المتلألئ تحت أشعة
الفجر الاولى ، كان الزورق الاسود وكان المراكبي الفارع الطول الضخم
الجثة يهشم الجليد بمجذافه ويلقي بالطيور الخشبية الخادعة الى عرض الماء

وكانه يتخلص من شيء قدر .

كانت خيوط الفجر قد غدت الآن اكثر اشراقاً ، ولقد اصبح في ميسور القناص ان يرى الحدود الحفيضة للنقطة القريبة عبر اللاغون . وكان يعلم أن وراء تلك النقطة مركزي قنص آخرين ، وأبعد الى الراء كانت مستنقعات اضافية ، يليها البحر الطلق . وشحناً بندقيته ، وتحركى موقع الزورق الذي كان يقذف بالطيور الخشبية الحادعة .

ومن خلفه ، سمع همس أجنحة وافدة ، فجثم ، وتناول بندقيته اليمنى بيده اليمنى رافعاً بصره من تحت حافة البرميل ، ثم نهض ليطلق النار على البطتين اللتين كانتا تسفان ، وقد كُبيحت اجنحتها ، هابطتين على نحو داكن في السماء الرمادية المعتمة ، منحرفتين نحو الطيور الخشبية الحادعة .

وخفض رأسه ، وحرفَ البندقية في منحني طويل الى ما وراء البطة الثانية بكثير . ثم انه رفع البندقية في رفق ، من غير ان يتحقق من نتيجة طلقاته - رفعها عالياً الى يسار البطة الاخرى التي كانت تحلق الى اليسار ؛ وفيما كان يطلق النار رآها تطوي جناحها وهي آخذة في الطيران وتسقط بين الطيور الخشبية الحادعة فوق الجليد المهتم . والتفت الى اليمين فرأى البطة الاولى رقعة سوداء على الجليد نفسه . لقد عرف أنه اطلق النار في عناية على البطة الاولى بعيداً الى يمين الزورق ، وعلى البطة الثانية عالياً جداً والى اليسار ، تاركاً البطة تحلق منحرفة الى اليسار لكي يستيقن من ان الزورق كان بعيداً عن خط النار . كانت اصابة مزدوجة رائعة ، حققها كما ينبغي له ان يحققها على وجه الضبط ، مع المراعاة والاحترام التامين لموقع الزورق . واستشعر ارتياحاً بالغاً فيما كان يعيد شحن البندقية .

وقال الرجل الذي في الزورق بصوت عال : « إسمع ! لا تطلق النار في اتجاه الزورق ! »

سوف اكون ابن عاهرة فاشلاً ، كذلك قال القناص في ذات نفسه .
سوف اكون من غير ريب .

وقال بصوت عال مخاطباً الرجل الذي في الزورق : « ألقى طيورك
الحشبية الخادعة في الماء . ولكن ألقها بسرعة . انا لن اطلق النار حتى
تلقيا كلها . إلا فوق سمت الرأس مباشرة . »

ولم يقل الرجل الذي في الزورق اي شيء يمكن ان يُسمع .
انا لا استطيع ان اتصور هذا ، كذلك قال القناص في ذات نفسه .
إنه يعرف اللعبة . ويعرف اني قسمتُ العمل ، واكثر ، عند انطلاقنا .
وانا لم اطلق النار في حياتي على اي بطة اطلاقاً أسلم وأحفل بالعناية
والاحتراس مما فعلت اليوم . فما باله ؟ لقد ابديت استمدادي لمعاونته
في تحطيم الجليد وإلقاء الطيور الحشبية الخادعة الى الماء فليذهب الى
الجحيم ! »

وهناك ، الى ناحية اليمين الآن ، كان المراكبي لا يزال يهشم الجليد
مغضباً ، ويلقي بالطيور الحشبية الخادعة بروح ترشح ببغضاء تجملت في
كل حركة من حركاته .

لا تدعه يُفسد عليك يومك ، كذلك قال القناص مخاطباً نفسه .
فلن يكون قنص كثير بحكم هذا الجليد ، اللهم الا إذا أذابته الشمس في
ما بعد . ولعلك لن تفوز بعدُ بغير طرائد معدودات ، فلا تدعه يفسد
عليك قنصك . انك لا تدري كم مرة سوف يقدرُ لك أن تصطاد البط
منذ اليوم ، فلا تدع اي شيء يفسد ذلك عليك .

وراقب السماء وهي تنبرق وراء نخوم المستنقع الطويلة ، ثم استدار
في البرميل الغائر وسرّح بصره عبر اللاغون المنجمد وعبر الارض السبخة ،
فرأى الجبال المكلفة بالثلوج على مسافة قصية ، واذا كان في وضع
خفيض فأن بصره لم يقع على اي سفح من سفوح الهضاب ، ونهضت
الجبال على نحو مفاجيء من سطح السهل . وفيما هو يرنو الى الجبال ،

كان في ميسوره ان يستشعر نسيماً يداعب وجهه ، فعرف آنذاك ان
الريح سوف تُقبل من هناك ، ناهضةً مع بزوغ الشمس ، وأن بعض
الطيور لا بد أن تُفدّ من ناحية البحر عندما تزعجها الريح .
وكان المراكبي قد فرغ من اطرّاح الطيور الخشبية الخادعة ، وكانت
تشكّل عنقودين اثنين ، احدهما قدام القناص والى يساره نحو الموضع
الذي ستشرق منه الشمس ، والآخر الى يمينه . عندئذ دلّى انثى البط
البري مع وترها ومرساتها ، فلم يكن من بطة القنص إلا أن نترت
رأسها تحت الماء ، ثم رفعت رأسها وغطّسته ، ونضجت ظهرها بالماء .
وصاح القناص مخاطباً المراكبيّ : « ألا تعتقد ان من المستحسن ان
نكسر مقداراً اضافياً من الجليد حول الحافسات ؟ ليس ثمة ماء كاف
لاجتدائها . »

ولم يقل المراكبي شيئاً ، ولكنه شرع بهشم اطراف الجليد المنتمة
بمخدافه . وكان تهشم الجليد هذا غير ضروري ، ولقد عرف المراكبي
ذلك . ولكن القناص لم يعرفه وقال في ذات نفسه : انا لا افهم هذا
الرجل ، ولكن عليّ ان لا ادعه يفسد عليّ هذه الفرصة . ان من
واجبي أن اصونها من العبث ، وأن لا أدعه يُقدم على ذلك . فكل
عيار ناري أطلقه الآن قد يكون آخر عيار مقدّر لي ان اطلقه ،
وليس يجوز ان يُسمح لأي ابن عاهرة ان يفسد عليّ فرصتي هذه . ثم
خاطب نفسه قائلاً : « اكبح جماح غضبك ، ايها الغلام ! »

ولكنه لم يكن غلاماً . لقد كان في الخمسين من عمره ، وكولونيل مشاة في جيش الولايات المتحدة . ولكي يمتاز فحصاً طبياً كان قد تعين عليه أن يخضع له في اليوم السابق لمضيه الى البندقية (فينيسيا) لقنص البط ، عمد الى ازدراد مقدار كاف من المنيترول هيكسانيترايت ابتغاء ... - حسناً انه لم يكن يعرف لماذا على وجه الضبط - ابتغاء النجاح ، كذلك قال في ذات نفسه .

وكان الطبيب كثير الشكوك . ولكنه دوّن نتيجة فحص القلب على الجهاز المسجل لحَفَقَاتِهِ ، بعد أن اجراه مرتين اثنتين .

وقال : «أتدري ، يا «دك» . ان التسجيل لا يشير الى أية علة في القلب . إنه على العكس ينفي وجود العلة بما ينطق به من ارتفاع في الضغط الناشب في البصر والضغط الناشب في طاسة الرأس .»

- «لست افهم هذا الذي تتحدث عنه ،» كذلك قال القنّاص الذي لم يكن قنّاصاً ، آنذاك ، إلا باعتبار ما سيكون ، والذي كان كولونيل مشاة في الجيش الاميركي ، أنزل من رتبته كجنرال .

وقال له الطبيب : «لقد عرفتك منذ عهد بعيد ، ايها الكولونيل .

او لعل معرفتي اياك تبدو وكأنها ترقى الى عهد بعيد .»

فقال الكولونيل : «أجل إنها ترقى الى عهد بعيد .»

فقال الطبيب : «نحن نبدو مثل ناظمي الاغاني . ولكن حذار ان

تدع نفسك تتأثر بأي شيء ، أو ان تدع أيما شرارة تصيبك ، حين تذكى نشاطك اذكاه شديداً بالنيتروغليسرين^١ . فلا بد ان يجعلك ذلك تجرّ سلسلة حديدية مثل شاحنة تسير ببنزبن مغالى في تكريره .

فسأله الكولونيل : « ألم تكن نتيجة تخطيط قلبي حسنة ؟ »

– « لقد كانت نتيجة التخطيط رائعة ، أيها الكولونيل . وفي استطاعتي ان اقول انها تشبه نتيجة تخطيط القلب عند رجل في الخامسة والعشرين بل تشبه نتيجة تخطيط قلب غلام في التاسعة عشرة . »

والواقع ان ذلك المقدار من الميندول هيكسانيترايت كانت تُشعره في بعض الاحيان بشيء من الغثيان ، ولقد كان حريصاً على إنهاء تلك المقابلة . وكان توافقاً أيضاً الى ان يضطجع ويأخذ حبة سيكونال^٢ . وقال في ذات نفسه : إن عليّ أن اؤلف كتابي الموجز عن فن الحركات الحربية الثانوية الخاصة بفصيلة المصابين بضغط الدم العالي . ليتني استطيع أن اخبره بذلك ! لماذا لا أسلم نفسي ، بكل بساطة ، الى رحمة القضاء ؟ ولكن المرء لا يفعل ذلك ابدأ - هكذا قال في ذات نفسه . المرء يزعم دائماً أنه غير مذنب .

وسأله الطبيب : « كم مرة أصبتَ في رأسك ؟ »

فأجابه الكولونيل : « انت تعلم انها المرة الحادية بعد المثتين . »

– « كم مرة ضربت على رأسك ؟ »

فقال الكولونيل عندئذ : « هل تسألني ذلك لمصلحة الجيش أم

بوصفك طبيبي ؟ »

– « بوصفي طبيبك . أنت لم تعتقد أني سأعمد الى «تدوير» ساعتك

او تعبتتها ، أليس كذلك ؟ »

١ - سائل زيتي ثقيل شديد الانفجار يستعمل في صنع الديناميت . (المغرب)

٢ - السيكونال عقار منوم . (المغرب)

- « لا ، يا ويس . متأسف . ولكن قل لي ما الذي اردت ان تعرفه على وجه الضبط ؟ »

- « الارتجاجات . »

- « الارتجاجات الحقيقية ؟ »

- « جميع المرات التي أحسست فيها بالبرد ثم لم تعد تتذكر شيئاً بعد ذلك . »

فقال الكولونيل : « لعلها عشرة ارتجاجات . بما في ذلك البولو . زد ثلاثة ارتجاجات او انقص ثلاثة . »

فقال الطبيب : « يا لك من ابن عاهرة بائس عتيق ! » ثم اضاف « يا سيدي الكولونيل . »

فسأله الكولونيل : « هل تستطيع ان انصرف الآن ؟ »

فقال الطبيب : « نعم ، يا سيدي . انت في صحة جيدة . »

فقال الكولونيل : « شكراً . هل ترغب في الاشتراك في صيد البط في المستنقعات التي عند مصب نهر تاغلييا منتو ؟ قنص رائع . إن بعض الفتيان الايطاليين الممتازين الذين لقيتهم في كورتينا يملكونها . »

- « أهو المكان الذي يصيدون فيه دجاجات الماء ؟ »

- « لا ، أنهم يصيدون بطاً حقيقياً في ذلك المكان . فتيان صالحون .

قنص صالح . بطٌ حقيقي . بط بري ، بلبول ، بط اصلع . بعض الأوز . كمثل تلك التي عرفناها في الوطن حين كنا صغيرين . »

- « لقد كنتُ صغيراً في التاسعة والعشرين وفي الثلاثين . »

- « هذا اول شيء حقير نمتك تقوله طول حياتي . »

- « انا لم أعن شيئاً من ذلك . كل ما عينته هو اني لم أتذكر متى

كان قنص البط حسناً . ثم إنني غلام من أبناء المدن . »

١ - البلبول : نوع من البط .

- «وتلك هي علتك اللعينة التي لا علة لك غيرها أيضاً . أنا لم
أر في حياتي غلاماً من أبناء المدن يساوي فلساً واحداً .»
- «انت لا تعني ما تقول ، أليس كذلك ايها الكولونيل ؟»
- «طبعاً لا . وانت تعرف جيداً اني لا اعني ذلك .»
فقال الطبيب : «انت في صحة جيدة ، ايها الكولونيل . أنا آسف
لعدم تمكني من الذهاب للصيد . بل انني اجهل حتى اطلاق النار نفسه.»
فقال الكولونيل : «يا للبحيم . هذا لا يقدم ولا يؤخر . والواقع
أن سائر أفراد هذا الجيش ليشاركونك جهلك ذلك . اني اريد أن
اصحبك معي .»

- «سوف اعطيك شيئاً آخر لدعم العقاقير التي تستعملها ..»
- «وهل ثمة شيء من ذلك ؟»
- «ليس بمعنى حقيقي . ومع هذا ، فالعلماء منكبتون على إعداده .»
فقال الكولونيل : «دعهم ينكبون .»
- «احسب أن هذا مسلك مشكور ، يا سيدي .»
فقال الكولونيل : «اذهب الى البحيم ! اوافق أنت من انك لا
تريد الذهاب للقص ؟»

فأجابه الطبيب : «إن بطي لفي «لونشان» بشارع ماديسون . انه
مكيف الهواء في الصيف ، دافئ في الشتاء ، وليس يتعين علي هناك
ان انهض من فراشي قبل اول خيط من خيوط الفجر ، وان ارقدي
ملابس تحتية صوفية .»
- «حسن جداً ، ايها الفلام المديني . أنت لن تنفذ الى كنه الأشياء ،
أبد الدهر .»

فقال الطبيب : «أنا لم ارغب في مثل هذا النفاذ قط . انت في صحة
جيدة ، ايها الكولونيل .»
- «شكراً ، كذلك قال الكولونيل ، وغادر الحجره .»

كان ذلك أمس الأول ، أما أمس فكان قد امتطى متن السيارة من تريستا الى البندقية على طول الطريق القديمة التي امتدت من مونتفالكون الى لاتيسانا وعبرَ الريف المسطح . كان لديه سائق بارع ، وكان قد استرخى استرخاء كاملاً في مقعد السيارة الأمامي ، وراح يسرّح طرفه في ذلك الريف الذي عرفه منذ صباه الأول .

إنه يبدو الآن مختلفاً جداً ، كذلك قال في ذات نفسه . واحسب ان مردّ ذلك الى ان المسافات قد تغيّرت كلها . ان كل شيء يصبح أصغر بكثير عندما تتقدم بك السن . والى هذا ، فالطرق هي الآن أفضل من ذي قبل ، وليس ثمة غبار . أنا لم اجتزها في ما مضى إلا على متن شاحنة من الشاحنات . أما في سائر الأحوال الأخرى فكان من دأبنا أن نسلكها مشياً على الاقدام . واحسب ان ما بحثتُ عنه آنذاك كان رُقع الظل عندما نكصنا على أعقابنا ، والآبار في أفنية المزارع . والختادق ، ايضاً ، كذلك قال في ذات نفسه . لقد بحثتُ من غير ريب عن كثير من الختادق .

وانعطفنا ، وعَبّرنا الى « تاغليامنتو » فوق جسر مؤقت . كانت الضفتان خضراوين ، وكان الناس يصطادون السمك على الشاطئ البعيد حيث يعمق النهر . وكان الجسر المنسوف يُصلحُ بدمدمة مطارق مسمّرة . وعلى مبعده ثمانئة ياردة بدت المباني والمباني الملحقة التي دمرتها

الحرب والتي كانت الآن مجرد بيت ريفيّ خرب بناه «لونجينا» في يوم من الأيام .. أقول بدت حيث كانت وسائل التدمير قد أفرغت أحماها . وقال السائق : « انظر إليها . في هذا البيت تجد جسراً أو محطة للسكة الحديدية . فاذا ابتعدت نصف ميل من هنا ، في أي اتجاه ، تجد كل شيء على هذه الشاكلة . »

فقال الكولونيل : « يخيّل الي ان العظمة المستفادّة من ذلك هي : لا تبني لنفسك بيتاً ريفياً أو كنيسة أو تكلف «غيوتو»^١ بأن يرسم لك أية لوحات جدارية - اذا كانت لديك كنيسة - على مبعده تظلّ عن ثمانئة ياردة من أيّ جسر . »

فقال السائق : « كنت واثقاً من أنه لا بد أن يكون في ذلك عظمة ، يا سيدي . »

كانا قد تخطّينا ، الآن ، الدارة المدمرة ، وانطلقا في الطريقة المستقيمة وشجرات الصفصاف النامية على مقربة من الخنادق لا تزال داكنة بحكم فصل الشتاء ، والحقول حافلة بشجرات التوت . وأمامها كان رجل يدير برجليه درّاجة ، مستعملاً كلتا يديه من أجل قراءة احدى الصحف .

فقال السائق : « اذا كان ثمة مدفعية ثقيلة فيتعين على العظمة ان تقول ميلا واحداً . اليس هذا قريباً الى الصواب ، يا سيدي ؟ »

فأجابه الكولونيل : « واذا كان ثمة قذائف موجهة يصبح من الافضل جعل المسافة مئتين وخمسين ميلا . من الخير أن تزمر ، الآن ، لراكب الدراجة . »

وامتثل السائق الأمر ، فتحوّل الرجل الى جانب الطريق من غير ان يرفع بصره أو يمس مقود الدراجة بيديه . وفيما هما يتجاوزانه ، حاول

١ - Giotto رسام ونحات فلورنسي شهير . ولد حوالي عام ١٢٦٦ وتوفي عام ١٣٣٧ . (المغرب)

الكولونيل ان يرى أية صحيفة كان يقرأ ، ولكنها كانت مطوية .
- « ينجيل اليّ ان من الخير للمرء الآن ان لا يبني لنفسه بيتاً أنيقاً
او كنيسة وأن لا يكلف من ذكرت برسم اللوحات الجدارية له - من
كان هذا الذي ذكرته ؟ »

- « لقد ذكرت غيوتو . ولكن من الجائز ان يكون « بييرو ديلا »
فرانسيسكا ،^١ أو « مانتينيا »^٢ . وقد يكون ميكال آنجلو .
فسأله السائق : « هل تعرف اشياء كثيرة عن الرسامين ؟ »

كانا الآن قد انتهيا الى جزء من الطريق ذي امتداد مستقيم ، وكانا
مسرعين بحيث اختلطت المزارع - على نحو مشوش تقريباً - بعضها
ببعض ، وبحيث لم يكن في امكانك ان ترى إلا ما هو أمامك في
المدى البعيد ، وما كان مقبلاً نحوك . كانت الرؤية الجانبية مجرد تكثيف
للريف الخفيض المستوي في الشتاء . انا لست واثقاً من انني احب السرعة ،
كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . ولقد كان خليقاً بـ « بروغهيل »^٣
أن يكون في أسوأ حال لو تحتم عليه أن يرى الى الريف على هذا النحو .
- « الرسامين ؟ » كذلك اجاب عن سؤال السائق . « أنا لا اعرف
عنهم إلا النزر اليسير ، يا بيرنهام . »

- « أنا جاكسون ، يا سيدي . ان بيرنهام هناك في مركز الاستراحة
في كورتينا . انه مكان رائع ، يا سيدي . »
فقال الكولونيل : « لقد بدأت أخرف . اعذرني ، يا جاكسون . »

-
- ١ - Piero Della Francesca رسام ايطالي ولد حوالي عام ١٤٢٠ وتوفي عام ١٤٩٣ (المغرب) .
٢ - Mantegna رسام ونقاش ايطالي ، ولد عام ١٤٣١ وتوفي عام ١٥٠٠ (المغرب)
٣ - Brueghel رسام فلاندري اشتهر بلوحاته التي تمثل جمال الريف ١٥٢٥ ؟ -
١٥٦٩ (المغرب) .

ذلك مكان رائع . وطعام جيد . انت تغالي في الامراء . ان احداً لا يزعجك . »

فأقرّه جاكسون على ذلك قائلاً : « نعم يا سيدي ، والآن ، ان السبب الذي من اجله سألتك عن الرسامين هو صور السيدة العذراء . لقد اعتقدت ان عليّ ان ارى بعض اللوحات الفنية فلم يكن مني الا ان ذهبت الى ذلك المتحف الضخم في فلورنسة . »

— « الأوفيزي ؟ البيتي ؟ »

— « سمّه ما شئت ، لقد ذهبت الى اكبر تلك المتاحف . ولقد ظلت انظر الى تلك الرسوم الزيتية حتى شرعت صور السيدة العذراء تجري من اذنيّ . اقول لك ، أيا الكولونيل ، يا سيدي ، ان الرجل غير المتمتع بثقافة فنية حسنة لا يستطيع أن يرى عدداً كبيراً من صور السيدة العذراء من غير أن تثور أعصابه . لقد فهمتَ نظريتي ؟ أنت تعلم ولوع الناس بالأولاد ، وانه كلما قل الطعام المتوفر عندهم زاد عدد الأولاد الذين أنجبوهم أو الذين سوف ينجبونهم ... حسناً ، يخيلُ اليّ ان هؤلاء الرسامين كانوا في اغلب الظن محبين كباراً للأولاد ، مثل جميع الايطاليين . أنا لا اعرف اولئك الذين ذكرتهم منذ لحظة ، ومن أجل ذلك لا أدخِلهم ضمن نطاق نظريتي ، ولسوف تصحّحتني على اية حال . ولكن يبدو لي وكأن صور السيدة العذراء هذه التي رأيت في الواقع كثيراً منها ، يا سيدي ... يبدو لي وكأن رسامي هذه الصور العاديين كانوا ظاهرةً ما من ظواهر مسألة حب الأولاد هذه ، ان كنتَ فهمتَ ما أعنيه . »

— « مضافاً الى هذه الحقيقة ، وهي انهم قَصَرُوا أنفسهم على الموضوعات الدينية . »

— « نعم ، يا سيدي . واذن ، فأنت تعتقد أن في نظريتي شيئاً من الصحة ؟ »

— « من غير ريب ، ولكنني أحسب أنها معقّدة بعض الشيء . »

« هذا طبيعي ، يا سيدي . إنها مجرد نظرية تمهيدية . »
- « هل لديك أية نظريات اخرى في الفن ، يا جاكسون ؟ »
- « لا ، يا سيدي . أن نظرية الأولاد تلك هي أقصى ما فكرتُ فيه . ومع ذلك فأني أتمنى لو يرسمونَ بعض اللوحات الجيدة التي تمثل تلك الارياف المرتفعة المحيطة بمركز الاستراحة في كورتينا . »
فقال الكولونيل : « لقد وُلِدَ تيتيان ^١ هناك . أو هذا ما يقولونه على الأقل . لقد هبطت ذلك الوادي وشاهدت المنزل الذي يُفترض أنه وُلد فيه . »

- « هل كان موطناً رائعاً ؟ »

- « ليس الى حد بعيد . »

- « حسناً ، لو أنه رسم بعض اللوحات التي تمثل ذلك الريف المحيط بمركز الاستراحة هناك ، مع تلك الصخور المصطبغة بلون الغروب ، ومع شجرات النخيل ، والثلج ، وجميع تلك الابراج المستدقة .. »
فقال الكولونيل : « الكامبانيلات ^٢ . مثل ذلك البرج الذي تراه أمامك عند سيفيا . »

- « حسناً ، لو أنه رسم أيما لوحات جيدة فعلاً تمثل ذلك الريف اذن لحرصتُ كل الحرص على شراء بعضها منه . »

فقال الكولونيل : « لقد رسم بعض النسوة الفاتنات . »
فقال السائق : « لو كنت أملك محششة ، أو نُزُلًا على الطريق ، أو خاناً من الخانات ، لكان في استطاعتي أن استعمل واحدة من تلك اللوحات . أما اذا حملت الى البيت صورة امرأة ما ، فعندئذ

١ - Titian رسام ايطالي عظيم ، ولد حوالي عام ١٤٧٧ وتوفي عام ١٥٧٦ .

٢ - campaniles لفظة ايطالية تعني ابراج الاجراس ، وقد ابقيناها بلفظها الاجنبي لأن المؤلف عمد الى شرحها على لسان الكولونيل كما يلاحظ القاريء . (المعرب)

تطردني زوجتي من راولنزا الى بافالو . وسوف أكون سعيداً اذا وصلت الى بافالو سالماً .

- « في استطاعتك ان تقدمها الى المتحف المحلي . »
- « كل ما عندهم في المتحف المحلي نصال سهام ، وخوذ حربية ، ومُدَى تسلخ جلد الرأس ، وجماجم مختلفة ، وسمك متحجر ، وبيبات (أوغلايين) تبغ كان يستعملها الهنود الحمر ، وصور فوتوغرافية لجونستون آكل الأكبادة ، وجلد رجل شرير كانوا قد شققوه وكان احد الأطباء قد سلخه عنه سلخاً . وهكذا ترى أن تعليق أيما لوحة من تلك اللوحات النسوية ، في ذلك المتحف ، هو من باب وضع الشيء في غير محله . »
فسأله الكولونيل : « هل ترى برج الاجراس التالي القائم هناك عبر السهل ؟ سوف أريك مكاناً هناك حيث كان من دأبنا أن نقاتل عندما كنتُ غلاماً . »

- « وهل قاتلت هنا ، ايضاً ، يا سيدي ؟ »
فقال الكولونيل : « أجل . »
- « من كان مسيطراً على تريستا في تلك الحرب ؟ »
- « الكراوتس . ' النمساويين أعني . »
- « وهل استولينا نحن عليها في وقت ما ؟ »
- « لم نستول عليها إلا عند نهاية الحرب ، بعد ان انتهى كل شيء . »
- « ومن كان مسيطراً على فلورنسا ورومة ؟ »
- « نحن . »
- « حسناً ، يخيل اليّ أننا لم نكون في حال رديئة الى حد لعين آنذاك . »
فقال الكولونيل في لطف : « قل سيدي . »

فسارع السائق الى القول : « أنا آسف ، يا سيدي . لقد كنت في
الغرفة السادسة والثلاثين ، يا سيدي . »

- « لقد رأيتَ الكِتَافَةَ . »

- « كنت افكر في الرايبدو ، يا سيدي . أنا لم أريد ان اكون
وقحاً أو قليل الاحترام . »

فقال الكولونيل : « لا ، انت لم ترد ذلك . كنت تفكر في
الرايبدو ليس غير . اسمع ، يا جاكسون ، ان كل من سلخ فترة طويلة
في الجندية كان له « رايبدو » خاص به ، أو اكثر من رايبدو واحد . »
- « لم يكن في امكاني أن آخذ اكثر من واحد ، يا سيدي . »

واخترقت السيارة مدينة سان دونا دي بيافا البهيجة . كانت عامرة
وجديدة ، ولكنها لم تكن اكثر قبجاً من مدن الغرب الاوسط في
الولايات المتحدة ، وكانت مزدهرة مبهجة بقدر ما كانت فوسالتا ،
القائمة هناك على منبع النهر ، بائسة كئيبة ، كذلك قال الكولونيل في
ذات نفسه . ألم تتعافَ فوسالتا من داء الحرب العالمية الأولى البتة ؟
أنا لم ارها قط قبل ان تدمر ، كذلك قال في ذات نفسه . لقد قصفوها
قصفاً عنيفاً قبل الهجوم الكبير في الخامس عشر من حزيران (يونيو)
عام ثمانية عشر . ثم قصفناها نحن قصفاً قاسياً حقاً قبل ان نستردها .
وتذكرَ كيف بدأ الهجوم من موناستييه ، واجتاح فونائيس ، وفي
ذلك اليوم الشتوي تذكرَ كيف جرت الامور ذلك الصيف .

ومنذ بضعة أسابيع خلت كان قد جاس خلال فوسالتا ، وكان قد
مضى فسلكَ الطريق الغائرة بحثاً عن الموضع الذي كان قد اصيب فيه ،
عند ضفة النهر . ولم يكن من العسير عليه أن يجد ذلك الموضع بسبب
من التواء النهر ، وفي المكان الذي كان مركز المدفعية الثقيلة قائماً فيه

١ - نهر في ايطالية . (المرعب)

كانت الفجوة التي أحدثها الانفجار في الارض مكسوة بعشب ناعم . كانت قد حصدتها بعض الخراف او الماعز حتى بدت أشبه بوهدة اصطناعية في ميدان غولف . هنا كان النهر يجري بطيئاً ، وكان ازرق موحلاً . وقد اكتنف القصب حافته . واذ لم تقع عين الكولونيل على احد فقد جلس القرفصاء ، وراح ينظر عبر النهر من الضفة التي لم يكن في ميسورك ان تطلع فيها رأسك في ضوء النهار ، واسترخى في عَيْن ذلك الموضع الذي كان قد قرّر ، من طريق تحديد المكان بالمسح التلثي ، أنه 'جرح فيه على نحو بليغ' لثلاثين سنة خلت .

- « جهد ضئيل » ، كذلك قال في صوت عالٍ مخاطباً النهر وضفة النهر اللذين كانا كئيبين بسكينة الخريف ، نديئين بمطاره . « ولكنه جهدي أنا . »

ونفض وأجال طرفه في ما حوله . لم يكن في مدى البصر احد ، وكان قد غادر السيارة هناك في الطريق الفائرة قبالة آخر وأحزن بيت اعيد بناؤه في فوسالتا .

- « الآن سوف اتم اقامة النصب التذكري » ، كذلك قال موجهاً الخطاب الى الموتى ليس غير ، واخرج من جيبه مطواة كبيرة عتيقة من مطاوي سولنجن ، كتلك التي يحملها 'مراق' الصيد الالمان . وثبتت شفرتها عند الفتح ، فما كان من الكولونيل إلا ان برّمها وحفر حفرة أنيقة في التربة الندية ، ونظف المطواة على فردة حذائه العسكري اليمنى ثم أقحم في الحفرة ورقة نقدية سمراء من فئة العشرة آلاف لير ، ثم طمرها بالتراب ووضع العشب الذي كان قد اقتلمه فوقها .

وقال : « هذه عشرون سنة ، بخمسة لير للسنة الواحدة ، من أجل «المداية الفضية للباسالة العسكرية» Medaglia d'Argento al Valore

١ - مدينة في غرب المانيا شهيرة بفولانها ،

Millitaire . إن الـ « في . سي » V.C. ^١ ليفلّ عشرة جنيهاً ، في ما
أعتقد . والـ « دي . اس . سي » D.S.C. ^٢ عقيم لا ينتج شيئاً . أما النجمة
الفضية فمجانية . ولسوف احتفظ بالباقي . »

إنه رائعٌ الآن ، كذلك قال في ذات نفسه . إنه يشتمل على زبل ،
ومال ، ودم . انظر كيف ينمو العشب . والحديد مفروس في الأرض
إلى جانب رجل جينو ، ورجلي راندولفو الاثنتين ، ورضفتي ^٣
اليمنى . انه نُصبٌ رائع . نصب يتمتع بكل شيء . خصب ، ومال ،
ودم ، وحديد . وهو يبدو لي وكأنه أمة . حيث يوجد الخصب ،
والمال ، والدم ، والحديد ؛ تلك هي أرض الوطن . ومع ذلك فنحن
في حاجة إلى فحم حجري . يتعين علينا أن نجنيء بشيء من الفحم
الحجري .

ثم انه نظر عَبْرَ النهر إلى البيت الابيض الذي أعيد بناؤه والذي كان
في وقت مضى حجارة صغيرة ، وبصق في النهر . كانت بصقة طويلة ،
ولقد افتعلها افتعالاً .

وقال : « لم يكن في ميسوري أن أبصق تلك الليلة وما بعدها
طوال فترة غير قصيرة . ولكني أبصق الآن أحسن ما يكون البصق
بالنسبة إلى رجل لا يمضغ اللبان . »

وقال : « استيقظ يا بني . استدر بها واسلك الطريق المفضية إلى
تريفيزو . لن نحتاج إلى خريطة في هذا الجزء من البلاد . سوف أرشدك
إلى الاتجاه عند كل منعطف . »

١ - يقصد وسام « صليب فيكتوريا » Victotia Cross (المعرب) .

٢ - يقصد وسام «صليب الخدمة الممتازة» Distinguished Service Cross (المعرب) .

(المعرب) .

٣ - الرضفة : عظم الركبة المتحرك .

كان الآن في سبيله الى البندقية ، محتفظاً برباطة جأشه على نحو صارم ، غير مفكر في حاجته الملحة إلى ان يكون هناك . وكانت سيارة «بيويك» الكبيرة قد اجتازت الجزء الاخير من مدينة «سان دونا» ، وتقدمت نحو الجسر القائم فوق نهر «بيافا» .

وعبرا الجسر ، وانتهيا الى الجانب الايطالي من النهر ، فرأى الطريق القديمة الفائزة كرة اخرى . كانت الآن ممهدة وغير جلية ، كما كانت على طول النهر . ولكنه استطاع أن يلمح المواقع القديمة . والآت وعلى كل جانب من جانبي الطريق المستقيمة المستوية المكتنفة بالقناة والتي انطلقا فيها بسرعة بالغة ، كانت شجرات صفاف القناتين اللتين اشتملتا في وقت ما على جثث القتلى . كانت قد جرت مذبحه عظيمة في ختام الهجوم ، وكان بعضهم قد اصدر أمره - لتحرير الطريق والمواقع القائمة على ضفة النهر ، في ذلك الجو القائظ - بأن تلقى جثث القتلى في القناتين . ولكن أبواب القناتين كانت لا تزال ، لسوء الطالع ، في أيدي النمساويين ، عند مصب النهر ، وكانت موصدة .

وهكذا حرمت المياه القدرة على الحركة ، إلا قليلا ، فلبثت الجثث هناك فترة طويلة ، طافية منتفخة وقد تمدد بعضها على الظهر وبعضها على الصدر ، بصرف النظر عن القومية والجنسية ، حتى تضخمت تضخماً

هائلا . وأخيراً ، بعد انشاء الحكومة ، رفعتها جيوش العمال من هناك ، تحت جناح الظلام ، ودفنتها على مقربة دانية من الطريق . والتمس الكولونيل مزيداً من الاخضرار غير بعيد عن الطريق ولكن بصره لم يقع على شيء من ذلك . بيد أنه كان في القناتين كثير من البط والاوز ، وكان الناس يصطادون السمك فيها على طول الطريق .

لقد اخرجوا الجثث كلها من هناك على أية حال ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، ودفنوها في تلك المقبرة الكبيرة الهاذية للـ « نيرفيزا » .

وقال الكولونيل للسائق : « لقد حاربنا هنا يوم كنت غلاماً . » فقال السائق : « إنه ريف شديد الاستواء الى حد لعين يجعله غير صالح للقتال . هل استوليتم على ذلك النهر ؟ » فأجاب الكولونيل : « أجل . لقد استولينا عليه ، ثم خسرناه ، ثم استرجعناه كرتة أخرى . »

— « ليس ثمة أي خطّ حديديّ هناك ، على مدى ما يسرح النظر . » فقال الكولونيل : « تلك كانت هي المشكلة كان عليك أن تستعمل حدوداً حديّةً لم ترها ، فقد كانت بالغة الصغر ، وخنادق ، وبيوتاً ، وضاف قنوات ، ووشائع^١ . كان ذلك الريف اشبه شيء بنورمانديا ، إلا انه اشدّ منها استواءً . واحسب أن القتال هناك كان اقرب ما يكون الى القتال في هولندا . »

— « ليس من ريب في ان هذا النهر لا يشبه نهر « رابيدو » في شيء . »

فقال الكولونيل : « لقد كان نهراً عتيقاً صالحاً . فهناك في عاليته

١ الوشيع : سياج من نباتات يجعل حول الحديقة صيانة لها من الطارئين .

كان غزير المياه آنذاك ، قبل أن تنفذ هذه المشاريع الكهربائية كلها . وكانت له مجارٍ كثيرة معقدة شديدة العمق بين الحصى والحصاء حين يسي ضحلاً . »

كان يعلم كم هو مضجراً أن يتحدث أيما امرئٍ عن الحرب التي خاضها إلى أيما امرئٍ آخر فكفّ عن الكلام عليها . إن الناس يفهمون الحرب من زاوريتهم الشخصية دائماً ، كذلك قال في ذات نفسه . وإن أحداً لا يُعنى بها ، على نحو تجريديّ ، ما خلا الجنود ، وما أقلّتهم . انك تصنعهم صنماً ، والجنود الصالحون يُقتلون في ساحة المعركة . وإلى هذا ، فهم يبحثون دائماً عن شيء عنيف بحثاً يحملهم لا ينظرون أبداً ولا يصفون أبداً . إنهم لا يفتأون يفكرون في ما سيقولونه وفي ما قد يعود عليهم به ذلك القول من تقدّم أو فائدة . ولم يكن ثمة أي حكمة في إضجار هذا الغلام ، الذي لم يكن - رغم شعار المشاة و « القلب الأرجواني » ، والأشياء الأخرى التي يحملها - جندياً بأية حال ، لكن مجرد رجل أُلْبِس بالرغم منه بزة عسكرية ، ثم اختار البقاء في الجيش لأغراضه الخاصة .

وسأله الكولونيل : « ماذا كنت تعمل في الحياة المدنية ، يا جاكسون ؟ »

- « كنت شريكاً لأخي في مرأب في راوالنز ، بولاية ويومنغ ، يا سيدي . »

- « وهل ستعود إلى هناك ؟ »

فقال السائق : « لقد قُتِل أخي في المحيط الهادئ ، ولم يكن الغلام

١ - Purple Heart مدالية اميركية تمنح لكل من جرح خلال الخدمة العسكرية . (العرب)

الذي تولى ادارة المرأب غلاماً نافعاً . وهكذا خسرنا ما كنا قد انفقناه على تأسيسه . »

فقال الكولونيل : « هذا مؤسف . »

- « انت على حق الى حد لعين في قولك انه مؤسف . كذلك

قال السائق ثم اضاف : « سيدي . »

ورفع الكولونيل بصره ليرى الى الطريق .

كان يعلم أنها ان واصلا الانطلاق في هذه الطريق فسوف يصلان ، عما قريب ، الى ذلك المنعطف الذي كان ينتظر بلوغه . ولكنه كان نافذ الصبر .

وقال للسائق : « افتح عينيك جيداً وانعطف الى يسارك على الطريق

التي تبعد بنا عن بوابة المكوس هذه . »

- « هل تعتقد ان هذه الطرق المنخفضة سوف تصلح لانطلاق هذه

السيارة الكبيرة ، يا سيدي ؟ »

فقال الكولونيل : « سوف نرى . يا للجحيم ، أيها الرجل ، ان

السماء لم تمطر هذه الاسبوع الثلاثة . »

- « أنا لا اطمئن الى هذه الطرق الجانبية في هذا الريف الخفيض . »

- « اذا ما تعذر علينا السير في تلك الطرق فسوف أكلف الثيران

باخراجك منها . »

- « لقد كنت افكر في السيارة ليس غير ، يا سيدي . »

- « حسناً ، فكّر في ما قلته لك ، وانعطف عند أول طريق

تجدها الى يسارك اذا بدا لك أن ذلك امرٌ عمليّ . »

فقال السائق : « ذلك يبدو أشبه شيء بانبثاق المرء ... من الوشائع . »

- « ليس ثمة شيء ورائك البتة . كل ما عليك ان تفعله هو ان

تقود السيارة الى ما وراء المنعطف بقليل ، وسوف أعبّرُ والقى نظرة . »

وترجّل من السيارة ، ومشى عبر الطريق العريضة الصلبة السطح

والقى نظرة على الطريق الضيقة القذرة ، وقد قامت الى جانبها القناة
لمتدفقة ، ونهض خلفها الوشيع الكثيف . وخلف الوشيع رأى بيتاً
خفيفاً أحمر قائماً وسط مزرعة ، وعلى مقربة منه عنبر ضخمة . كانت
الطريق جافة . ولم يكن فيها حتى أخاديد عربات نقل . ثم إنه انقلب
عائداً الى السيارة .

وقال : « إنها جادة مشجرة . أفلح عن القلق . »

- « امرك ، يا سيدي . انها سيارتك ، يا سيدي . »

فقال الكولونيل : « أدري . وأنا لم أفرغ بعد من دفع أقساطها .
قل لي ، يا جاكسون ، هل تعاني دائماً هذا العنت كله كما انتقلت من
طريق سلطانية الى طريق ثانوية ؟ »

- « لا ، يا سيدي . ولكن ثمة فرقاً كبيراً بين سيارة جيب وبين
سيارة منخفضة الأحشاء مثل هذه . هل تعرف ما هو ارتفاع هيكل
هذه السيارة وترسها التفاضلي (ديفرنسيال) عن الأرض ؟ »

- « ان عندي في صندوق السيارة مجرفة وبعض السلاسل . انتظر حتى
ترى الى أين نحن ذاهبان بعد أن نغادر البندقية . »

- « وهل سنجتاز الطريق كلها بهذه السيارة ؟ »

- « لست ادري . سوى أرى . »

- « فكر في حواجز الاصطدام التي زوّدت بها سيارتك ، يا سيدي . »

- « سوف نختصر هذه الحواجز ، كما يفعل الهنود الحمر في اوكلاهوما . »

انها الآن مثقلة بالحواجز . بل انها مثقلة اكثر مما ينبغي بكل شيء ما
خلا المحرك . ان لها محركاً رائعاً ، يا جاكسون . »

- « انه رائع من غير شك ، يا سيدي . وانه لمن المتعة أن يقود
المرء هذا المحرك الضخم فوق الطرق الصالحة . وهذا هو السبب الذي من
أجله لا اريد أن يصيبها أي شيء . »

- « هذا جدّ جميل منك ، يا جاكسون . والآن كفّ عن التأمّل . »

« لست أتألم ، يا سيدي . »

فقال الكولونيل : « حسن . »

ولم يكن هو الآخر متألماً ايضاً . لأنه رأى في تلك اللحظة ، خلف خط الاشجار السمراء المترابطة القائم أمامه ، مركباً شراعياً يجري . كان مركباً شراعياً كبيراً أحمر ، منحرفاً الى ادنى المنحرفاً حاداً ، متهادياً في أناة خلف الاشجار .

لماذا هز نياط قلبك ، دائماً ، ان ترى شراعاً يجري في الريف ؟ كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . لماذا هز نياط قلبك أن ترى الثيران الكبار ، البيطاء الشاحبة ؟ لا ريب في ان ذلك راجع الى تهاديها ، بقدر ما هو راجع الى مظهرها ، وحجمها ولونها .

ولكن مشهد بغل ضخم رائع ، او صفٍ من بغال النقل في حالة جيدة ، خليق به ان هز نياط قلبك ايضاً . وكذلك شأنُ القيوط ، كلما قدر لي أن أرى قيوطاً ، وشأن الذئب ، الذي يمشي كما لا يمشي اي حيوان آخر ، رمادياً واثقاً من نفسه ، حاملاً ذلك الرأس الثقيل ذا العينين الراشحتين بالعداوة والبغضاء .

« هل قدر لك ان ترى ايما ذئب في راولنز ، يا جاكسون ؟ »

« لا ، يا سيدي . لقد انقرضت الذئاب قبل ايامي . لقد دسوا

لها السم في الطعام . ولكن القيوط عندنا كثير . »

« هل تحب القيوط ؟ »

« انا احب ان اسمع صوته في الليل . »

« وكذلك أنا . إني احب ذلك اكثر من اي شيء آخر ، ما خلا

رؤية مركب شراعي يتهادى في مياه الريف . »

« هو ذا مركب يفعل ذلك ، هناك ، يا سيدي . »

فأجابه الكولونيل : « في قناة سايل . انه مركب نقل شراعي

١ - القيوط coyote : ضرب من الذئاب الاميركية .

فأهب الى البندقية . الريح تهب من ناحية الجبال الآن وهي تدفعه دفعاً حسناً . ومن المحتمل ان يشتد البرد الليلة اذا استمرت الريح في الهبوب ، ولا بد ان تجلب عدداً كبيراً من البط . انعطف الى يسارك ، هنا ، وسوف ننطلق في محاذاة القناة . ان هناك طريقاً جيدة . »

- « لم يكن ثمة ، في مسقط رأسي ، صيد بط يستحق الذكر . ولكن ثمة صيداً وافراً في نبراسكا على محاذاة البلاتا »

- « اتريد أن تصطاد البط في المكان الذي تقصد اليه ؟ »

- « لست اعتقد ذلك ، يا سيدي . انا لست قناصاً بارعاً ، واني لأوثر البقاء في تلك السترة القصيرة الفضفاضة . إنه صباح يوم من ايام الأحد ، كما تعلم . »

فقال الكولونيل : « أعلم . في استطاعتك ان تبقى في تلك السترة حتى الظهر ، اذا شئت . »

- « لقد جئت بدوائي المزيل للطفح الجلدي . ان عليّ ان أنام نوماً عميقاً . »

فقال الكولونيل : « لست واثقاً من انك ستحتاج اليه . هل جئت بشيء من جرايات الطوارئ ، أو من « العشرة في واحد » ؟ من المحتمل ان يطعموا ماكل ايطالية » ، كما تعلم . »

- « لقد جئت ببعض المعلبات لأكمال النقص وباشياء قليلة أخرى لتقدمها اليهم . »

فقال الكولونيل : « هذا حسن . »

كان الآن ينظر قدامه ليرى أين تلتقي طريق القناة بالطريق السلطانية الرئيسية كرة اخرى . وهناك كان واثقاً من انه سوف يراها في يوم صاح كيومه ذلك . وعبر الأراضي السبخة - السمراء مثل تلك

١ - Platte نهر معروف في نبراسكا الوسطى ، بالولايات المتحدة . (المعرب)

الاراضي المنبسطة عند مصابّ المسيسي حول «بيلوت تاون» في الشتاء ، وقد انحنّت قصباتها تحت ريح الشمال العنيفة - رأى برج الكنيسة المربع في تورشيلو ، وبرج اجراس بورانو السامق خلفه . كان البحر ازرق أردوازيًا ، وكان في ميسوره ان يرى اثمرعة اثني عشر مركبًا من مراكب النقل المتهادية مع الريح في اتجاه البندقية .

سوف يتعين عليّ ان انتظر حتى نعبّر نهر «ديز» فوق «نوغيرا» لأراها احسن رؤية ، كذلك قال في ذات نفسه . انه لمن الغريب ان أتذكر كيف قاتلنا بعيداً هناك على طول القناة ، ذلك الشتاء ، لكبي ندافع عنها من غير أن نراها قط . ثم اني وجدت نفسي ، ذات مرة ، على ابواب نوغيرا ، وكان الجو صافياً بارداً كشأنه اليوم ، ورأيتها عبر الماء . ولكن لم ادخلها قط . ومع ذلك فهي مدينتي ، لأنني قاتلت من اجلها يوم كنت غلاماً . والآن وقد بلفت من العمر نصف قرن يعرف الناس اني قاتلت من اجلها واني شريك لهم في ملكيتها ، وهم يحسنون معاملتي .، وسأل نفسه : «أتحسب ان هذا هو السبب الذي من اجله يحسنون معاملتك ؟»

ربما ، كذلك قال في ذات نفسه . لعلهم يحسنون معاملتي لاني كولونيل غرّ من رجال المسكر المنتصر . ولكني لا اصدق هذا . وعلى اية حال فلست ارجو ان يكون الأمر كذلك . هذه ليست فرنسة ، كذلك قال في ذات نفسه .

هناك قاتلتَ شاقاً طريقك الى مدينة تحبها .. مدينة تحاذر محاذرة شديدة ان تكسر فيها شيئاً ، وتحاذر ، فوق هذا - ان كنت حصيماً راجع العقل - ان ترجع اليها لانك سوف تلقى فيها بعض الرجال المسكرين الذين سينقمون منك انك شققت طريقك اليها بقوة السلاح .

عاشت فرنسة وعاشت البطاطا المقلية . حرية ، ارتشاء ، وبلاهة !
ذلك هو الصفاء Clarté العظيم الذي يتسم به التفكير العسكري الفرنسي .
إنهم لم يُطلعوا مفكراً عسكرياً منذ « دو بيك » Du Picq . ولقد كان
كولونيلا فاشلاً لعيناً ايضاً . مانجين Mangin ، ماجينو Maginot
وغاملان Gamlin . اختاروا من يحلو لـكم ، ايها السادة . هي ذي ثلاثة
مذاهب . الاول يقول : انا اضربهم على الأنف . الثاني يقول : أنا
اختيـء وراء الشيء الذي لا يحمي جناحي الأيسر . الثالث يقول :
أنا اخيـء رأسي في الرمل مثل النعامة ، واثقاً من عظمة فرنسة كدولة
عسكرية ثم اولي الادبار .

إن قولي « أولي الادبار » ليؤدي المعنى في كثير من الدعابة والظرف .
وليس من ريب ، كذلك قال في ذات نفسه ، انك كلما غاليت في تبسيط
الاشياء كان حكمك ظالماً . تذكرُ جميع العسكريين الناهين الذين أطلعتمهم
« المقاومة » ؛ تذكرُ ان « فوش » برع في القتال والتنظيم معاً ، وتذكرُ
كم كان الناس رائعين . تذكرُ اصدقاءك اليمينين ، وتذكرُ موتاك .
تذكرُ اشياء كثيرة ، وخيرَ اصدقائك كرة اخرى ، وأروع الناس الذين
تعرفهم . لا تكن لاذعاً ولا مغفلاً . وأيّ صلة لهذا بالجندي كصناعة ؟
عدّ عن هذا ، كذلك قال في ذات نفسه . « فانت تقوم برحلة للترويج
عن النفس .

وقال : « هل أنت سعيد ، يا جاكسون ؟ »

- « نعم ، يا سيدي . »

١ - هذه الجملة المنضدة بحرف اسود اثبتتها المؤلف بلفظها الفرنسي هكذا :

**Vive la France et les pommes de terre frites . Liberté , Venalité ,
et Stupidité .**

- « حسن . سوف تنتهي عما قريب الى مشهد أريدك أن تراه .
وليس عليك الا ان تسرح طرفك فيه . ان العملية كلها سوف تكون
غير مؤلمة البتة . »

لست ادري لأي غرض يُناكدي الآن ، هكذا قال السائق في ذات
نفسه . أجمرد أنه كان « بريغادير جنرال » ١ في يوم من الأيام يظن أنه
يعرف كل شيء ؟ ولو قد كان ناجحاً في النهوض باعباء رتبته العسكرية
تلك فلم لم يحتفظ بها ؟ لقد خُفِّق خففاً شديداً جعله مزيجاً من
بلادة وخبَل .

وقال الكولونيل : « هو ذا المشهد ، يا جاكسون . أوقفِ السيارة
عند جانب الطريق ، ولنلقِ نظرة . »

ومشى الكولونيل والسائق الى الجانب البنديقي (الفينيقي) من الطريق ،
والقيا نظرة عبر اللاغون ٢ الذي كانت تلهبه سياط الريح القارسة الهوجاء
المنبعثة من الجبال ... تلك الريح التي جعلت خطوط المباني كلها حادة
الزوايا فهي واضحة من وجهة هندسية .

وأوماً الكولونيل قائلاً : « هي ذي تورشيلو قبالتنا مباشرة » . في
ذلك المكان عاش الناس الذين اخرجهم القوط الغربيون من البر الأصلي .
لقد شيدوا تلك الكنيسة التي تراها هناك ببرجها المربع . وانما عاش
ثمّة في يوم من الايام ثلاثون الف نسمة ، وقد بنوا تلك الكنيسة لكي
يمجدوا إلههم ويعبدوه . وبعد أن بنوها غصّ مصبّ نهر « سايل »
بالطمي ، أو غير الطوفان معاملة ، فاذا بكامل تلك الارض التي انتهينا

١ - في الجيش الاميركي ، مرتبة بين الكولونيل والجنرال . (المعرب)
٢ - المستنقع أو البعيرة الضحلة وخاصة ما اتصل منها بالبحر أو قرب منه .

اليها منذ لحظات مُفرقة ، واذا بها تُطلع البعوض وتُنسى بالملايا .
وشرع الناس كلهم يموتون ، وهكذا اجتمع شيوخ القوم وقرروا الارتحال
الى موطن صحيّ يمكن الدفاع عنه بالمراكب ، موطن يتعذر على
القوط الغربيين وعلى اللومبارديين وغيرهم من قطاع الطرق أن يبلغوم فيه ،
لأن قطاع الطرق هؤلاء لم تكن لديهم أية قوة بحرية . وكان غلمان تورشيلو
كلهم ملاّحين ماهرين . وهكذا نقلوا حجارة بيوتهم كلها في مراكب
شراعية ، مثل تلك التي رأيناها منذ لحظة ، وبنوا البندقية .
وأمسك عن الكلام . ثم قال : « هل أوقع الضجر في نفسك ،
يا جاكسون ؟ »

- « لا ، يا سيدي . لم تكن لديّ أي فكرة عن بُناة البندقية
الأولين . »

- « انهم غلمان تورشيلو . كانوا قوماً أشداء ، وكان لهم في البناء ذوق
رفيع . لقد اقبلوا من موطن صغير عند الشاطئ يدعى كأورل .
ولكنهم وُفقوا الى حمل جميع سكان المدن والقرى المجاورة على اتباعهم
عندما اجتاحتها القوط الغربيون . ولقد كان فتى تورشيلياً ذلك الذي كان
يهرّب الاسلحة الى الاسكندرية ، والذي وفق الى اكتشاف المكان الذي
دفن فيه القديس مرقس فهرب جثثانه تحت حمل من لحم الخنزير الغضّ
لكي يعجز حرس الكفار عن صدّه . وهذا الفتى حمل رفات القديس
مرقس الى البندقية ، وذلك القديس هو شفيعهم ، ولقد بنوا له كاتدرائية .
ولكنهم كانوا في تلك الفترة قد أوغلوا ، في تجارتهم ، في اتجاه الشرق
الى درجة جعلت الصبغة البيزنطية تغلب على فنهم المعماري في ما يُخيل
اليّ . إنهم لم يبنوا ما هو افضل منها إلا في نشأتهم الاولى في تورشيلو .
انظر . هي ذي تورشيلو هناك حقاً . »

ولقد كانت هناك حقاً .

- « ان ساحة القديس مرقس هي حيث تسرح اسراب الحمام ، وحيث يقوم تلك الكاتدرائية الضخمة التي تبدو وكأنها قصر من قصور السيينا . اليست تبدو كذلك ؟ »

- « تماماً ، يا جاكسون . انت على قبة ذلك القصر ، اذا كنت تتصورها هكذا . والآن انظر الى ما وراء تورشيلو فسوف ترى برج الاجراس الرائع فوق بورانو ، ذلك البرج الذي لا يقل ميلاناً عن برج بيزا المائل . ان بورانو هذه جزيرة صغيرة مكتظة بالسكان أكثر مما ينبغي ، حيث النسوة يصنعن وشياً رائعاً ، وحيث الرجال يصنعون صورَ الطفل يسوع ويشتغلون طوال ساعات النهار في مصانع الزجاج في تلك الجزيرة الهاذية التي تراها الى الورا مع برج الاجراس الآخر ، والتي هي جزيرة مورانو . انهم يصنعون في ساعات النهار زجاجاً رائعاً للأثرياء من الناس في ارجاء العالم كله ، ثم يفيثون الى منازلهم بالزوارق البخارية الصغيرة ويصنعون صور الطفل يسوع . ان احداً منهم لا يخرج مع امرأته في الليل . وهم يصيدون البط ، في الليل ، ايضاً ، ببنادق كبيرة ، هناك على طول حافة الاراضي السبخة في هذا اللاغون الذي تنظر عبْرَهُ الآن . فأنت تسمع طلقات بنادقهم ، في الليالي المقمرة ، خلال ساعات الليل بطولها . ، وأمسك عن الكلام .

- « والآن حين تنظر الى ما وراء مورانو ترى البندقية . تلك هي مدينتي . ان ثمة اشياء اخرى كثيرة كان في استطاعتي أن أريك اياها . ولكنني اعتقد ان من واجبنا الآن ، في اغلب الظن ، أن ننتقل بالسيارة . ولكن ألقِ نظرة أخيرة وطويلة عليها . هذا هو المكان الذي تستطيع

ان ترى منه كيف حدث ذلك كله . ان احداً لا ينظر اليها من هنا
البتة . »

- « انه مشهد جميل . شكراً لك ، يا سيدي . »
فقال الكولونيل : « أو . كي . » فلتنطق بالسيارة . »

١ - O.K . وتعني : حسن .

ولكنه ظل ينظر اليها ، ولقد كانت جميلة في نظره هازةً لمشاعره كشأنها يوم كان في الثامنة عشرة ورآها اول مرة غيرَ فاهم اي شيء منها وغير عارف من امرها إلا انها كانت جميلة . كان الشتاء قد أقبل قارساً شديداً البرد ذلك العام ، وكانت جميع الجبال بيضاء خلف السهل . وكان النمساويون قد استشعروا ضرورة اقتحام خطوط عدوهم عند الزاوية التي شكّل فيها نهرُ «سايل» وقاعُ نهر بيافا القديم خطوطَ الدفاع الوحيدة .

لو كنت تسيطر على قاع الـ «بيافا» القديم آنذاك اذن لكان وراءك نهر «سايل» تنكفيء اليه اذا عجز الخط الاول عن الصمود . ووراء الـ «سايل» لم يكن شيء غير سهل مترامي الأطراف ، وشبكة طرق جيدة تقضي الى سهل «فينيتو» وسهول لومباريا ، ولقد شنّ النمساويون هجومهم مرةً ومرةً ومرةً في اواخر فصل الشتاء لكي يحاولوا بلوغ هذه الطريق الممتازة التي كانا ينطلقان الآن فيها بسيارتها والتي تؤدي الى البندقية مباشرة . وذلك الشتاء كان الكولونيل - الذي لم يكن يومئذ غير ملازم ثانٍ ، وفي جيشٍ اجنيي ، وهو ما جعله دائماً في ما بعدُ موضع ارتياب طفيف في جيش بلاده نفسه وجمل حياته العسكرية بعيدة عن النجاح - اقول ذلك الشتاء بطوله كان الكولونيل يشكو

التهاباً في الحنجرة . وانما نشأ ذلك الالتهاب في الحنجرة من المكث في الماء اكثر مما ينبغي . لم يكن في ميسورك آنذاك ان تنجو من البلل ، ولقد كان خيراً لك ان تبتلّ بسرعة وأن تظلّ مبتلاً على نحو موصول .

كان حُسن التنسيق يُعوز الهجوم النمساوي ، ولكنهم كانوا يواصلونه في غير انقطاع وكانوا مُحْتَقِينَ ، فكان عليك بادية الأمر أن تتلقى القصف الذي كان مفروضاً فيه ان يشلّ نشاطك ، حتى اذا انحسرت موجة القصف القيت نظرة فاحصة على مواقعك وأحصيتَ رجالك . ولكن لم يكن لديك متسع من الوقت للعناية بالجرحى ، اذ كنت تعلم ان الهجوم سوف يُستأنف في الحال ، ثم انك قتلت الرجال الذين اقبلوا نحوّضين في الاراضي السبخة رافعين غداراتهم فوق الماء ، متقدمين بمثل بطء الخوّض في الماء حتى الحُصر .

ولو انهم لم يوقفوا القصف عندما بدأ - كذلك قال الكولونيل ، الذي كان مجرد ملازم ثان آنذاك ، في ذات نفسه في كثير من الاحيان - فلست أدري ما الذي كان في وسعنا ان نفعله . ولكنهم كانوا يوقفونه دائماً ، ثم يستأنفونه بين يديّ الهجوم .

ولو قد خسرتنا نهر «بيافا» القديم وانكفأنا الى نهر «سايل» اذن لصوبوا نيرانهم الى خط القتال الثالث ؛ على الرغم من ان الاحتفاظ بهذين الخططين كان متعذراً ، وكان الواجب يقتضيهم ان ينقلوا مدافعهم كلها الى مقربة دانية جداً وأن يطرّوها بقنابلهم طوال فترة هجومهم والى ان يتم لهم إحداث ثغرة في صفوفنا . ولكن مجنوناً ذا رتبة رفيعة يكون على رأس الهجوم دائماً ، والحمد لله . كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، ولقد قاموا بذلك على نحو منجّم متقطع .

وطوال ذلك الشتاء ، وفيما كان يشكو التهاباً حاداً في الحنجرة ، قتل رجالاً مزودين بأحمال من القنابل معلقة بكلايب شدت تحت

اكتافهم ، حاملين رزماً ثقيلة مصنوعة من جلد العجل ، وُخوذاً على شكل دلو . كانوا هم العدو .

ولكنه لم يُبغضهم البتة . لا ، ولم يكن بقادر على ان يضر أيّ حقد عليهم . كان يقود رجاله وقد طوّق حجراته بجورب عتيق نُفِع بزيوت التربينتين ، ولقد صدّوا الهجمات بنار الغدّارات وبالبنادق الاوتوماتيكية التي كانت لا تزال في متناولهم ، أو التي كانت لا تزال صالحة للاستعمال ، بعد القصف . لقد علمَ رجاله كيف يطلقون النار ، بالمعنى الحقيقي للتعبير ، وهي براعةٌ نادرة في الجيوش الاوروبية ، وعلمهم ان يكونوا قادرين على النظر الى العدو حين يُقبل . واذا كان ثمة دائماً فترات هادئة يصبح فيها اطلاق النار حرّاً ، فقد أتقنوا ذلك وبرعوا فيه .

بيد أنه كان عليك دائماً ان تحصي وتحصي سريعاً بعد القصف لسكي تعرف كم قانساً بقي لديك . ولقد اصيب ثلاث مرات ذلك الشتاء ، ولكنها كانت كلها جراحاتٍ صغيرة اقتصرت على لحم الجسد ولم تكسر العظم ، وكان قد أمسى على أتم اليقين من حصانته الشخصية بعد ان وثق من أنه كان من حقه أن يُقتل في قصف المدفعية الثقيلة الذي كان يسبق الهجمات دائماً . وأخيراً اصيب اصابة حقيقية والى الأبد . ان اياً من جراحاته الأخرى لم يقدر لها ان تفعل به ما فعله هذا الجرح البليغ . يخيلُ اليّ أن ذلك لا يعدو ان يكون ضياعَ الحصانة ، كذلك قال في ذات نفسه . حسناً ، إن هذه لخسارة ضخمة على أية حال .

لقد عنّت هذه البلاد شيئاً كثيراً عنده ، اكثر مما يُحسن أو يستطيع ، أبد الدهر ، الافضاء به الى احد من الناس ؛ ولقد استوى الآن في السيارة سعيداً لأنه سوف يجد نفسه ، بعد نصف ساعة اخرى ، في البندقية . وأخذ قرصيّ « منيتول هيكسانيترايت » فمذ أن غدا قادراً دائماً على البصق ، ابتداء من عام ١٩١٨ ، أصبح في ميسوره ان يأخذ هذه الأقراص من غير ماء .

وسأل السائق : « كيف انت ، يا جاكسون ؟ »

- « عظيم ، يا سيدي . »

- « أسلُكُ الطريق الخارجية اليسرى عندما نبلغ المنعطف المفضي الى ميستر ،
ولسوف يكون في ميسورنا ان نرى المراكب على طول القناة ونجتنب السير
في خط المواصلات الرئيسي هذا . »

فقال السائق : « نعم ، يا سيدي . هل لك ان تنبهني حين
نبلغ المنعطف ؟ »

فأجابه الكولونيل : « طبعاً . »

كانا يقتربان من «ميستر» في سرعة ، وكان ذلك اشبه شيء بالذهاب
الى نيويورك لأول مرة قدر لك ان تذهب فيها الى هناك ، في الأيام
الحالية ، حين كانت مشرقة ، بيضاء ، جميلة . لقد انسلت الى هناك
خلسة ، كذلك قال في ذات نفسه . ولكن هذا كان قبل ان تصبح
سماؤها ملبدة بالدخان . نحن ذاهبان الى مدينتي ، كذلك قال في ذات
نفسه . وحق المسيح ، انها لمدينة محببة الى القلب .

واستدارا عند المنعطف الأيسر ، وحاذيا القناة حيث شدت مراكب
صيد السمك ، ونظر الكولونيل اليها وكان قلبه مبتهجا بسبب من
الشباك السمراء واشراك السمك المصنوعة من أغصان مجدولة ، وصفوف
السفن الجميلة النظيفة . ولم يكن ذلك لأنها جدد مائة . الى الجحيم بكل
ما هو جد ماتع . لقد كانت جميلة الى حد لعين ليس غير .

واجتازا صف المراكب الطويل في القناة البطيئة التي حملت الماء من
الـ «برينتا» ، وفكر في امتداد الـ «برينتا» الطويل حيث كانت الدارات
الضخمة ، بمروجها وحدائقها وشجرات الدُلب وشجرات السمرو . إني
لأتمنى لو أدفنُ هناك ، كذلك قال في ذات نفسه . أنا أعرف المكان
معرفة حسنة جداً . ومع ذلك فلست أعتقد أن في امكاني ان ارتبب
هذه المسألة . لست ادري . انا اعرف أنا ما قد يميزون لي أن أدفن

في جباتهم . سوف أسأل البرتو . ولكنه قد يظن ان هذا تفكير
سوداوي .

وكان قد فكر منذ فترة بعيدة في جميع المواطن الرائعة التي يتمنى
لو يدفن فيها ، متسائلاً : ترى في اية رقعة من رقاع الارض اودّ أن
أفنى بحيث أشكل جزءاً منها لا يتجزأ ؟ إن القسم المنتن المتعفن من
شخصي لن يدوم ، في الواقع ، دهرأ طويلاً ، كذلك قال في ذات
نفسه ، وعلى اية حال فأنت مجرد ضربٍ من التبن الذي يُصطنع لوقاية
النباتات الصغيرة من الحر أو البرد ، وحتى العظام سوف تكون ذات
نفع آخر الامر . إني لأحبُّ ان أُدفن عند حافة الاراضي التابعة
لذلك البيت العتيق الانيق ، ولكن على مرأى منه ومن الشجرات
الكبيرة الفارعة الطول . ولست أحسب ان ذلك سينطوي على كبير
ازعاج لهم . ان في ميسوري أن أصبح جزءاً من الارض التي يلعب
فيها الاطفال في الأمسيات ، أما في الأصباح فلعلمهم ان يكونوا لا
يزالون يدرّبون خيلهم على الوثوب ، ولعل حوافر هذه الخيل أن تقرع
ارض الحلبة ، ولعل الاطروط ان يثب في البركة حين يشرع الذباب
في التفقيص .

وكانا قد أمسيا الآن فوق الطريق المرتفعة الممتدة من ميستر الى البندقية
حيث مصانع « بريدا » البشعة التي تذكرك بمدينة هاموند في انديانا .
وسأله جاكسون : « ماذا يصنعون هناك ، يا سيدي ؟ »
فأجابه الكولونيل : « الشركة تصنع القاطرات في ميلانو . ان القوم
هنا يصنعون قليلاً من كل شيء في الحقل التعديني . »
كان مشهد « البندقية » بشعاً الآن ، وكان الكولونيل يكره دائماً

١ - ضرب من السمك

هذه الطريق المرتفعة ، لولا أنها كانت توقع بعض المتعة في نفسك ، وتتيح لك رؤية القنوات والعوامات الخاصة بأرشاد السفن .

وقال لجاكسون : « هذه المدينة تكسب رزقها بعرق جبينها . لقد كانت في غابر الزمان ملكة البحار ، وابتاؤها أولو بأس شديد ، وهم يبالون بالاشياء اقل مما يبالي كل من سوف يُقدّر لك ابد الدهر أن تلتقيه . انها مدينة أقى من شين^١ حين تعرفها معرفة جيدة ، وكل امرىء فيها بالغ اللطف والتهذيب . »

« انا لا اميل الى القول إن شين^١ مدينة قاسية ، ياسيدي . »

« حسناً ، انها أقى من كاسبر^٢ . »

« هل تعتبر كاسبر مدينة قاسية ، ياسيدي ؟ »

« انها مدينة بترولية ، انها مدينة لطيفة . »

« ولكني لا اظنها قاسية ، ياسيدي . أو أنها كانت في ايما يوم

يوم من الايام قاسية . »

« حسن ، يا جاكسون . لعلنا ندور في حلقتين مختلفتين . أو

لعل لكل منا مفهوماً للكلمة مختلفاً . ولكن مدينة البندقية هذه ، وكل

من فيها لطيف مهذب ، لا تقلّ قسوة^٣ عن « كوك سيتي » ، بولاية

مونتانا ، في أيام « أولد تايمرز فيش فراي »^٣ . »

« ان ممفيس هي التي تمثل فكرتي عن المدينة القاسية . »

« انها تمثل هذا الضرب من المدن كما تمثله تشيكاغو . ممفيس ليست

قاسية عليك إلا اذا كنت زنجياً . أما تشيكاغو فقاسية شمالاً ،

١ - Cheyenne عاصمة ولاية ويومنج Wyoming بالولايات المتحدة الاميركية (المغرب)

٢ - Casper مدينة في اواسط ولاية ويومنج بالولايات المتحدة الاميركية (المغرب)

٣ - لعلها أسم حانة أو نحوها . (المغرب)

وجنوباً - ليس هناك شرق - وغرباً . ولكن القوم كلهم يعوزهم التهذيب . أما في هذه البلاد فاذا أردت في أي يوم من الايام ان تعرف مدينة قاسية حقاً ، مدينة يعرف الناس فيها كيف يأكلون ، أيضاً ، فاذهب الى مدينة بولونيا .

« انا لم اذهب الى هناك قط . »

فقال الكولونيل : « حسناً ، هناك مرأب «فيات» حيث تؤوي السيارة ، في استطاعتك ان تترك المفتاح في المكتب . انهم لا يسرقون . ولسوف امضي الى الحانة ريثما تؤوي السيارة فوق . ان لديهم أناساً سوف يجيئوننا بالحقائب . »

« هل تحسب ان من الحكمة ان تترك بندقيتك وعدة القنص في السيارة ، يا سيدي ؟ »

« من غير ريب . انهم هنا لا يسرقون . لقد قلت لك ذلك مرة . »

« لقد أردتُ أن اتخذ الاحتياطات الضرورية ، يا سيدي ، لصيانة ممتلكاتك الثمينة . »

فقال الكولونيل : « انت نبيل الى حدٍ يجعلك تتناً في بعض الأحيان . انزع الوسخ من اذنك واسمع ما اقله لك اول مرة . » فقال جاكسون : « لقد سمعتك يا سيدي . » ونظر اليه الكولونيل نظرةً ترشح بالتأمل وبطريقته الفتاكة المألوفة .

ليس من ريب في انه ابن عاهرة حقير ، كذلك قال جاكسون في ذات نفسه ، وإن في ميسوره ان يكون ظريفاً الى حد لعين .

« اخرج حقيبتى وحقيبتك وأرقفها هناك . وافحص زيتك ، وماءك ، وعجلاتك . » قال الكولونيل ذلك ومشى عبر اسمنت مدخل الحانة الملطخ بالزيت والمطاط .

و حين دخل الحانة كان يجلس الى المائدة الاولى ثري ميلاني^١ من
 أثرياء الحرب ، بدين جاف كما لا يستطيع احد غير ابناء ميلانو ان
 يكون ، والى جانبه خليلته الفاتنة ذات المظهر المترف . كنا يعاقران
 شراب الـ «نيغرونيس» ، وهو مزيج من الفيرموت وماء سيلتزر المعدني ،
 وتساءل الكولونيل عن مقدار الضرائب التي احتال الرجل لعدم دفعها
 لكي يشتري تلك الفتاة الناعمة ذات السترة الطويلة المصنوعة من فرو
 النمس الثمين ، وتلك السيارة المكشوفة التي كان قد رأى سائقها يتقدم
 بها خلال المنحدر الطويل الملتوي لكي يُقفل عجلاتها ، بعدد ، خشية
 الانزلاق . وحدق الرجل وصاحبه اليه بتلك الطريقة غير المهذبة التي عرف
 بها نوعها ، فألقى عليها التحية ، في فتور ، وقال لهما بالايطالية :
 « آسف لكوني ارتدي بزة عسكرية . ولكنها بزة عسكرية ، وليست
 لباساً رسمياً . »

ثم انه ولاهما ظهره ، من غير أن ينتظر حتى يرى اثر ملاحظته
 في نفسيهما ، وتقدم نحو المشرب . ومن المشرب كان باستطاعتك ان
 تراقب امتعتك ، كما كان المتهالكان على الربح المحرم يراقبان امتعتها .
 أغلب الظن انه «كوماندا تور»^٢ ، كذلك قال في ذات نفسه .

١ - من مدينة ميلانو.

٢ - فارس من ذوي الرتب العالية.

إنها تحفة جميلة الى حد لعين حقاً . ليت شعري كيف تكون الحال لو قدر لي ذات يوم ان املك من المال ما يمكّني من أن اشترى لنفسى شبيهاً لها كلهن ، ومن أن ألبسن^١ فراء النمى الثمين ؟ حسناً سوف ادفع ثمن التي عندي ، كذلك قال في ذات نفسه ، وفي استطاعتهم ان يذهبن ويشقن انفسهن .

وصافحه الساقى (البارمان) . كان هذا الساقى فوضوياً ولكنه لم يجد حرجاً البتة في ان يكون الكولونيل كولونيلاً . كان مبتهجاً بذلك معتزلاً به ودوداً من جرّائه ، وكأنه كان للفوضويين كولونيل أيضاً . وخلال الأشهر العديدة التي انقضت على تعارفهما بدا ، بطريقة ما ، وكأنه يستشعر أنه قد اخترع ، أو على الأقل شيد ، الكولونيل كما يجدر بالمرء ان يكون سعيداً بالمشاركة في تشييد برج اجراس ، وحتى في تشييد الكنيسة القديمة في تورشيلو .

وكان الساقى قد سمع الحديث ، او بالأحرى التقرير الرتيب الخالي من الحياة ، الدائر على المائدة ، وكان بالغ السعادة .

وكان الكولونيل قد طلب ، من طريق المنضدة المتحركة ، شيئاً من «جن»^٢ غوردون ومن الكامباري . وقال الساقى : «الشراب آتٍ في تلك الأداة التي تدفع باليدى . كيف يجري كل شيء في تريستا ؟»

— «على الوجه الذي تتخيله ، تقريباً» .

— «انا لا اقوى حتى على التخيل .»

فقال الكولونيل : «اذن لا تجهد نفسك ، وهكذا لن تصاب بداء

البواسير ابد الدهر .»

— «لو كنت كولونيلاً لما باليت بهذا الداء .»

١ - الجن والكامباري campari ضربان من الاشربة المسكرة . (المعرب)

- « أنا لا ابالي به البتة . »

فقال الساقى : « سوف تُسحَق مثل جرعة من ملح انكليزي . »

فقال الكولونيل : « لا تخبر باسياردي المبجل . »

وضحك هو والساقى لهذه النكتة لان باسياري المبجل كان وزير الدفاع في الجمهورية الايطالية . كان في مثل سنّ الكولونيل ، وكان قد ابلى في الحرب العالمية الأولى بلاء حسناً ؛ وكان قد قاتل أيضاً في اسبانية بوصفه قائد كتيبة حيث عرفه الكولونيل عندما كان هو نفسه مراقباً . وكانت الجدّة التي غلبت على باسياردي المبجل طوال توليته وزارة الدفاع في بلدٍ لا سبيل الى الدفاع عنه موضع تنذر الكولونيل والساقى معاً . فقد كان كل منها رجلاً عملياً ، وكان في مجرد تحيّلها ذلك الرجل يدافع عن الجمهورية الايطالية ما يثير تفكيرهما .

وقال الكولونيل : « يبدو لي أن الأمر مضحك هناك . ولست أجد

أبي بأس في ذلك . »

فقال الساقى : « يتعين علينا أن نُمكنين^١ باسياردي المبجل . وأن

نزوده بالقنبلة الذرية . »

فقال الكولونيل : « ان لديّ ثلاثاً منها في مؤخر السيارة . انها من

الطراز الجديد الكامل غير المنقوص . ولكننا لا نستطيع تركه اعزل من

السلاح . يتعين علينا ان نزوده بميكروب داء الجفرة وبمسمّات الأظعمة . »

وقال الساقى : « ليس في استطاعتنا ان نخذل باسياردي المبجل . فلأن

يحميا المرء يوماً واحداً مثل أسد من الاسود خير له من ان يحميا مئة عام

مثل خروف من الخراف . »

فقال الكولونيل : « خيرٌ لنا ان نموت واقفين على اقدامنا من ان

١ - mechanize ، أي ان تزوده بالعتاد الميكانيكي . (المرب)

نحيا راكعين على رُكَبنا . على الرغم من انه من الافضل لك ان تسارع الى الانبطاح على بطنك اذا أردت ان تظل على قيد الحياة في مواطن كثيرة . «

– « لا تقل أي شيء هدام ، أيها الكولونيل . »

فقال الكولونيل : « سوف نختنقهم بأيدينا العزلاء . ان مليون رجل سوف يسارعون الى حمل السلاح هذه الليلة . »
فسأله الساقى « أي سلاح ؟ »

فقال الكولونيل : « كل ما سيقع في متناولهم . انه مجرد مشهد من مشاهد المسرحية الكبرى . »

في تلك اللحظة بالذات وفد السائق ووقف بالباب . وادرك الكولونيل انه لم يراقب ، فيما كانا يتندران ، باب الحانة ، ولقد كان يضيق دائماً بأية غفلة تبدر منه فتتسبه التعلق بأسباب الاختراس والأمن .

– « ما الذي يبقيك هناك ، بحقّ الجحيم ، يا جاكسون ؟ هيتا اشرب كأساً . »

– « لا . اشكرك يا سيدي . »

يا لك من غرّة مغالٍ في الغرارة ، كذلك قال في ذات نفسه . ثم اضاف مصححاً موقفه : ولكن من الخير لي أن أكفّ عن مناكذته .

– « لن تنتضي دقيقة واحدة حتى نكون قد ذهبنا . » كذلك قال الكولونيل . « لقد كنت اتعلم الايطالية من صديقي هذا . » والتفت ليرى الى الميلانيّين العائشين على الربح المحرّم . ولكنهما كانا قد انصرفا . لقد بدأت أصبح فاتر الهمّة الى حد رهيب ، كذلك قال في ذات نفسه . ان ايما امرئ سوف يكون قادراً الآن على ان يغلبني في ايما يوم من الايام . وربما باسياردي المبجل نفسه .

وسأل الساقى في اقتضاب : « بكم أنا مدين لك ؟ »

فأنبأه الساقى ، ونظر اليه بعينيه الايطاليتين الحكيمتين . انه لم يكن

مرحاً الآن ، برغم أن اسارير المرح كانت واضحة المعالم في حينما شعت زوايا عينيه . أنا ارجو ان لا يكون قد ألمّ به أيما خلل ، كذلك قال الساقى في ذات نفسه . أنا اضرع الى الله ، أو ايما شيء آخر ، ان لا يكون قد أصابه مكروه حقيقي .

وقال : « الى اللقاء يا زعيمي . »

فقال الكولونيل : « الى اللقاء . جاكسون ، سوف نهبط المنحدر الطويل ثم نتجه الى الشمال تماماً من المخرج الى حيث أرسيت الزوارق البخارية الصغيرة . الزوارق المصقولة أعني . هناك حمال لنقل الحقيبتين . إن من الضروري أن ندعمهم يحملونها ما داموا يملكون امتيازاً خاصاً بذلك . »

فقال جاكسون : « نعم ، يا سيدي . »

وخرج من الباب ، ولم يلتفت أي منها الى أحد .

وعند المهبط المفضي الى الماء نفح الكولونيل الرجل الذي حمل الحقيبتين بشيء من المال . ثم أجال بصره في ما حوله بحثاً عن مراكيبي يعرفه ولم يتبين الرجل الذي كان في اقرب الزوارق البخارية اليه ، ولكن المراكبي قال : « طاب يومك ، يا زعيمي . أنا الأول . »

— « ما الأجرة الى غريبي ؟ »

— « انت تعرف ذلك جيداً كما اعرفه ، يا زعيمي . اننا لانسوم .

لدينا تعرفه رسمية . »

— « ما هي التعرفة ؟ »

— « ثلاثة آلاف وخمسة لير . »

— « لقد كان في استطاعتنا ان نركب الزورق البخاري الصغير

بستين ليراً . »

فقال المراكبي الذي كان رجلاً متقدماً في السن ، ذا وجه احمر ولكنه غير صفراوي المزاج : « وليس ثمة ما يمنعك من ذلك . انهم لا

ياخذونك الى الـ «غريتي» ، ولكنهم سوف يقفون بك عند المهبط الذي وراء حانة هارتي ، وفي استطاعتك ان تتلفن طالباً من الـ «غريتي» أن يبعث اليك بمن يحمل امتعتك .

وأى شيء سأشتريه بالثلاثة آلاف وخمسة لير اللعينة ؛ وهذا رجل رجل عجوز طيب .

- «هل تريدني أن ارسل ذلك الرجل الى هناك ؟» وأوماً الى رجل عجوز متهدم كان يقوم بمهام غريبة ويسعى بالرسائل حول الاحواض ، مستعداً دائماً لإسداء المعونة غير الضرورية لمرفق المسافر الصاعد او النازل ومستعداً دائماً للمساعدة حين لا تكون ثمة اي حاجة لمساعدة ، باسطاً يده بقبعته اللبادية العتيقة فيما هو ينحني انحناء الاحترام بعد اداء العمل الذي لا حاجة اليه . «انه سوف يقودك الى الزورق البخاري الصغير . إن ثمة واحداً سيُقبل بعد عشرين دقيقة .»

فقال الكولونيل : «الى الجحيم به !خذني الى الغريتي .»

فقال المراكبي : «بكل سرور!»

وخفض الكولونيل وجاكسون رأسيهما ودخلا الزورق البخاري الذي بدا وكأنه مركب من مراكب السباق . كان مصقولاً على نحو مشعّ ، وكان مصنوعاً بكثير من العناية ، مُسَيَّراً بمحركٍ بحريّ كان في الأصل محرك «فيات» صغيراً خدم طوال مدته المحددة له في سيارة طيب من اطباء الأقاليم ثم اشترى من مقابر السيارات ؛ جبانات الافيال الميكانيكية تلك التي هي الشيء الذي لا بد أن تقع عليه في عالمنا هذا قرب أيما بقعة أهلة بالسكان . وبعد ذلك اعيد تكييفه وخلق خلقاً آخر ليستهل هذه الحياة الجديدة في قنوات هذه المدينة .

- «كيف تجد هذا المحرك ؟» كذلك سأله الكولونيل . كان في ميسوره ان يضحّ مثل دبابية ، او مثل مدمرة دبابات ، اثختها الاصابات ، لولا ان ضجيجها كان مُتمنماً بسبب من فقدان القوة .

فأجابه المراكبيّ : « بين بين » ، وحرك يده الطليقة بإيماء متوازية .
- « يتعين عليك أن تصطنع اصفر طراز نخرجه شركة يونيفرسال . ذلك
هو احسن واخف محرك بحري أعرفه . »
فقال المراكبيّ : « اجل » ان ثمة بعض الأشياء الصغيرة التي يتعين عليّ
أن آتي بها .
« لعل سنتك هذه ان تكون سنة خصبة . »

- « هذا ممكن دائماً . ان كثيراً من المتهالكين على الربح المحرم
يفدون من ميلانو ليقامروا في « الليدو » . ولكن أيتاً منهم لا يركب
متن هذا الزورق ، مرتين اثنتين ، عن عمد . وهو ، كمركب ، ممتاز
أيضاً . إنه مركب مريح حسن البنية . طبعاً ، انه ليس جيلاً مثل
غندول . ولكنه يحتاج الى محرك . »

- « قد استطيع أن آتيك بمحرك « جيب » . محركٌ حَكِم عليه
بعدم الصلاح ولسوف يكون في امكانك أن تسوّيه وتصلحه . »
فقال المراكبيّ : « لا تتحدّث عن أشياء كهذه . أن اشياء مثل
هذه لا تحدّث . أنا لا أريد ان افكر في ذلك . »
فقال الكولونيل : « في استطاعتك ان تفكر فيه . أنا اقول
الحقيقة . »

- « انت تعني ما تقول . »
- « من غير ريب . انا لا أضمن أيّ شيء ، ولكنني سوف ارى
ما الذي استطيع ان افعله في هذه السبيل . كم ولدأ لك ؟ »
- « ستة . صبيّان وأربع بنات . »
- « يا للجميل . يخيّل اليّ انك لم تؤمن بالنظام . ستة اولاد فقط ؟ »

١ - يقصد النظام الفاشيستي ، وكان موسوليني قد دعا ابناء الامة الايطالية الى الاكثار من
المحباب الاطفال ورضع الجوائز لتشجيعهم على ذلك ، (المغرب)

- « لا ، انا لم اؤمن بالنظام . »

فقال الكولونيل : « لست مكلفاً ان تتظاهر أمامي بذلك . فقد كان جدّ طبيعي بالنسبة اليك ان تؤمن بالنظام فعلاً . أتحنسب أني أضطغن على رجل ما ، بسبب من ذلك ، بعد أن كسبنا الحرب ؟ »

كانوا ينطلقون الآن في الجزء الرتيب من القناة ، الذي يمتدّ من « بياتزال روما » الى « كافوسكاري » برغم أن أياً من اجزائها ليس رتيباً ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه .

ليس من الضروري أن يكون المشهد كله قصوراً أو كنائس . إنه ليس رتيباً من غير ريب ، والتفت الى اليمين ، الجانب الأيمن من الزورق ، كذلك قال في ذات نفسه . أنا فوق الماء . كانت بناية طويلة خفيفة سائفة . وكان الى جانبها مطعم .

يتعين عليّ أن أحيها هنا . ولسوف يكفيني راتب التقاعد للميش في مجبوحة . لا حاجة بي الى قصر غريقي . كل ما اريده هو حجرة في بيت كهذا والمد والجزر والمراكب الفادية الراححة . ان في استطاعتي عندئذ ان أطالع الصحف صباحاً ، واطوّف ماشياً في المدينة قبل الغداء ، وامضي كل يوم لأرى لوحات تينتوريتو^١ في الاكاديمية واذهب الى « مدرسة سان روكو » ، وأتناول الطعام في الحانات الرخيصة الجيدة خلف السوق ، أو ربما استطاعت المرأة التي تدبر شؤون البيت ان تطهو في الامسيات .

يخيّل اليّ ان من الافضل لي أن أتناول طعام الغداء في الخارج وأن انعم بشيء من رياضة المشي . إنها مدينة ملائمة للمشي . بل لعلها خير المدن من هذه الناحية ، في ما اعتقد ، فأنا لم أتمشّ فيها ذات مرة إلا

١ - Tintoretto فنّان بندقوي (فينيسي) ١٥١٨ - ١٥٩٤ . (المررب)

ونفمتُ بمتعة . هذا شيء استطعت ان اتعلمه على احسن وجه ، كذلك قال في ذات نفسه ، ومن ثم يُلمّ بي ذلك .
انها مدينة غريبة معقدة ، وان السير من ايما جزء منها الى أي جزء آخر خيرٌ من حل احاجي الكلمات المتقاطعة . وانه لمن الاشياء القليلة التي تشرفهم أنهم احتراموها .

وحق المسيح ، أنا أحبها ، كذلك قال ، واني لاستشعر أعظم السعادة لأنني اسهمتُ في الدفاع عنها وانا غلامٌ غرٌّ لم تتم له معرفة باللغة وافية ، ولم اكن قد رأيتها من قبل قط حتى كان ذلك اليوم الصاحي ، من ايام الشتاء ، عندما انكفأت لأضمد ذلك الجرح اليسير ، فرأيتها تنبثق من البحر . يا للبحيم ، كذلك قال في ذات نفسه ، لقد ابلىنا بلاءً حسناً ، ذلك الشتاء ، عند ملتقى خطوط السكك الحديدية . لشد ما أتمنى لو احارب من اجلها كرة اخرى ، كذلك قال في ذات نفسه ، وانا أعرفُ ما أعرفُ الآن ، ونحن نملك ما نملك الآن . ولكنهم سوف يستولون عليها من جديد ، والمشكلة الأساسية ستظل هي هي ، ولن يكون ثمة من جديد غير هذا السؤال : من الذي يسيطر على الاجواء ؟

وكان طوال هذا الوقت يتأمل مقدمُ الزورق المرهق الجميل الصقال المعلق بالنحاس على نحو دقيق - وقد لمعَ النحاس كله تليماً فاتناً - وهو يشق عباب الماء الأسمر ، ويواجه مشكلات السير الصغيرة . لقد مضواً تحت الجسر الأبيض ، وتحت الجسر الخشي الذي لم يتم انشاؤه بعد . ثم انهم غادروا الجسر الأحمر الممتد الى اليمين وجروا تحت اول جسر أبيض شاهق . وانتهوا الى الجسر الحديدي الأسود الخرم القائم فوق القناة المفضية الى ريو نووفو ، واجتازوا الدعامتين

١ - Rio Nuovo او «النهر الجديد» (المغرب)

التي شددت كل منها الى الاخرى بالسلاسل ولكن من غير أن تتماسا :
مثلنا نحن ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . لقد رأى الى تيار
الماء يندفع نحوهم ، ولاحظ كيف ثلثت السلاسل الحشَبَ وأبكتته منذ
ان رأها أول مرة . وقال في ذات نفسه : هذه حالنا نحن . وهاتان
الدعامتان نُصبان تذكاريان لنا . وما اكثر النصب التذكارية المشيدة لنا
في قنوات هذه المدينة !

ثم انهم واصلوا تقدمهم في تودة حتى المصباح الكبير القائم عند
عين المدخل المفضي الى « القناة الكبرى » حيث بدأ المحرك يحترق احتضاره
المعدني الذي أحدث زيادةً طفيفة في السرعة .

عندئذ انحدر تحت الاكاديمية بين الدعائم التي اجتازوها ، وقد كاد ان
يمسها ، زورق من زوارق الديزل أسودٌ مُثَقَّلٌ بأحمال الحطب المقطع
قطعاً قصيرةً غليظة لكي تُستعمل وقوداً في بيوت « المدينة البحرية »
الرطبة .

وسأل الكولونيل المراكبي : « هذا الحطب من خشب الزان ،
ليس كذلك ؟ »

« من خشب الزان وغيره من الحشَب الأرخص منه والذي لا اذكر
في هذه اللحظة اسمه . »

« خشب الزان للنار المكشوفة كفحم الانتراسيت للموقد . من
ين يقطعون خشب الزان ذلك ؟ »

« انا لست جبلياً . ولكني احسب أنه يأتي مما وراء « باستانو »
على الضفة الأخرى من الـ « غرابا » . لقد ذهبت الى الـ « غرابا » لأرى
اين يُدفن اخي . لقد صُرع في حملة شنوها من « باستانو » ، ولقد ذهبنا
الى المقبرة الكبيرة . ولكننا رجعنا من طريق « فيلتر » . كان في استطاعتي
أن ارى ثمة غابات ملتفة عند الجانب الآخر فيما انت تهبط الجبال الى

الوادي . لقد هبطنا تلك الطريق العسكرية ، وكانوا آنذاك يحرّون
مقادير ضخمة من الحطب . »

- « في اية سنة قتيل اخوك على نهر الغرابا ؟ »

- « عام الف وتسعمئة وثمانية عشر . كان وطنياً ، ألهبه الاستماع الى
حديث دانونزيو^١ ، ولقد تطوَّع قبل أن يُدعى أترابه الى الخدمة العسكرية .
اننا لم نعرفه في اياما يوم معرفة حسنة جداً لأنه قضى نحبه في سرعة
بالفة . »

- « كم ولداً كنتم ؟ »

- « كنا ستة . لقد فقدنا اثنين وراء الـ « ايزونزو »^٢ ، وواحد
على الـ « بينيززا » ، وواحد على نجد الكارسو . ثم فقدنا هذا الاخ الذي
أتحدث عنه على الـ « غرابا » ، وبقيت انا وحدي . »

فقال الكولونيل : « سوف آتيك بمحرّك الـ « جيب » ، ذلك كاملاً غير
منقوص ، أما الآن فلنقلع عن التفكير السوداوي ولنبحث عن جميع
المواطن التي يقيم فيها اصداقائي . »

كانوا يصعدون الآن في « القناة الكبرى » ، ولقد كان من اليسير عليك
أن ترى اين يقيم اصداؤك .

وقال الكولونيل : « ذلك هو قصر الكونتيسا داندولو . »

ولم يقل ، بل فكّر مجرد تفكير ، انها تخطّت الثمانين ، وانها
يهيجة النفس مثل فتاة في مقتبل العمر ، ولا تستشعر اي خوف من
الموت . انها تصبغ شعرها ليستحيل لونه الى احمر ، وهو يبدو

١ - Gabriele D'Annunzio (١٨٦٣ - ١٩٣٨) مؤلف وجندي ايطالي اشتهر
بغامراته ووطنيته المتبهة . (المغرب)

٢ - Isonzo نهر يؤلف جزءاً من الحدود بين ايطاليا ويوغوسلافيا . (المغرب)

جيلاً جداً . انها رفيق طيب ، وامرأة رائعة .

كان قصرها بهيئة الطلعة ، تُشيد على مبعده غير يسيرة من القناة ، وُجِعِلت في مقدمته حديقة ، وُبني له مهبط الى البحر خاص به ، حيث أُقبلت في اوقات مختلفة غناديل كثيرة تحمل على متونها اناساً جذلين مبتهجين لما تنقش الفشاوة عن أعينهم ولكن اكثرهم كان مبتهجاً لأنه كان على وشك الاجتماع بالكونتيسة داندولو .

والآن ، وفيما هم يصعدون في القناة ، في وجه الريح الباردة المقبلة من ناحية الجبال ، وقد بدت البيوت واضحة حادة الزوايا كشأنها في يوم من ايام الشتاء - ولقد كان يومهم ذاك شتوياً من غير ريب - رأوا سحر المدينة وجمالها . ولكن ذلك كان مرتبطاً ، في ذهن الكولونيل ، بمعرفته كثيراً من الناس الذين عاشوا في القصور ؛ او بمعرفته - إن لم يكن في تلك القصور من يقطنها الآن - لأي غرض كانت هذه المواطن المختلفة قد اصطنعت .

هناك يقوم قصر والدة الفاريتو ، كذلك حدث نفسه ، ولكنه لم ينطق بهذه الكلمات .

إنها لا تطيل الإقامة هناك ابداً ، وهي تقضي معظم أيامها في البيت الريفي قرب تريفيزو ، حيث توجد أشجار كثيرة . لقد سميت عَطل «البندقية» عن الأشجار . كانت قد فقدت رجلاً ممتازاً ، فليس يثير شوقها الآن إثارة حقة غيرُ الفعالية والنشاط .

ولكن الاسرة اعارت القصر ، ذات يوم ، لجورج غوردون - اللورد بايرون^٢ - وليس ينام الآن احد في سرير بايرون او في السرير الآخر

١ - جمع غندول .

٢ - الشاعر الانكليزي المعروف . (المرئ) .

الذي في الدور الادنى حيث كان من دأبه ان يضطجع مع زوجته الغناديلي^١ . انها لم يكونا مقدسين أو مَخْلُفَيْنِ اثريين . لا ، لقد كانا مجرد سريرين زائدين لم يستعملا في ما بعد لاسباب مختلفات ، او ربما احتراماً للورد بايرون الذي كان جدّ محبوب في هذه المدينة على الرغم من جميع الاخطاء التي ارتكبها . ان عليك ان تكون غلاماً طياشاً في هذه المدينة لكي 'تَحَبِّ' ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . انهم لم يبالوا قط ، اقلّ مبالاة بروبرت براوننج^٢ ، أو بمسز روبرت براوننج ، أو بكلبها . فهؤلاء لم يكونوا بنادقة برغم كل ما تميّزت به كتاباته عنها من براعة . ولكن ما الغلام الطياش ، كذلك سأل نفسه . إنك تستعمل اللفظة على نحو يُعوزها الأحكام الى حدّ يجعل من الخير لك أن تحاول تحديدها . أنا أحسب ان الطياش هو الرجل الذي يضع تمثيلته ثم ينفق عليها المال . أو هو مجرد الرجل الذي ينفق المال على تمثيلته . وأنا لا افكر الآن بالمرح ، كذلك قال في ذات نفسه . برغم كل ما قد ينطوي عليه المسرح من متعة .

ومع هذا ، كذلك قال في ذات نفسه ، وقد بَصُرَ الآن بالدارة الصغيرة القائمة على مقربة من الماء جدّ دانية ، فبدت في عينيه بشعة مثل مبنى قد تراه وانت على متن أحد القُطُر الحديدية التي تنقل الركاب من ثغر الهافر أو ثغر تشيربورغ عندما تبلغ في طريقك الى العاصمة تلك الضاحية القائمة على ابواب باريس . كانت مغطاةً بأشجار يعوزها التنسيق ، ولم تكن موطناً ترغّب في الاقامة فيه اذا ملكت القبول والرفض . ومع هذا فقد عاش هو هناك .

لقد أحبوه لموهبته ، ولأنه كان رديئاً ، وكان شجاعاً . كان غلاماً

١ - الغناديلي : الرجل الذي يحذف في الغندول .
٢ - Browning شاعر انكليزي كبير ، ١٨١٢ - ١٨٨٩ . (المغرب)

يهودياً لا يملك شيئاً ، ومع ذلك فقد ألهب البلاد بموهبته ، وببلاغته . لقد كان أشدّ بؤساً من أيما شخصية عرفتها وأكثر حقارة . ولكن الرجل الذي افكر فيه لأقارنه به لم يقامر قط وقد خاض غمار الحرب ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . والواقع ان غابرييل دانونزيو (لقد تساءلت دائماً تُرى ما اسمه الحقيقي ، كذلك فكر الكولونيل ، لأنّ أحداً لا يسمّى دانونزيو في بلاد عملية ، ولعله لم يكن يهودياً ، وأية أهمية ليهوديته أو لايهوديته) كان قد تنقّل من سلاح من اسلحة الجيش الى سلاح ، كما تنقّل من ذراعي امرأة الى ذراعي امرأة .

وكانت جميع اسلحة الجيش التي خدم دانونزيو في صفوفها سائفة مستعذبة ، ولقد انجز رسالته فيها بسرعة ويسر ، ما عدا سلاح المشاة . لقد تذكر كيف فقد دانونزيو احدى عينيه في حادث ارتطام بينما كان يطير - بوصفه مراقباً - فوق تريستا أو « بولا » وكيف أنه حجب بعد ذلك عينه الضائعة تلك بعصابة ما حجباً موصولاً ، وكيف ان الناس الذين لم يعرفوا حقيقة الأمر ، ذلك بأن احداً آنذاك لم يكن يعرف تلك الحقيقة ، حسبوا أن رصاصة اصابتها في الـ « فيليكسي » أو « سان ميشيل » ، أو ايما موطن وخيم آخر وراء « الكارسو » حيث مات كل من تعرفه أو اصيب بعجزٍ مُقعد . ولكن دانونزيو كان ، في الحق يبلي بلاءً بطولياً في الاشياء الاخرى . إن الجندي المنتظم في سلاح المشاة يتقن صناعة غريبة ، كذلك قال في ذات نفسه . لعلها اغرب الصناعات قاطبة . لقد طار غابرييل ، ولكنه لم يكن طياراً . لقد انخرط في سلاح المشاة ولكنه لم يكن جندياً من الجنود المشاة ، وكانت المظاهر دائماً واحدة .

وتذكر الكولونيل ذات يوم عندما وقف دانونزيو ، على رأس فصيلة من فصائل الهجوم ، فيما كان المطر يهطل في احد فصول الشتاء المتطاولة

الى ما لا نهاية ، حين كان المطر لا يفتأ يهطل على نحو موصول ، او على الأقل حين كان يهطل على نحو موصول كلما استمرضت القوات أو وُجِّهت اليها الخطاب ، وكان دانونزييو بعينه المفقودة ، المحجوبة بعصابة ، ووجهه الابيض الابيض مثل بطن سمكة من «سمك موسى» طازجة قلبت في السوق ظهراً لبطن فليس يرى جانبها البنيّ وقد بدت وكأنها ماتت منذ ثلاثين ساعة يهتف صائحاً : « الموت ليس كافياً ! » وكان الكولونيل - وكان آنذاك مجرد ملازم ثانٍ - قد قال في ذات نفسه : « يا للجميل ! وما الذي يطلبونه منا اكثر من ذلك ؟ »

ولكنه كان قد استمع الى الخطاب في غير انقطاع . وفي الختام ، عندما طلب المقدّم دانونزييو . وهو كاتب وبطل وطنيّ ، بطل حقيقي مشهود له بذلك إن لم يكن بدّ من أن يكون لنا ابطال ، وكان الكولونيل لا يؤمن بالأبطال - من قواته أن يقفوا دقيقة صمت اجلالاً لموتانا الماجدين ، وقف هو متصلباً ورفقة الإجلال والاحترام . ولكن فصيلته التي لم تكن قد تتبعت الخطاب ، اذ لم يكن ثمة آنذاك مكبرات صوت ، وكانت على مبعده لا تمكنها من سماع الخطيب ، استجابت استجابة رجل واحد خلال فترة الصمت اجلالاً لموتانا الماجدين يهتاف صارخ مدوّ «فليحي دانونزييو !»

لقد سبق لدانونزييو ان خَطَبَهُمْ قبل الانتصارات ، وقبل الهزائم ، ولقد عرفوا ان عليهم ان يهتفوا كلما تمهل الخطيب او أمسك عن الكلام . وكان الكولونيل - بوصفه ملازماً ثانياً محباً لفصيلته آنذاك - قد شاركهم وهدف بلهجة الأمر «فليحي دانونزييو !» صافحاً بذلك عن جميع اولئك الذين لم يستمعوا الى المحاضرة او الخطاب أو الخطبة ، ومحاولاً - بقدر ما يستطيع ملازم ثانٍ ان يحاول أي شيء غير الصمود في موقع يتعدّر الدفاع عنه أو أداء دوره الخاص في هجومٍ ما بشيء من الذكاء - ان يشاركهم جرئتهم .

ولكنه كان الآن يمرّ بالمنزل الذي عاش فيه الغلام المضى المعجوز مع
ممثلته الكبيرة ، المحزونة ، التي لم تنعم قط بحبّ الناس كما ينبغي لها
أن تنعم ، وفكّرَ في يديها الرائعتين ، وفي حياها القلّب الذي لم
يكن جيلاً ولكنه كان قادراً على أن يمنحك الحب والمجد والبهجة
والكتابة جميعاً ، وفي الطريقة التي كان باستطاعة منحني زندها أن
يسحق بها قلبك ، وقال في ذات نفسه : يا للمسيح ! لقد ماتا ، ولست
أعرف حتى ذلك الموضع الذي دُفن فيه كل منها . ولكني أرجو من
غير ريب ان يكونا قد استمتعا بالاقامة في ذلك المنزل .

وقال : « جاكسون ، هذه الدارة الصغيرة القائمة الى اليسار كانت
ملكاً لغابرييل دانونزيو ، الذي كان كاتباً عظيماً . »

فقال جاكسون : « نعم ، يا سيدي . أنا سعيد بأن اعرف ذلك
عنه . إني لم اسمع به قط من قبل . »

فقال الكولونيل : « سوف احيطك علماً بما كتب اذا ما رغبت في
يوم من الأيام في قراءة آثاره . إن ثمة بعض الترجمات الجيدة لآثاره . »
فقال جاكسون : « شكراً ، يا سيدي . اني لأحب ان اقرأه كلما
وجدت متسعاً من الوقت . ان له لمنزلاً جميلاً عملياً السّمة . ما الأسم الذي
قلت لي إنه كان يحمله ؟ »

فأجابه الكولونيل : « دانونزيو . كاتب . »

واضاف في ما بينه وبين نفسه - غير راغب في أن يشوِّش جاكسون ،
أو أن يعقّد الاشياء كما قد عقدها على صاحبه مرات عديدة في ذلك
اليوم : كاتب ، شاعر ، بطل وطني ، صانع جدّلية الفاشية ، معجب
بنفسه الى حد فظيخ ، طيار ، أمرّ - أو راكب - في طليعة مراكب
الهجوم النسّافة السريعة ، مقدّم (ليوتنان كولونيل) في سلاح المشاة من
غير ان يعرف كيف يقود سرية بل من غير ان يعرف كيف يقود فصيلة

على نحو صحيح ؛ مؤلف الـ Notturmo ' العظيم المحبوب الذي نجبه ،
ورجل غرّ .

وأمامهم الآن كان مَعْبَرٌ للفناديل عند الـ « سانتا مارييا ديل جيغليو » ،
وراء ذلك كان حوض الـ « غريتي » الخشي .
- « هذا هو الفندق الذي سننزل فيه يا جاكسون . »

وأشار الكولونيل الى القصر الحلو الصغير الوردى اللون ، المؤلف من
ثلاثة ادوار ، والمتاخم للقناة . كان من قبل تابعاً « للفندق الكبير » ،
ولكنه امسى الآن فندقاً مستقلاً - فندقاً ممتازاً أيضاً . ولعله كان خير
الفنادق ، اذا كنت غير راغب في من يتملكك ، أو يضايقك من طريق
المغلاة في العناية بك ، أو من طريق المغلاة في التذلل لك ، في مدينة
حافلة بالفنادق الكبرى . ولقد كان الكولونيل يحب ذلك الفندق .

وقال جاكسون : « يخيل الي أنه جيد . »

فقال الكولونيل : « اجل ، انه جيد . »

ومضى الزورق البخاري ببسالة في محاذاة دعائم الحوض الخشبية . إن
كل حركة يقوم بها ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، هي انتصار بسالة تلك
الماكينة المعمّرة . اننا لا نملك اليوم خيول حرب مثل « المترحل » ،
المعجوز old Traveller أو مثل « ليزيت » Lysette ماربوت الذي قاتل ،
شخصياً ، في معركة « ايلو » . ان لدينا بسالة القضبان البالية التي تأتي
أن تنقصم ، وبسالة رأس الاسطوانة الذي لا ينفجر ، على الرغم من ان
له ملء الحق في الانفجار وما اليه .

وقال جاكسون : لقد « انتهينا الى الحوض ، ياسيدي » .

١ - وتعني بالاطالية : ليليّ ، أو ذو صلة بالليل .

- « يا للجحيم ، والى اين تريدنا ان ننتهي اذن ايها الرجل ؟ اقفز الى اليابسة ريثما ادفع الى هذا الرياضي حسابه . »

والتفت الى المراكبي وقال : « لقد اتفقنا على ثلاثة آلاف وخمسة لير ، أليس كذلك ؟ »

- « نعم ، يا زعيمي ! »

- « انا لن انسى مسألة محرك الـ «جيب» الطاعن في السن . خذ هذه واشترِ لفرسك بعض الشوفان . »

وسمع الحمال ، الذي كان يحمل الحقيبتين من جاكسون ، هذا الكلام وضحك .

- « ليس ثمة بندي واحد مستعد لأن يصلح من شأن فرسه . »

فقال المراكبي : « إنها لا تزال تجري . »

فقال الحمال : « ولكنها لا تكسب اي سباق . كيف انت ، يا زعيمي ؟ »

فأجابه الكولونيل : « في حال لا استطيع ان تكون على خير منها . كيف حال اعضاء المنظمة ؟ »

- « جميع الاعضاء بخير . »

فقال الكولونيل : « حسن . سوف أدخل وأرى المايسترو الأعظم . »

- « انه ينتظرك ، يا زعيمي . »

فقال الكولونيل : « فلنوفرّ عليه الانتظار ، يا جاكسون . في استطاعتك أن تمضي الى الردهة ، مع هذا السيد ، وتطلب اليهم ان يسجلوني بين نزلائهم . » ثم التفت الى الحمال وقال : « حاول ان تؤمّن للرقيب (السرجانت) حجرة . إننا سنقضي هذه الليلة فقط في هذا المكان . »

- « كان البارون ألفاريتو يبحث عنك هنا . »

- « سوف التقيه في حانة هاري . »

- « حسن ، يا زعيمي . »
- « اين المايسترو الأعظم ؟ »
- « سوف ابحت لك عنه . »
- « قل له انه يستطيع ان يمدني في المشرب . »

وكان المشرب يقع عبر ردهة الـ «غريقي» مباشرةً ، على الرغم من أن لفظة «ردهة» - كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه - لم تكن هي التعبير الملائم لوصف ذلك المدخل الأنيق . وفكّر : ألم يصف غيوتو دائرة؟ لا ، لقد كان ذلك في الرياضيات . وكان خير ما تذكره وأحبه من النوادر المتصلة بذلك الرسام قول غيوتو ، وهو يرسم الدائرة الكاملة : «لقد كانت سهلة» . من الذي قال ذلك - بحق الجحيم - وأين ؟

- «طاب مساؤك ، أيها المستشار الخاص .» كذلك قال للساقى الذي لم يكن عضواً في المنظمة مدفوعَ الراتب على نحو كامل ، والذي لم يكن الكولونيل راغباً مع ذلك في اغضابه . «أية خدمة تستطيع أن أسديها اليك؟»

- «اشرب يا زعيمي .»

وأطل الكولونيل من نوافذ المشرب وبابه وسرّح بصره في مياه «القناة الكبرى» . كان في استطاعته ان يرى مرَبَطَ الغناديل الكبير الأسود ، وظلالَ اضاءة الأصيل المتأخر الشتوية على صفحة الماء الذي عبثت به الريح . وعَبَّرَ القناة كان القصر العتيق ، وكان مركب شراعي اسود عريض من مراكب نقل الخشب يصعد في القناة ، وكان مجذافها

الاماميان العريضان يناضلان ضد موجة ما ، على الرغم من أن الريح كانت تدفع المركب من خلاف .

فقال الكولونيل : « إسقني كأساً من المارتيني المزاء الى أبعد حد . مارتيني مزدوج . »

في تلك اللحظة وفد المايسترو الاعظم من الحجره . كان يرتدي ملابسه الرسمية كنادلٍ أكبر ، وكان وسيماً حقاً كما ينبغي للرجل ان يكون ، وكانت انفعالاته الباطنية مسطوره على عيانه ، فابتسامته تنبعث من فؤاده ، أو من أيما مكان يمكن اعتباره مركز جسده ، وتطفو في صراحة وجمال على السطح ، الذي هو وجهه .

كان ذا وجه وسم وانف طويل مستقيم كالذي يتميز به أبناء ذلك الجزء من فينيتو^١ الذي هو موطنه . وكانت له تانك العينان الرقيقتان البهيجتان الصادقتان وذلك الشعر الابيض الوقور المتسقة مع سنه^٢ ، وكانت أعلى من سنّ الكولونيل بستين اثنتين .

وتقدم متبسماً ، ودوداً ، وعلى نحو تأمريّ برغم ذلك كله ، اذ كان كل منها يشارك الآخر كثيراً من أسراره ، وبسط يده التي كانت بدأ ضخمة طويلة ، قوية ، ذات اصابع شبيهة ببسطة^٣ الصيدلي ، مصنونة في عناية على نحو لائق بمركزه ، أو قل على نحو يحتمه مركزه . وبسط الكولونيل ، بدوّره ، يده التي اصاها الرصاص مرتين فشوها تشويهاً طفيفاً . وهكذا تمت المصافحة بين اثنين من سكان « فينيتو » السابقين ، وكلاهما أخ للآخر بوصفه عضواً في الجنس البشري ، ذلك النادي الوحيد الذي يدفمان الرسوم اليه دون ايّ نادٍ آخر ، وكلاهما أخ للآخر ايضاً في

١ - Veneto مقاطعة في شمال شرقي ايطالية . (المغرب)

٢ - اداة اشبه بسكين عريضة يبسط بها الصيدلي عقاقيه ويخلطها .

حبه لبلدٍ عريقٍ كثيراً ما يتقاتل الناس من أجل الاستيلاء عليه فيخرج دائماً منتصراً في هزيمته ، بلدٍ كانا كلاهما قد دافعا عنه في شبابهما .

وكانت مصافحتها طويلة الى حد كافٍ لإشعارهما ، في قوة ، متعة اللقاء وحرارته . ثم قال رئيس النُذُل : « يا زعيمى ! »

فقال الكولونيل : « أها المايسترو الأعظم ! »

ثم ان الكولونيل سأل المايسترو الأعظم أن يشاركه الشراب ، ولكن المايسترو الأعظم قال إنه لا يستطيع لانشغاله في أداء عمله . كان ذلك متعذراً ، وكان محظوراً أيضاً .

فقال الكولونيل : « ' المحظور ! »

فقال المايسترو الأعظم : « طبعاً . ولكن على كل امرئ أن يدعن لأحكام واجبه ، والقواعد هنا معقولة ، وعلينا جميعاً أن نعمل وفقها ؛ أنا على الخصوص . انها مسألة وصية . »

فقال الكولونيل : « إنهم لم يجعلوك مايسترو أعظم لغير ما سبب . »
- « اعطني كأساً صغيرة من « الكاربانو » ، كذلك قال المايسترو الأعظم للساقى الذي كان لا يزال خارج المنظمة لسبب صغير غير محدد وغير منصوص عليه . « لكي اشربه على صحة المنظمة . »

وهكذا كرع الكولونيل والمايسترو الأعظم كأسيهما في سرعة خاطفة مخالفين في ذلك الأوامر ، منتهكين مبدأ الوصية والمثل في القيادة .
انهم لم يتمجلا ذلك ، وإن القلق لم يعصف بالمايسترو الأعظم . لقد اصطنعا السرعة في ذلك بكل بساطة .

وقال الكولونيل : « والآن فلنناقش شؤون المنظمة . »

فقال المايسترو الأعظم : « إننا نفعل هذا . وإلا أعلنت ان ذلك كذلك . »

١ - هنا موضع شتيمة مقدعة محذوفة في الاصل الانكليزي ايضا . (المعرب)

فقال الكولونيل : « تابع . »

وكانت المنظمة ، وهي جمعية خيالية "محض" ، قد انشئت إثر سلسلة من المحادثات بين المايسترو الأعظم ، والكولونيل ، وكان اسمها El Ordine Militar, Nobile y Espirituoso de los Caballeros de Brusadelli أي المنظمة العسكرية النبيلة والمقدسة لفرسان بروساديلي . وكان كل من الكولونيل ورئيس النُذُل يتكلم الاسبانية ، واذ كانت هذه اللغة خير اللغات لانشاء منظمات الفرسان فقد اصطنعها في تسمية هذه المنظمة التي دُعيت على اسم رجل ميلاني متكالب على الربح المحرم ، من اصحاب البليارات المتهرين من دفع الضرائب ، الرديئي السمعة الى ابعد الحدود . رجل كان - خلال نزاع على الملكية - قد اتهم زوجته الشابة ، على نحو علنيّ وأمام هيئة المحكمة ، بأنها حرمته القدرة على التمييز من طريق مطالبها التناسلية المتطرفة الى حد استثنائي .

فقال الكولونيل : « ايها المايسترو الأعظم ، هل جاءتك اية رسالة من قائدنا ، قائدنا الموقر ؟ »

- « ولا كلمة . انه صامت في هذه الايام . »

- « لا ريب في أنه يفكر . »

- « لا ريب . »

- « لعله يضع الخطة لأعمال جديدة أشد إمعاناً في الخزي والعار . »

- « لعله . إنه لم يكتب الى اية كلمة . »

- « ولكن في ميسورنا أن نشق به . »

- « الى ان يموت . » كذلك قال المايسترو الأعظم . « وبعد ذلك

سيكون في ميسوره ان يتحمّص في جهنم ، ولسوف نجد ذكراه . »

وقال الكولونيل : « جيورجي اقدم الى المايسترو الأعظم كأساً

صغيرة اخرى من الكاربانو . »

وقرعا الكأس بالكأس .

وصاح الكولونيل : « جاكسون ، انت الآن تحلى ارضي المدينة ، وفي استطاعتك ان توقع هنا من اجل الطعام . انا لا اريد ان اراك حتى الساعة الحادية عشرة ، غداً ، في الردهة إلا اذا اصابك بلاء ما . هل لديك مال ؟ »

- « نعم يا سيدي » كذلك قال جاكسون ثم اضاف في ما بينه وبين نفسه : ان ابن العاهرة هذا مخبول كما يقولون ، من غير ريب . لقد كان في استطاعته ان يناديني بدلاً من ان يعمد الى الصباح . وقال الكولونيل : « لا اريد ان أراك . »

كان جاكسون قد دخل الحجره ووقف امامه متظاهراً بالانتباه .
- « لقد سئمتُ النظر اليك ، لأنك مستسلم للهيم ، ولأنك لا تعرف المرح . امرح بعض الشيء اكراماً للمسيح ! »
- « سمعاً وطاعة ، يا سيدي . »

- « هل تفهم ما قلت ؟ »

- « نعم يا سيدي . »

- « أعدّه على مسمعي ! »

- « رونالد جاكسون ، ت ٥ ، الرقم المتسلسل ١٠٠٦٧٨ ، سوف يثبت وجوده في ردهة فندق غريتي هذا في الساعة ١١،٠٠ غداً صباحاً ، ولست ادري التاريخ يا سيدي ، ولسوف يفرب عن وجه الكولونيل ، ويأخذ بأسباب المرح . أو ، ، كذلك اضاف ، « سوف يبذل كل جهد ممكن لبلوغ هذد الغاية . »

- « انا متأسف ، يا جاكسون . ، كذلك قال الكولونيل .
« اني ... »

١ - مرضع شتيمه مقذعة محذوفة في الاصل ايضاً .

فقال جاكسون : « أرجو ان اخالف الكولونيل في رأيه بنفسه . »
فأجابه الكولونيل : « شكراً ، يا جاكسون . ربما لم اكن كذلك .
أرجو أن تكون على صواب . والآن اخلع عن نفسك ادرانها . ان
لك حجرة هنا ، او يجب ان يكون لك ، وفي استطاعتك ان توقع
من اجل الطعام . والآن حاول أن تمرح بعض الشيء . »

فقال جاكسون : « سمماً وطاعة ، يا سيدي . »

حتى اذا انصرف قال المايسترو الاعظم للكولونيل : « مَنْ الغلام ؟
أحد اولئك الأميركيين المحزونين ؟ »

فأجابه الكولونيل : « نعم . وحق المسيح ان لدينا عدداً منهم
كبيراً . انهم محزونون ، منافقون ، متخمون ، يعوزهم التدريب . واذا
كان التدريب يعوزهم فالذنب في ذلك ذني انا . ولكن لدينا نفرأ من
المتأزين ، ايضاً . »

- « هل تعتقد ان في استطاعتهم ان يخوضوا غمار معارك الـ «غرابا» ،
والـ «باسويو» ، والـ «باسبافا» كما خضناها نحن ؟ »

- « المتأزون منهم يستطيعون . وربما على نحو افضل . ولكنك
تعرف انهم ، في جيشنا ، لا يذهبون الى حد اطلاق النار لأحداث
الجراح المتعمدة إحداثاً ذاتياً . »

فقال المايسترو الأعظم : « يا للمسيح ! » لقد تذكر هو الكولونيل
اولئك الجنود الذين قرروا انهم لا يريدون أن يموتوا ، غير مفكرين ان
من يموت يوم الثلاثاء غير مضطر الى ان يموت الجمعة ، وكيف كان احد
اولئك الجنود يلف بكيس رمل رجل زميل له مطوّقة بمصابة ساق
لكي لا يترك اي اثر لحروق بارود ، ثم يطلق النار على صديقه من
مسافة يعتقد ان في استطاعته ان يصيب منها ربة ساقه من غير ان

يصيب العظم ، ثم يطلق النار مرتين فوق المتراس تبريراً لتلك الاصابة .
كان كل منها يعرف ذلك ، ومن اجل هذا وبسبب من كرهه حقيقي
عميق لكل الذين افادوا من الحرب وربحوا المغانم من ورائها عمدا الى
انشاء تلك المنظمة .

لقد عرفا كلاهما - وهما اللذان أحبّ كل منها الآخر واحترمه -
كيف كان الفتيان الفقواء الذين لم يكونوا راغبين في الموت يقتسمون
محتويات علبة من أعواد الثقاب لإيذاء أنفسهم على نحو ينجيهم من المشاركة
في الهجوم الدموي التالي على خط النار .

لقد عرفا اشياء عن الفتيان الآخرين الذين كانوا يضعون قطع العشرة
سنتيات النقدية تحت آباطهم لكي يصابوا باليرقان . وعرفا ، ايضاً اشياء
عن الفتيان الأثرياء الذين كانوا يعمدون في مختلف المدن الى حَقْن
البارافين تحت رَضَفَات رُكْبِهِمْ لكي يَحْتَنِبُوا الذهاب الى الحرب .

ولقد عرفنا كيف كان الثوم يُصَطْنَع لاحداث بعض الآثار التي تمكّن
المرء من التخلف عن القيام بهجوم ما ، وعرفا جميع الحيل الأخرى او
الكثرة العظمى من الحيل الأخرى . ذلك بأن احدهما كان رقيباً (سرجانت)
والآخر كان ملازماً ثانياً في سلاح المشاة ، وكانا قد حاربا في المواقع
الرئيسية الثلاثة ، على الـ «باسوبيا» والـ «غرابا» والـ «بيافا» ، حيث كان
ذلك كله مفهوماً .

وكانا قد شاركا ، ايضاً ، في المجزرة الحقاء الأقدم عهداً والتي دارت
رحاها في الـ «ايوزنزو» والـ «كارسو» . ولكنها كانا كلاماً خجلين
بأولئك الذين أمروا بأحداث تلك المجزرة ولم يفكرا بها إلا كشيء احمق
'مخزٍ يجب أن يُنسى' ، وتذكرها الكولونيل تقنياً كشيء يتعلم منه اشياء
وأشياء . وهكذا انشأ الآن منظمة فرسان بروساديلي ، تلك المنظمة النبيلة
المقدسة ، وكانت تضم خمسة اعضاء ليس غير .

وسأل الكولونيل المايسترو الأعظم : « ما أنباء المنظمة ؟ »

- « لقد رقبنا الطاهي في الـ «ماغنيفيشانت» Magnificent الى رتبة كوماندا تور١ لقد تصرف تصرف رَجُلٍ ثلاث مرات في عيد ميلاده الخمسين . ولقد قبلتُ تقريره من غير تحقيق . انه لم يكذب طول عمره . »

- « اجل ، انه لم يكذب طوال عمره . ولكنها مسألة يجب عليك ان لا تطلق العنان فيها لنزعتك الى التصديق . »

- « لقد صدقته ، كان يبدو منهوك القوى . »

- « في استطاعتي ان أتذكره يوم كان غلاماً طيئاشاً ، ولقد دعواته آنذاك الرجل الضخم ذا اللون الكرزي . »

- « وأنا ايضاً . » Aneh'io

- « هل لديك أية خطط بعينها تستطيع المنظمة أن تقوم بتنفيذها خلال الشتاء ؟ »

- « لا ، ايها القائد الأعلى . »

- « هل تعتقد أن علينا أن نرفع آيات الولاة لباسياردى المبجل ؟ »

- « كما تشاء ؟ »

فقال الكولونيل : « فلنرجى ذلك . » وفكّر الكولونيل لحظة ثم طلب كأساً آخر من المارتيني الصّرف .

- « هل تعتقد ان في امكاننا ان ننظم مظاهرة ولاء في موقع تاريخي ما ، مثل سان ماركو (القديس مرقص) او الكنيسة العتيقة في تورشيلو تكريماً لشفيئنا العظيم ، بروساديلي ، الموقر ؟ »

- « لست واثقاً من ان السلطات الدينية سوف تجيز ذلك في هذه اللحظة . »

١ - فارس عالي الرتبة .

- « اذن فلنطرح كل فكرة تقول بالقيام بمظاهرات عامة خلال هذا الشتاء ، ولنعمل ضمن نطاق ملاكاتنا العسكرية ، لمصلحة المنظمة . »
فقال المايسترو الأعظم : « هذا هو الموقف الأسلم . سوف نعيد تنظيم قواتنا . »

- « وكيف انت ، شخصياً ؟ »
فقال المايسترو الأعظم : « هائل ! ان لديّ ضغط دم واطشاً ، وقرح معدة ، وعليّ ديون . »
- « هل انت سعيد ؟ »

فقال المايسترو الأعظم : « دائماً . أنا احب عملي حباً شديداً ، واني لألتقي شخصيات استثنائية ممتعة ، وكثيراً من البلجيكين ايضاً . إنهم ما نملكه هذا العام بدلاً من الجراد . اما في الاعوام السابقة فقد كان عندنا الألمان . ما العبارة التي قال فيها قيصر : « وأشجع هؤلاء هم البلجيكيون ، ؟ ولكنهم ليسوا افضلهم برة . » الاتوافقني ؟ »

فقال الكولونيل : « لقد رأيتهم في بزة حسنة ، في بروكسل . عاصمةً بهيجة ممتلئة المعدة . انتصروا ، او انكسروا ، او انسحبوا . »
- « كان ينبغي لنا أن نقاتل في الفلاندر ، في الايام الحالية . »
فقال الكولونيل : « اننا لم نولد في الأيام الحالية . وهكذا لم يكن في استطاعتنا ، اوتوماتيكياً ، أن نقاتل آنذاك . »

- « لشدّ ما أتمنى لو استطعنا ان نقاتل مع الكوندوتيري ، عندما كان كل ما يتعين علينا ان نعمله هو أن نتفوق عليهم بحسن الرأي فتستسلم قواتهم . إن في استطاعتك ان تقدح زناد الفكر ، وفي استطاعتي ان

١ - Condottieri في ايطالية وغيرها ، وخصوصاً في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، ضباط محترفون أو زعماء جنود مرتزقة ، كانوا يعملون في خدمة الامراء المتحاربين والدويلات المتحاربة . (المغرب)

انقل اوامرك . »

« لو تحققت أمنيتك اذن لكان علينا أن نستولي لهم على بضع مدن لكي نحترم مقدرتنا على قدح زناد الفكر . »

فقال المايسترو الاعظم : «ولكان خليقاً بنا أن نتهب تلك المدن ، اذا ما دافعوا عنها . على أي المدن كنت تفضل ان تستولي ؟ »

فأجابه الكولونيل : « ليس على هذه . لقد كان خليقاً بي أن اوثر الاستيلاء على «فيسينترا» ، و «بيرغامو» ، و «فيرونا» . وليس من الضروري ان ألتزم هذا الترتيب . »

« وعلى مدينتين اخريين ايضاً . »

فقال الكولونيل : « ادري » . كان قد عاد ، الآن ، كولونيا كره اخرى وكان سعيداً . « لقد تصورت ان من الخير لي ان اقوم بالتفاف حول «بريشيا» ، وانها لا بد ان تسقط من تلقاء ذاتها . »

« وكيف انت ، ايها القائد الأعلى ؟ » كذلك قال المايسترو الأعظم . ذلك بأن هذا الاستيلاء على المدن كان قد نقله الى مجال لا يفهم من شؤونه شيئاً .

كان لا يستشعر الغربة في بيته الصغير في تريفيزو ، الهادي لمياه النهر المتدفقة تحت الاسوار العتيقة . لقد تماوجت الطحالب مع التيار ، وتربصت الأسماك تحت ستار الطحالب ثم انقضت على الحشرات التي لامست الماء عند الغسق . وكان لا يستشعر الغربة ، ايضاً ، في جميع العمليات التي لا تحتاج الى اكثر من سرية واحدة فهو يفهمها على نحو واضح كمثل فهمه الوجه الافضل لتقديم صحاف الطعام على مائدة صغيرة .

ولكن ما إن عاد الكولونيل كولونيا كره اخرى ، كما قد كان من قبل ، وشرع يفكر بلغة بعيدة جداً عن فهمه بعد حساب التفاضل

والتكامل عن لا يعرف غير الحساب ، حتى استشعر انه غريب عن هذه الاجواء ، وأن محادثتها أمست متكلفة ، وتمنى لو يرجع الكولونيل الى الكلام على الاشياء التي عرفها معها يوم كانا ملازماً ثانياً ورقبياً .

وسأله الكولونيل : « وما الذي كان خليقاً بك ان تفعله بشأن ماتتوفا ؟ »

— « لست ادري ، يا زعيمي . انا لا اعرف من تقاتل ، ولا القوى التي يملكونها ، ولا القوى الخاضعة لأمرتك . »

— « لقد حسبت انك قلت إننا كنا من جماعة الكوندوتيري^١ ، واننا أقمنا قاعدتنا في هذه المدينة أو على الـ « بادوفا » . »

فقال المايسترو الأعظم ، ولم يكن قد تضاءل بأية حال : « يا زعيمي ، أنا لا ادري شيئاً ، في الحق ، عن الكوندوتيري . ولا كيف قاتلوا آنذاك . كل ماقلته هو اني كنت أتمنى لو اني قاتلت تحت إمرتك في تلك المهود . »

— « لم يعد ثمة شيء من مثل تلك المهود . » كذلك قال الكولونيل ، وتحطمت الرقبة .

يا للجحيم ! ربما لم يكن ثمة ايما رقبة البتة ، كذلك فكر الكولونيل . وقال لنفسه : « الى الجحيم بك ! اقلع عن هذا التفكير ، وكن مخلوقاً بشرياً بعد أن بلغت من العمر نصف قرن . »

وقال للمايسترو الأعظم : « خذ كأساً اخرى من الكاربانو . »

— « أعتقد انك سوف تجيز لي ان ارفض ، يا زعيمي ، بسبب قرحة المعدة ، أليس كذلك ؟ »

— انظر الحاشية على ص ٧٢

- « اجل ، اجل ، طبعاً . يا غلام ، ما اسمك ، جيورجي ؟
ابتني بكأس آخر من المارتيني الصِّرفِ . ثم اضاف بالاطالية : « كأس
آخر جد صِرفِ . صرف ومضاعف . Secco , molto secco e doppio »
تحطيم الرقى ، كذلك قال في ذات نفسه . ان هذه ليست هي صناعتي .
صناعتي هي قتل الرجال المسلحين . والرقية يجب ان تكون مسلحة اذا
كان لي أن أحطمها . ولكننا قتلنا اشياء كثيرة لم تكن مسلحة . حسناً ،
يا محطم الرقى ، اسحب كلامك . »

وقال : « ايها المايسترو الأعظم ، انت لا تزال مايسترو أعظم ،
والى الجحيم بالكوندوتيري ! »

- « لقد ذهبوا الى الجحيم منذ سنوات عديدة ، ايها القائد الأعلى .
فقال الكولونيل : « هذا صحيح تماماً .
ولكن الرقية كانت قد تحطمت .

وقال الكولونيل : « سوف اراك على العشاء . ما عندكم من
الوان الطعام ؟ »

- « سوف يكون عندنا كل ما ترغب فيه ، فإذا اعوزنا شيء بعثنا
بن يأتيك به . »

- « هل لديكم شيء من الهليون الطازج ؟ »

- « انت تعلم اننا لا نستطيع أن نحصل عليه في هذه الشهور . انه
يأتينا في نيسان ، ومن باستانو . »

فقال الكولونيل : « اذن فكّر لي بطعام ما ، وسوف أطمعته . »

فسأله كبير النُذُل : « كم شخصاً ستكونون ؟ »

فأجابه الكولونيل : « سوف نكون اثنين . متى تقفلون المطعم ؟ »

- « سوف نقدم اليك طعام العشاء في أيما ساعة متأخرة تودّ ان

تتناول الطعام فيها .

فقال الكولونيل : « سوف احاول ان اكون هناك في ساعة معقولة . الى اللقاء أيها المايسترو الأعظم » . وابتسم وبسط للمايسترو الاعظم يده الشائبة .

فقال المايسترو الأعظم : « الى اللقاء ، أيها القائد الأعلى » ، وعادت الرقية الى الوجود ، وكانت كاملة تقريباً .

ولكنها لم تكن كاملة تماماً ، ولقد عرف الكولونيل ذلك وقال في ذات نفسه : لماذا اتصرف دائماً وكأنني نفل ؟ ولماذا لا أستطيع ان ارجيء صناعة الحرب هذه ، وانقلب الى رجل كريم صالح كما وددت دائماً ان اكون ؟

أنا احاول دائماً ان اكون عادلاً ، ولكنني فظ ، واني لوحشي ، وليس معنى هذا اني اقت خطوط الدفاع ضد ان عليّ ان اكون رجلاً أفضل يبحري في عروقه مقدار من دم الخنازير أقل ، في الفترة القصيرة التي بقيت لي على ظهر هذه الارض . وقال في ذات نفسه : « سوف نجرب ذلك الليلة » . ثم اضاف : « من ؟ واين ؟ وليساعدني الله على ان لا اكون طالحاً . »

- « جيورجي ! » كذلك قال للساقى ، الذي كان ذا وجه أبيض كوجه المجدوم ، ولكنه خلوه من الورم وعاطل عن البريق الفضي .

والواقع ان جيورجي لم يكن يحب الكولونيل كثيراً ، أو لعله كان مجرد ابن من ابناء مقاطعة بيدمونت ، فهو لا يحب احداً حباً حقيقياً . وهو شي غير مستغرب في الاقوام الباردین الوافدين من ارض واقعة على الحدود بين بلدين . ان اولئك الاقوام لا يثقون بأحد ، ولقد عرف الكولونيل ذلك ، وكان لا يتوقع من فاقد الشيء ان يعطيه .

- « جيورجي ! » كذلك قال للساقى ذي الوجه الشاحب . سجل
هذه الأشياء على حسابي ، من فضلك . »

وانصرف ، ماشياً كما تعود دائماً أن يمشي ، في ثقة مغالى بها بعض
الشيء ، حتى في الاحوال التي كانت فيها تلك الثقة غير ضرورية .
وبعزمه المجدد دائماً على ان يكون كريماً ، محتشماً ، وصالحاً ، القى
التحية على بواب الفندق ، وكان صديقاً له ، وعلى المدير المساعد ، الذي كان
يتكلم اللغة السواحلية ، وكان في وقت ما اسير حرب في كينيا ، وكان
رجلاً من أشد الناس قرباً الى القلب ، فتى وسيماً يمور غضارةً ونضارةً ،
فتى واسع التجربة ، ولمسه لم يكن بعد قد انضوى تحت راية
« المنظمة » .

وسأله : « وكيف حال الفارس الرسمي Cavaliere ufficiale الذي
يدير هذا الفندق ؟ صديقي ؟ »

فأجابه المدير المساعد : « انه ليس هنا الآن ، ثم اضاف : « مؤقناً ،
طبعاً . »

فقال الكولونيل : « احمل اليه تمنياتي . وابعث معي من يدلني على
حجرتي . »

- « انها الحجر الممهودة . الا تزال راغباً فيها ؟ »

- « نعم . هل احطت الرقيب (السرجانت) بعنايتك ؟ »

- « انه ينعم بعناية حسنة . »

فقال الكولونيل : « حسن . »

ومضى الكولونيل الى حجرتة يصحبه الفلام الذي حمل حقيبته .

- « من هنا يا زعمي ! » كذلك قال الفلام عندما توقف المصعد

في شيء من الاختلال الهيدروليّ (المائي) عند الدور الأعلى .
وسأله الكولونيل : « ألا تستطيع ان تسيّر المصعد كما ينبغي له
ان يُسيّر؟ »
فأجابه الغلام : « لا ، يا زعمي . ان التيار لا يستقر على
حال . »

ولم يقل الكولونيل شيئاً ، وتقدم الغلام مجتازاً الرواق . كان رواقاً واسعاً ، عريضاً ، عالي السقف . وكان ثمة فسحة طويلة ظاهرة بين أبواب الحجرات على جانب «القناة الكبرى» . وطبيعي ، وقد كان قصراً ، ان لا يكون ثمة حجرات عاطلة من المشاهد الفاتنة ، ما خلا الحجرات المخصصة للخدم .

ووجد الكولونيل المسافة طويلة ، على الرغم من انها قصيرة جداً . حتى اذا برز النادل المكلف بالسهر على الحجرة ، قصيراً اسمر ذا عين زجاجية مستقرة في محجر عينه اليسرى ، لماعاً ، غير قادر على ان يتسم ابتسامته الكاملة الحقيقية فيما كان يدير المفتاح الكبير في القفل ، تمنى الكولونيل لو يفتح الباب في سرعة أعظم .

وقال : « إفتحه ! »

فقال النادل : « سوف افعل ، يا زعيمي . ولكنك تعرف هذه

الاقفال . »

أجل ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . أنا أعرفها ، ولكني أتمنى لو يُوفَّق الى فتحه .

- « كيف حال اسرتك ؟ » قال هذا للساقى الذي كان قد فتح

الباب على مصراعيه بحيث أمسى الكولونيل ، وقد اجتاز العتبة ، ضمن

نطاق الحجر ذات الحزاة العالفة الءاكنة؁ ولكن المزوءة بمرافا حسنة؁ وءااء السرفرفن الءفءفن؁ والءرفا الضءمة؁ والاطلاءة - من ءلال النوافء الءف لا ءزال مغلقة - على مفاه « القناة الكبرى » الءف عبءء بها الرفء . «

كانء القناة الآن رماءفة كالفولاء؁ ءءء ضوء الشءاء الءاطف الواهن . وقال الكولونفل : « آرنالءو؁ افءء النوافء ! »

- « ان ءمة رفاءاً شءفءة؁ فا زعمف؁ ؁ والءجرة رءفءة الءفءة بسبب من نءرة الطافة الكهرفاءفة . »

فقال الكولونفل : « بسبب من نءرة الامطار . افءء النوافء . افءءها كلها . »

- « كما ءرفء؁ فا زعمف . »

وفءء الءال النوافء؁ فانءفءء رفء الشال الى الءجرة .

- « أرجوك ان ءلفن لمكءب الاءارة وأسألهم ان فصولف بهذا الرقم . » فءلفن الءال؁ ففا كان الكولونفل فف الءمام .

وقال : « الكونءفسة لفسء فف الءفء؁ فا زعمف . انهم فعءقءون انك قء ءءءها فف ءانة هارف . »

- « انك ءءء كل شفء معروف على سطح الارض؁ فف ءانة هارف . »

- « آءل فا زعمف؁ ما عءا السعاءة؁ ربما . »

فأكد له الكولونفل قائلأ : « بل لأنف لأءء ففها السعاءة ففصأ . السعاءة؁ كما ءعلم؁ هف عفء رففر ءابء الءارفء . »

فقال الءال : « أنا أعف ذلك . لءء ءءءك بشراب كامبارف مرفر وبزءا ءة غورءون ءفن . هل أعفء لك كأس كامبارف مع الءن والصولا ؟ »

فقال الكولونفل : « أنء ءلام طفب . من ففن ءءء بها ؟ من

المشرب ؟ »

- « لا . لقد اشتريتها خلال غيابك لكي لا تضطر الى انفاق المال في المشرب . المشرب غال جداً . »

فأفرّته الكولونيل على هذا بقوله : « اني اوافقك . ولكن ليس ينبغي لك أن تنفق مالك الخاص على غرض كهذا . »

- « انتهزتُ فرصة . ولقد انتهزنا كلانا كثيراً من الفرص . إن زجاجة « الجن » كلفتني ٣٢٠٠ لير ، وهي شرعية . أما الكامباري فكلفتني ثمانئة . »

فقال له الكولونيل : « أنت غلام طيب جداً . كيف كانت البطّات ؟ »

- « إن زوجتي لا تزال تتحدث عنها حتى الآن . فنحن لم نفرز في ايما يوم من الايام بشيء من البط البري ، لأنه غال جداً ولا ينسجم مع طريقة حياتنا . ولكن واحداً من جيراننا علمها كيف تطهوها ، ولقد شاركنا اولئك الجيران انفسهم في أكلها . انا لم اعرف من قبل قط أن في استطاعة ايما شيء ان يكون لذيذ الطعم الى هذا الحد . فما ان تطبق أسنانك على شرحة صغيرة من اللحم حتى تستحوذ عليك بهجة تكاد ان تكون ممتعة على التصديق . »

- « ذلك هو رأي ، ايضاً . فليس ثمة ما هو ألدّ في الحلوق من ذلك البط السمين الآتي من وراء الستار الحديدي . وأنت تعلم أن خط طيرانه هو عبر حقول القمح الواسعة المنبسطة على الدانوب . ان ما لدينا هنا يمثل هجرة صغيرة من هجرات الطيور ، ولكنها كانت ولا تزال ، منذ ما قبل اختراع البنادق ، تتخذ السبيل نفسها . »

فقال النادل : « أنا لا اعلم شيئاً عن اطلاق النار من أجل القنص . لقد كنا قوماً معدّمين اكثر مما ينبغي . »

- « ولكن كثيراً من الناس الذين لا يملكون مالاً يخرجون للقنص

في الـ « فينيتو » .

- « أجل . من غير ريب . ان المرء ليسمعهم يطلقون النار طوال الليل . ولكننا كنا أفقر من أن نقدر على ذلك ؛ لقد كنا أفقر مما تستطيع ان تعلم ، يا زعيمي . »
- « أعتقد في استطاعتي ان أعلم . »
- « ربما ، » كذلك قال النادل . « لقد احتفظت زوجتي بالريش كله ، وقد سألتني أن اشكرك . »

- « اذا ما نعيْنَا بعد غدٍ بيوم محظوظ فلا بد أن نفوز بمقدار وافر من البط الكبير ذي الرؤوس الخضراء . قل لزوجتك اتنا ، اذا واتانا الحظ ، فسوف يكون لدينا بطّ شهيّ المذاق ، جميل الريش ، سمين كالخنازير بفضل ما أصابه عند الروس من غذاء . »
- « ما رأيك في الروس ، إن لم يكن من قلة الذوق أن أسألك ، يا زعيمي ؟ »

- « انهم اعداؤنا المقبولون . وهكذا فأنتي ، كجنديّ ، على استعداد لأن اقاتلهم . ولكنني أحبهم كثيراً ، ولم اعرف طوال حياتي شعباً أروع منهم ولا أشدّ شبيهاً بنا . »

- « ان الحظ لم يُسعدني قط بمعرفتهم . »
- « سوف تسعد بمعرفتهم ، أيها الغلام . سوف تسعد . إلا اذا اوقفهم باسياردي المبجل عند خط الـ « بيافا » ، الذي هو نهر لم يعد يشتمل على شيء من الماء . لقد سيّفنوه^١ للأغراض المائية الكهربائية . ولعل باسياردي المبجل أن يحارب هناك . ولكنني لا أعتقد أنه سوف يواصل الحرب فترة طويلة . »

١ - Siphon أي سحبوا مياهه بطريقة السيّفة أو باستعمال السيّفون .

- « انا لا اعرف باسياردي المبجل . »

فقال الكولونيل : « أنا أعرفه . »

- « اسألهم ان يتلفنوا الى حانة هاري ويروا اذا كانت الكونتيسة هناك . فان لم تكن فاطلب ان يتلفنوا الى البيت ككرة أخرى . »
وتناول الكولونيل الكأس التي اعدّها آرناالدو ، النادل الزجاجي العين ، من أجله . كان غير راغب فيها ، ولقد عرف أنه لن يسيغها . ولكنه تناولها ... تناولها بشراسته الخنزيرية البرية القديمة كما سبق له ان تناول كل شيء طوال حياته ، وتقدم بمثل خطى الهرّ - على الرغم من انه الآن هرّ طاعن في السن - نحو النافذة المفتوحة ، وأطلّ على « القناة الكبرى » التي كان لونها قد اخذ يستحيل الآن الى رمادي غامق ، فكان « ديفا »^٢ كان قد رسمها في يوم من أشد ايامه إمعاناً في الكتابة . - « اشكرك على الشراب شكراً جزيلاً ، » كذلك قال الكولونيل ، فهزّ آرناالدو - الذي كان يتحدث بالتلفون - برأسه ، وافترت شفناه عن ابتسامته الزجاجية العين .

وقال الكولونيل في ذات نفسه : ليته لم يضطر الى اصطناع تلك العين الزجاجية . انه لم يجب - كذلك قال في ذات نفسه - إلاّ اولئك الذين قاتلوا او الذين سُوهوا .

لقد كان الناس الآخرون رائعين ، ولقد احببتهم وشدتكم اليهم او اصر صداقة متينة . ولكن لم تكن تستشعر الحنان والحب الحقيقيين إلا نحو اولئك الذين كانوا هناك ، والذين تلقوا العقاب الذي يتلقاه كل من يلبث هناك فترة طويلة .

وإذن فأنا مولى بالمشوهين ، كذلك قال في ذات نفسه ، وهو

٢ - Degas - رسام فرنسي ١٨٣٤ - ١٩١٧ . (المرب)

يرتشف الشراب غير المرغوب فيه . وكل ابن عاهرة مصاب اصابة قاسية
- وهو مصير كل من يلبث هناك - خليق" بأن يحظى بجبي .

أجل ، كذلك قال الجانب الآخر ، الطيب ، من شخصيته . انت
تجهم .

وقال في ذات نفسه : إني لأوثر ان لا احب أحداً . اني لأوثر أن
أمرح وأهوى .

فقال له الجانب الآخر الطيب من شخصيته : « ولكنك لن توقع
الى المرح واللهو ما دمت لا تحب . »

حسن جداً . انا احب اكثر من اي ابن عاهرة على قيد الحياة ،
كذلك قال الكولونيل ولكن ليس بصوت عال .

اما بصوت عال فقال : « الى اين وصلت في هذه الخابرة التلفونية ،
يا آرنالدو ؟ »

فقال النادل : « سيربياني لم يأت بعد . انهم يتوقعون مجيئه في كل
لحظة ، ولقد ابقيت الخطّ مفتوحاً انتظاراً له . »

فقال الكولونيل : « اجراء باهظ النفقة . احصل لي على بيان
بالموجودين هناك ، لكي لا نضيع الوقت . انا اريد ان اعرف على وجه
الضبط من يوجد هناك . »

فتحدث آرنالدو ، باحتراس ، من خلال فم التلفون .

وغطى فم التلفون بيده وقال : « انا اتحدث الى إيتور . هو يقول

إن البارون ألفاريتو ليس هناك . الكونت آندريا هناك ، وهو مخمور

بعض الشيء ، يقول إيتور ، ولكنه ليس مخموراً الى حد لا يمكنكما من

اللهو معاً . ومجموعة السيدات اللواتي يقبلن كل اصيل هنّ هناك ، وثمة

أميرة يونانية انت تعرفها واناس كثيرون لست تعرفهم . وحشالة من

القنصلية الاميركية ، ما برحوا هناك منذ الظهر . »

- « قل له أن يتلفن لك عندما تنصرف الحثالة وعندئذ أفدُ عليهم . »
وتحدث آرلاندو بالتلفون ، ثم التفت الى الكولونيل الذي كان يطل
من النافذة على قبة الـ «دوغانا» وقال : «إيتور يقول انه سوف يحاول
ان يزحزحهم عن مواقعهم ، ولكنه يخشى أن لا يرتاح سيبرياني الى
ذلك . »

- « قل له ان لا يصرفهم . فهم غير مضطرين الى العمل هذا الاصيل ،
وليس ثمة اى سبب يقضي بأن لا يسرفوا في الشراب ، حتى الشمّل ،
مثل أي امرئ آخر . كل ما في الامر اني لا اريد ان أراهم . »

- « ايتور يقول انه سوف يتلفن لنا في ما بعد . لقد قال لي ان
«الموقع» سوف يسقط من تلقاء ذاته . »

فقال الكولونيل : « اشكره على اتصاله التلفوني هذا . »

وراقب غندولاً يصعد في القناة في اتجاه معاكس للريح ، وقال في
ذات نفسه : ليس مع اميركيين يعاقرون الخمر . انا أعرف انهم ضحية
السأم . في هذد المدينة ، ايضاً . انهم سئمون في هذه المدينة . انا اعلم
أن المكان بارد ، ورواتبهم لا تكاد تكفيهم ، وكم يكلفهم الوقود . إني
لأكبر زوجاتهم ، للجهود الباسلة التي يبذلونها لنقل كيبوكوك الى البندقية ،
وقد اصبح أولادهم يتكلمون الايطالية مثل صغار البنادقة . ولكن لا صور
خاطفة اليوم ، يا جاك . لقد اعطينا الصور الخاطفة ، ومحادثات الحجرة
ذات المشرب ، والكؤوس الاخوانية غير الضرورية ، وويلات الخدمات
القنصلية المضجرة ، اجازة اليوم .

- « لا نائب قنصل ثان ، أو ثالث ، أو رابع اليوم ، يا آرالدو . »

١ - Keokuk مدينة في جنوب شرقي ولاية اييوا ، بالولايات المتحدة على نهر
الميسيبي . (المعرب)

- « ان بين رجال القنصلية نفرأ جد محببين الى القلب . »
فقال الكولونيل : « اجل . لقد كان لديهم هنا قنصل رائع الى حد
جهنمي في عام ١٩١٨ . كان الناس كلهم يحبونه . سوف احاول أن
اتذكر اسمه . »

- « أنت ترجع بالذاكرة الى عهد بعيد جداً . »
- « انا أغالي في الرجوع بالذاكرة الى عهود بعيدة بحيث يصبح ذلك
أمراً غير ممتع . »

- « هل تذكر كل شيء عن العهود السالفة ؟ »
فقال الكولونيل : « كل شيء . كان اسم ذلك الرجل هو كارول . »
- « لقد سمعت به . »

- « لم تكن قد ولدت آنثذير . »
- « هل تحسب ان من الضروري ان يكون المرء مولوداً في وقتٍ
بعينه لكي يلمّ بالاشياء التي حدثت في هذه المدينة ، يا زعيمي ؟ »
- « انت محقّ في ذلك مئة بالمئة . قل لي ، هل يلمّ كل امرئ دائماً
بكل ما يحدث في هذه المدينة ؟ »

فأجابه النادل : « ليس كل امرئ . ولكن كل امرئ تقريباً .
وعلى اية حال ، فأغطية السرر هي أغطية السرر ، ولا بدّها من
شخص يبدّلها ومن شخص يفسلها . طبعاً ، انا لا أشير الى أغطية
السرر في فندق كهذا . »

- « لقد عرفت في حياتي فترات سعيدة إلى حد لعين من غير ما
أغطية سرر . »

- « طبعاً . ولكن الغناديلين ١ ، برغم أنهم من أكثر الناس تعاوناً
وبرغم أنهم - عندي - اروع الناس في هذه المدينة ، يتحدثون

١ - الذين يخدمون في الغناديل (جمع غندول) Gondoliers (العرب)

في ما بينهم . »

- « طبعاً . »

- « ثم هناك رجال الدين ، فهم برغم أنهم لا ينتهكون حرمة اسرار كرمي الاعتراف ابداً ، يتحدثون ايضاً في ما بينهم . »

- « هذا امرٌ متوقع . »

- « ومدبرات بيوتهم يتحدثن في ما بينهن . »

- « ذلك حق من حقوقهن . »

فقال آرنالدو : « وهناك النُدُلُ ايضاً . فالناس يتكلمون على المائدة وكأن النادل مصابٌ بصمم كامل . والنادل ، وفقاً لعلم الاخلاق الخاص به ، لا يحاول أن يسترق السمع أبداً . ولكنه لا يستطيع ان يتجنب السماع في بعض الأحيان . ونحن طبعاً ، لنا احاديثنا الخاصة التي نديرها في ما بيننا . ليس في هذا الفندق البتة ، طبعاً . وفي استطاعتي ان أوصل السُرد . »

- « أعتقد أني فهمتُ المراد . »

- « هذا اذا لم نذكر المزيين والحلاقين . »

- « وما الأنباء من ريبالتو الآن ؟ . »

- « سوف تفوز بها كلها في حانة هاري ، باستثناء ذلك الجزء الذي

تتمثل فيه أنت . »

- « وهل أتمثل أنا في تلك الأنباء ؟ »

- « كل امرئ يعرف كل شيء . »

- « حسناً ، انها قصة ماقعة الى حد لعين . »

- « بعض الناس لا يفهمون الجزء الخاص بتورشيرو . »

- « اكون ملموناً اذا استطعت انا فهمه في بعض الأحيان . »

- « كم لك من العمر ، يا زعيمى ، ان لم يكن من قلة الذوق ان

أسأل ؟ »

« خمسون سنة وسنة . لماذا لم تسع الى معرفة ذلك من طريق بواب الفندق ؟ لقد ملأت هناك قصاصة من الورق ليُصار الى تقديمها لرجال الشرطة . »

« اردت ان اسمع ذلك من فمك انت وأن اهنتك . »

« لست ادري عن اي شيء تتكلم . »

« دعني اهنتك على اية حال . »

« لست استطيع ان اقبل ذلك . »

« انت جدّ محبوب في هذه المدينة . »

« شكراً ، هذا ثناء عظيم جداً . »

وفي تلك اللحظة رن جرس التلفون .

فقال الكولونيل : « سوف أجيب أنا . » وسمع صوت ايتور يقول :

« من الذي يتكلم ؟ »

« الكولونيل كانتويل . »

« لقد سقط الموقع ، يا زعمي . »

« في اي اتجاه ذهبوا ؟ »

« نحو البيازا . »

« حسن . سوف آتي في الحال . »

« هل تريد مائدة ؟ »

فقال الكولونيل : « في الزاوية ، وأغلق الخط . »

« انا ذاهب الى حانة هاري . »

« أتمنى لك صيداً طيباً . »

« سوف اصيد البط بعد غد ، قبل انبلاج الفجر في برمبل في

الاراضي السبخة . »

« وسوف يكون الجو بارداً ، ايضاً . »

- « هذا ما يخيّل اليّ . » قال الكولونيل ذلك ، وارتدى بمطّره ،
ونظر الى وجهه في صفحة المرآة الطويلة فيما كان يعتمر بقبعته .
- « وجه قبيح ، » كذلك قال للمرآة . « هل رأيت قط ، قبل
اليوم ، وجهاً أشنع ؟ »
فقال آرنالدو : « نعم . وجهي . كل صباح عندما احلق لحيتي . »
- « ان علينا كلينا أن نحلق في الظلام ، كذلك قال الكولونيل ،
وغادر الحجرة . »

لم يكد الكولونيل كانتويل يغادر باب « فندق قصر غريقي » حتى
أستقبل الخيوط الاخيرة من أشعة شمس ذلك اليوم . كان لا يزال ثمة شيء
من اشعة الشمس في الجانب الآخر من الساحة ، ولكن الغناديلين آثروا
اجتناب الرياح الباردة من طريق التلكو في حى « غريقي » المحجوب
عن الرياح ، على الافادة من بقية حرارة الشمس الباقية على جانب الساحة
الذي تتناوح فيه الريح .

وبعد أن لاحظ الكولونيل ذلك ، استدار يمنة واجتاز الساحة الى
الشارع المعبّد الذي ينعطف نحو اليمين . وفيما هو يستدير وقف لحظة
ونظر الى كنيسة « سانتا مارييا ديل جيفلييو . »

يا لها من بناية رائعة ، متأسكة ، ومع هذا فهي مستعدة لأن تُنقل
على متون الطائرات ، كذلك قال في ذات نفسه . انا لم ادرك قط من
قبل ان في استطاعة كنيسة صغيرة ان تبدو مثل « ب ٤٧ . » . يجب ان
أستطلع متى تُشيدت ومن شيدتها . لعننا الله ، لشد ما أتمنى لو أسير
مطوّفاً في هذه المدينة طوال حياتي . اجل طوال حياتي ، كذلك قال
في ذات نفسه : يا لها من شكيمة . شكيمة يُشكّم بها الفم . صمام
خاتق . يضبط مقدار الزقود في ماكيتك . وقال في ذات نفسه :
هيا ، ايها الغلام . فلست أعرف أن فرساً اسمه « سوداوي » قدّر له

ان يكسب سباقاً ما في أي يوم من الأيام .

والى هذا - كذلك قال في ذات نفسه وهو ينظر الى واجهات المحالّ المختلفة التي اجتاز بها : دكان لحم الخنزير بما فيه من 'جبن' «باميزان» وأفخاذ الخنزير المملحة من «ساف دانيل» و«لقائق» و«آلا» كاسياتورا، وزجاجات الويسكي الاسكتلندي الجيدة و «جن» غوردون الحقيقي ، ودكان بيع السكاكين والملاعق والشوكات ، ودكان بيع التحف الاثرية بما فيه من نقائس ومن خرائط ومطبوعات قديمة ، ومطعم الدرجة الثانية المتقنّ بقناع باهظ التكاليف كذلك الذي تصطنعه مطاعم الدرجة الأولى ، وانتهى أخيراً الى الجسر الأول عابراً قناة رافد من الروافد ذات درجات مُرتقى - والى هذا فأنا لا استشعر الضيق الى هذا الحد . ليس ثمة غير الطنين . انا اذكر متى بدأ ذلك ، ولقد ظننت ان ذلك ربما كان جراداً سَبْعَشْرِيّاً ' في الاشجار ولم أحب ان أسأل «لاوري» الفقيّ ولكني فعلت . فأجابني : « لا ، ايها الجنرال ، انا لا أسمع أية صراخير أو أي جراد سَبْعَشْرِيّ . الليل ساكن سكوناً تاماً ، وليس هناك ما يعكر صفوه غير الاصوات العادية .

ثم إنه استشعر وخز الألم الحاد ، فيما هو يرتقي تلك الدرجات ، حتى اذا هبط الى الجانب الآخر رأى فتاتين بهيّي الطلعة . كانتا جميلتين ، حاسرتي الرأس ، ترتديان ملابس هزيلة ولكنها أنيقة ، وكانتا تتحدانان في تمجّل بالغ ، وكانت الريح تعبت بشعرهما فيما هما تصعدان بأرجلهما الفينسيّة الطويلة الرشيقة الخطو ، وقال الكولونيل في ذات نفسه : من

١ - seventeen - year Locust جراد في اميركة يعيش سبعة عشر عاماً
محتفظاً بطور الحوراء Nymph ثم يخرج خلقاً سوياً فلا يعيش الا اسابيع قلائل .
(المرعب)

الخير لي ان أفزع عن تسريح النظر في واجهات المحال القائمة على طول هذا الشارع ، وان اتقدم الى الجسر التالي وبعد ان أجتاز ساحتين اثنتين أنعطف الى اليمين مباشرة وأواصل السير في هذه الاتجاه حتى ابلغ حانة هاري .

ولقد فعل ذلك ليس غير ، مستشعراً وخز الألم الحاد فوق الجسر ، ولكنه ظل يمشي بخطواته القديمة نفسها ، غيرَ ناظر ، على نحو خاطف ، الا آمنَ اجتاز بهم من الناس . إن في هذا الهواء مقداراً وافراً من الأوكسجين ، كذلك قال في ذات نفسه وهو يواجه الريح ويتنفس في عمق .

ثم إنه انتهى الى باب حانة هاري ، فدفعه ، فانفتح ، فاذا هو في داخل الحانة . لقد اجتاز تلك المسافة كرة اخرى ، وما هو ذا الآن في « بيته » .

وفي الحانة قال رجل طويل ، رجل فارغ الطول ، ذو وجه مرهق ينم عن حسن تهذيب ، وعينين زرقاوين مرحتين ، وجسد طويل يوقع في النفس فكرة الاستهتار والانغماس في اللذات شبيه بجسد ذئب جاموسي :
« يا زعيمى القديم الفاجر ! »

— « اهلاً بآندرييا الخبيث ! »

وتعانقا ، واستشعر الكولونيل خشونة نسيج سترة آندرييا الصوفية الأنيقة التي كانت ، من غير شك ، في سبيلها الى الدخول في عامها الثاني عشر .

وقال الكولونيل : « انت تبدو في عافية ، يا آندرييا . »
كانت كذبة ، ولقد عرفا كلاهما ذلك .

فقال آندرييا راداً على الكذبة بمثلاً : « اجل أنا في عافية . بل يتمين عليّ ان اقول اني لم استشعر العافية في ايام اكثر مما أستشعرها

- الآن . وانت نفسك تبدو في صحة ممتازة جداً . «
 - « شكراً ، يا آندريسا ، نحن الأنفال ١ الأصحاء سوف نرث
 الارض . »
 - « فكرة جيدة جداً . يخيّل اليّ اني لن امانع في وراثة ايامي
 في هذه الأيام . »
 - « ليس لديك من القوة ما يمكنك من الممانعة . انك سوف ترث ما
 يزيد على ستة اقدم منها ٢ . »
 فقال آندريسا : « ستة أقدام وستة إنشات ، ايها الرجل الحبيث !
 ألا تزال تكده كالعبد الرقيق في الحياة العسكرية ؟ »
 فأجاب الكولونيل : « انا لا أكدح فيها أكثر مما ينبغي . اني ذاهب
 للصيد في سان ريلاجو . »
 - « ادري . ولكن لا تطلق النكات بالاسبانية في هذه الساعة . إن
 ألفاريتو كان يبحث عنك . لقد اوصانا بأن نخبرك إنه سيعود . »
 - « حسن . هل زوجتك اللطيفة واولادك بخير ؟ »
 - « في خير عيم . وقد سألوني ان اقدم احسن تمنياتهم لك اذا ما
 رأيتك . انهم الآن في رومة . ها هي ذي فتاتك . او واحدة من
 فتياتك » . كان من الطول بحيث استطاع ان يستكشف الشارع الذي
 أمسى الآن شبه مظلم ، ولكن هذه كانت فتاة تستطيع ان تلبينها حتى
 ولو كانت الظلمة أشد من تلك التي رانت على الشارع في تلك الساعة .
 - « سلها ان تشرب معنا كأساً قبل ان تنتقل بها الى مائدة الزاوية
 تلك . أليست مليحة الوجه ؟ »

١ - جمع نفل ، وهو ولد الزانية الذي لا يعرف أبوه .

٢ - يعني القبر . (المعرب)

- « بلى . إنها كذلك . »

ثم إنها دخلت الحجرة مشرقة في شباها وجمالها الفارع المتهادي والفضى التي اوقعتها الريح في شعرها . كانت ذات بشرة شاحبة زيتونية اللون او تكاد ، مظهرٍ جانبي (بروفيل) قادر على أن يُفطر قلبك او قلب أي امرئ آخر ، وكان شعرها الداكن ، ذو النسيج الرشيق ، يتدلى فوق منكبيها .

وقال الكولونيل : « هالو ، يا حسنائي الفاتنة ! »

فقلت : « اوه ، اوه ، هالو ! لقد حسبتُ اني سأفتقدك . أتا آسفة لتأخري . »

كان صوتها خفيضاً رقيقاً ، وقد تكلمت الانكليزية في احتراس .
وقالت : « طاب مساؤك ، يا آندرييا . كيف اميلي وكيف حال الاولاد ؟ »

- « اغلب الظن انهم في نفس الحال التي كانوا عليها حين أجبته عن ذلك السؤال عينه عند الظهر . »

فقلت وقد شاع الدم في وجهها : « انا آسفة اعظم الأسف . اني مضطربة ، واني لأقول الأشياء المغلوطة دائماً . ما الذي يتمين عليّ ان أقوله ؟ هل قضيت وقتاً طيباً ، هنا ، طوال الأصيل ؟ »

فقال آندرييا : « نعم . مع صديقي القديم وناقدي الأقسى . »

- « ومن هو ؟ »

- « ويسكي اسكتلندي وماء . »

- « أحسب انه اذا شاء ان يناكدني فلا بدّ له من هذا . » كذلك

قالت للكولونيل . « أما أنت فلا تناكدني ، أليس كذلك ؟ »

- « خذيه الى مائدة الزاوية تلك وتحدّثي اليه . لقد مللتكما كليكما . »

فقال له الكولونيل : «أما انا فلم أملك . ولكني اعتقد أنها فكرة جيدة . ما رأيك في شيء من الشراب تتجرعه ونحن جالسان ، يا ريناتا ؟»

- «يسعدني ذلك إن لم يكن آندريا غاضباً .»

- «انا لا اعرف الغضب أبداً .»

- «هل ترغب في ارتشاف كأس معنا ، يا آندريا؟»

فقال آندريا : «لا . امضِ الى مائدتك . لقد سئمت من رؤيتها شاغرة .»

- «وداعاً ، يا كارو . شكراً لك على الشراب الذي لم نفز به .»

- «وداعاً يا ريكاردو ، كذلك قال آندريا ، وكان ذلك كل شيء .»

وولاهما ظهره الفارع المشوق ونظر في المرأة الموضوعه خلف بعض القضبان لكي يستطيع المرء أن يتبين نفسه حين يسرف في الشراب ، واستقر رأيه على عدم الارتياح لما رآه هناك . فقال : «ايتور ، ارجوك أن تسجل هذا الهراء في فاتورتي .»

ثم انه مضى لسبيله بعد ان انتظر معطفه في أناة ، ثم ارتداه متائباً ونفح الرجل الذي جاءه به بالبشيش الواجب تقديمه اليه تماماً بالاضافة الى عشرين في المئة ايضاً .

وعلى المائدة التي في الزاوية قالت ريناتا : «هل تعتقد أننا جرحنا أحاسيسه ؟»

- «لا . انه يحبك ، ويحبنى .»

- «آندريا لطيف جداً . وانت لطيف جداً .»

ونادى الكولونيل النادل . ثم سألها : «هل ترغبين في كأس من المارتيني الصّرف ايضاً ؟»

فقالت : «نعم ، إني لأحب ذلك .»

فقال الكولونيل : « كأسين من المارتيني الصنف الى أبعد الحدود .
كأسين على الطريقة المونتغميرية . خمسة عشر جزءاً مقابل جزء
واحد . »

وابتسم النادل ، الذي كان قد حارب في الصحراء ^١ ، ومضى لسبيله ،
والتفت الكولونيل الى ريناتا .

وقال : « أنت لطيفة . وانت أيضاً جميلة جداً وقريبة الى الفؤاد .
وأنا احبك . »

- « انت تقول هذا دائماً ، ولست ادري ما معناه ولكنني أحب
سماعه . »

- « ما سنك الآن ؟ »

- « حوالي التاسعة عشرة . لماذا ؟ »

- « ولست تدرين ما معناه ؟ »

- « لا . وما الذي يدعوني الى ذلك ؟ الاميركيون يقولون لك هذه
الكلمات ، دائماً ، قبل أن يغادروا البلاد . إنها تبدو شيئاً ضرورياً
بالنسبة اليهم . ولكنني احبك اعظم الحب ، أيضاً ، أياً ما كان
معنى ذلك . »

فقال الكولونيل : « فلننعم بلحظات سعيدة . دعينا لا نفكر في
أيما شيء على الاطلاق . »

- « خلقتي بذلك . أن يسرتني . أنا لا أحسن التفكير في مثل هذا
الوقت من النهار على أية حال . »

فقال الكولونيل : « هو ذا الشراب . تذكرني ان عليك ان لا

١ - في ساحة القتال التي تولى فيها مونتغميري قيادة قوات الحلفاء .
(المرعب)

تقولي تشين تشين .»

« انا اذكر ذلك من المرات السابقة . انا لا اقول تشين تشين البتة .
ولن اقول على صحتك ، أو فلنقلب الكأس رأساً على عقب .»
« سوف نكتفي برفع كأسينا ، وفي استطاعتنا - اذا رغبت - ان
نقرع الحافة بالحافة .»

فقلت : « انا راغبة في ذلك .»

كان شراب المارتيني بارداً كالجليد ، وكان مُعدّاً على الطريقة
المونتوغوميرية حقاً . وبعد ان قرعا الحافة بالحافة أحسّأ به يتوهج على
نحو سعيد في حنايا صدرها كلها .

وسألها الكولونيل : «وماذا كنت تعملين ؟»

« لا شيء . انا لا ازال انتظر موعد العودة الى المدرسة .»

« اين هي مدرستك الآن ؟»

« الله اعلم . حيثما اذهب لأتعلّم الانكليزية .»

« اديري رأسك وارفعي ذقنك لي مرة واحدة .»

« انت تمزح ، أليس كذلك ؟»

« لا . أنا لا امزح .»

فأدارت رأسها ، ورفعت ذقنها ، في غير زهوا ولا غنج . واستشعر
الكولونيل ان فؤاده ينقلب في صدره ، وكان حيواناً هاجماً دار على
نفسه في جحره فروّع ، على نحو عذّب ، الحيوان الآخر الهاجع على
مقربة دانية منه .

وقال : « اوه ما اروعك ! ألا تحبين ان تدخلي في يوم من الايام

مباراة لانتخاب ملكة الساء ؟»

١ - chin - chin تعبير يفيد معنى التحية والحديث الراضح بالطف .

- « خليق بذلك ان يكون تدنيساً للمقدسات . »
فقال : « هذا صحيح . أحسب انه سوف يكون كذلك . واني
لأسحب الاقتراح . »

فقلت : « ريتشارد . لا ، انا لا استطيع ان أقولها . »
- « قولها . »
- « لا . »

وقال الكولونيل في ذات نفسه : انا آمرِكِ بأن تقولها . وقالت :
« ارجوك ان لا تنظر اليّ هكذا ابداً . »
فقال الكولونيل : « أنا آسف . لقد انزلت الى صناعتي على نحوٍ لا
شعوري . »

- « ولو قد كنا متزوجين او شيئاً من هذا القبيل فهل تنزع الى
ممارسة صناعتك في البيت ؟ »

- « لا ، واقسم لك على ذلك . انا لم انزع الى هذا في حياتي قط .
في اعق اعماقي على الأقل . »

- « لم تنزع الى هذا مع أحد البتة ؟ »

- « لا . اعني مع احد من بنات جنسك . »

- « انا لا احب لفظة «جنس» هذه . انها تخيّل اليّ انك كنت
تمارس صناعتك . »

-- « اني اقذف بصناعتي من تلك النافذة اللعينة الى القناة العظمى . »

فقلت : « ها ! أرايت مبلغ اندفاعك الى ممارستها ؟ »

فقال : « حسن جداً . انا احبك ، وفي استطاعة صناعتي ان
تنصرف في رفق . »

فقلت : « دعني ألمس يدك . إنها بخير . في استطاعتك ان تضعها على
المائدة . »

فقال الكولونيل : « اشكرك . »

فقلت : « ارجوك ان لا تفعل . لقد اردت ان ألسها لأنني طوال الاسبوع الماضي - كل ليلة او كل ليلة تقريباً في ما اعتقد - رأيتها في ما يراه الناس وكان حلاً مشوشاً وحملتُ انها كانت يد المسيح . »

- « هذا رديء . ما كان ينبغي لك ان تفعل ذلك . »

- « ادري . لقد كان ذلك ما رأيته في المنام ليس اكثر . »

- « انتِ لستِ على متن السفينة الصينية ، أليس كذلك ؟ »

- « است ادري ما تعني ، وارجوك ان لا تمزح حين اقول لك شيئاً

حقيقياً . لقد رأيت في نومي ما اقله تماماً . »

- « وماذا فعلت اليد ؟ »

- « لا شيء . اوربما ليس هذا صحيحاً . اغلب الظن انها كانت

بجرد يد . »

- « مثل هذه ؟ » كذلك سألها الكولونيل ، ناظراً في نفور الى اليد

المشوهة ، ومتذكراً الاصابتين اللتين جعلتاها على تلك الشاكلة .

- « ليس مثلها . لقد كانت هذه اليد ذاتها . أنسمح لي أن أمسها

بأصابعي في رفق اذا كانت لا تؤلمك ؟ »

- « انها لا تؤلمني . ما يؤلمني هو في الرأس ، والرجلين ، والقدمين .

انا لا أعتقد ان في هذه اليد ايّ احساس . »

فقلت : « انت مخطيء ، يا ريتشارد . ان هذه اليد مفعمة بالاحساس . »

- « لست احب ان انظر اليها كثيراً . انت لا تعتقد ان في استطاعتنا

ان نغفلها . »

- « من غير ريب . ولكنك غير مضطر الى ان تراها في منامك . »

- « لا . ان لديّ احلاماً اخرى . »

- « اجل . في استطاعتي ان اتخيل ذلك . ولكنني حملتُ بهذه اليد

منذ قريب . أما وقد لمستها الآن في رفق ففي ميسورنا ان نتحدث عن

اشياء مسلية اذا شئت . ما عندك من الموضوعات المسلية التي نستطيع
أن نحوض فيها ؟ »

« دعينا ننظر الى الناس ونضعهم في ميزان النقد . »

فقلت : « هذا جميل . ولن نفعل ذلك بحبث . بروح دعابتنا
الفضلى ليس غير . دعابتك ودعابتي . »

« حسن ، » كذلك قال الكولونيل . ثم نادى النادل وازاف :

« كأسان من المارتيني أيضاً . » Ancora due Martini

إنه لم يستحسن أن يقول له « كأسان على الطريقة المونتغميرية »
في نبرة يمكن أن يسممها الآخرون ، اذ كان يجلس الى المائدة المحاذية
شخصان لم يكن ثمة ريب في أنها بريطانيان .

لعل الذكر كان بمن جرحوا في الحرب ، كذلك قال الكولونيل في
ذات نفسه ، برغم أن ملاحظه تجعل هذا الظن بعيد الاحتمال . ولكن
فليساعديني الربّ على اجتناب القسوة الوحشية . فلأنظر الآن الى عيني
ريناتا ، كذلك اضاف في ذات نفسه . لعلها اجل ما فيها من جمالات
بأهدايها البريئة التي لم أر أطول منها في حياتي ، والتي لا تستعملها لغير
النظر اليّ في صدق وعفة . أيّ فتاة رائعة هي ، وما الذي افعله هنا
على أية حال ؟ ذلك اثم من الأثم . وقال في ذات نفسه : انها آخر
محبوبة سوف تعرفها ، بل ان حبك هذا هو حبك الصادق الوحيد .
وليس هذا بالأثم . انه شاهدٌ على سوء حظك ليس غير . لا ، كذلك
قال في ذات نفسه ، إنه يمور بالسعادة الى حد لعين ، وانك به
لجدة سعيد .

لقد جلسا الى مائدة صغيرة في زاوية الحجرة ، والى يمينها جلست
اربع نساء الى مائدة اكبر . كانت واحدة من اولئك النساء في ثوب
الحداد ؛ ثوب حداد مسرحي الى درجة ذكّرت الكولونيل باللايدي

ديانا مانرز وقد مثلت دور الراهبة في رواية « المعجزة » لماكس راينهارد .
كانت تلك المرأة ذات وجه جذاب ريان مبتهج بالفطرة ، وكان ثوب
حدادها متنافراً مع هذا كله .

وكانت بين الجالسات الى تلك المائدة امرأة اخرى كان شعرها اشدّ
شيباً ، بثلاثة اضعاف ، مما يستطيع الشعر أن يشيب - كذلك قال
الكولونيل في ذات نفسه . وكانت هي الأخرى ذات وجه مليح .
أما المرأتان الاخريان فإن وجهيهما لم يعنيا شيئاً بالنسبة الى الكولونيل .
وسأل الفتاة : « أتمتعدين انهن من أهل السحاق ؟ »

فقال : « لست ادري . انهن كلهن من فضليات النساء . »
- « أنا اميل الى الاعتقاد بأنهن مساحقات . ولكن ربما كنّ مجرد
صديقات حميات . أو ربما كن مساحقات وصدّقات في آن معاً . ذلك
شيء لا هممني البتة ، ولم يكن ما قلته انتقاداً . »
- « انت رائع حين تكون دمثاً . »

- « هل تحسبن ان لفظه جنتمان Gentleman منحوتة من لفظتي
الرجل Man والدمث Gentle ؟ »

« لست ادري ، » كذلك قالت الفتاة ، وأمّرت اصابعها في رقعة
بالغة فوق اليد الحافلة بالندوب . « ولكنني احبك حين تكون دمثاً . »
فقال الكولونيل : « سوف ابذل غاية الجهد لكي اكون دمثاً .
من يكون ، في اعتقادك ، ابن العاهرة ذاك الجالس الى المائدة التي
خلفن ؟ »

فقال الفتاة : « انت لا تعتصم بالدمائة فتره طويلة . فلنسأل إيتور . »
ونظر الى الرجل الجالس الى المائدة الثالثة . كان ذا وجه غريب
اشبه بوجه ابن عرس او ابن مقرض ، نحيب الآمال مُضخّم تضخيماً

١ - ابن مقرض Ferret حيوان من اللوامح اشبه ابن عرس .

شديداً . لقد بدا مجدوراً شائهاً مثل جبال القمر حين تُرى من خلال
مِرْقَب (تلسكوب) رخيص ، وبدا - كذلك فكر الكولونيل - مثل
وجه غوبلز ، لو ان الهر غوبلز 'قدّر له ذات يوم ان يكون في طائرة
احترقت ولم يوفتق الى النجاة بنفسه منها قبل ان تدركه النار .

وفوق وجهه - الذي كان يحدق على نحو موصول ، وكان الجواب
يمكن ان يُكتشف بالاسراف في تشديد النظرات وبالشكوك وعلامات
الاستفهام - كان شعراً اسود بدا وكان ليس بينه وبين الجنس البشري
أية صلة . لقد بدا الرجل وكان جلدة رأسه قد 'سلخت ثم اعيد الشعر
الى مكانه . شيء ممتع جداً ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه .
أمن الممكن ان يكون مواطناً من مواطني؟ نعم ، لا ريب أنه
مواطن من مواطني .

وتجمّع شيء من الرضاب في زاوية فسه وهو يتجاذب اطراف الحديث
- 'محدثاً - مع المرأة المسنة ، البادية العافية ، التي كانت معه . انها
تبدو مثل ايّ امّ من الامهات اللواتي يزينون بها صفحات مجلة 'ذي
لايديز هوم جورنال' ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . كانت
مجلة 'ذي لايديز هوم جورنال' ، احدى المجلات الواردة على نحو نظامي
الى نادي الضباط في تريستا ، وكان الكولونيل يتصفحها كلما وردت .
انها مجلة رائعة ، كذلك فكثر ، لأنها تجمع ما بين السكولوجيا
والأطعمة الشهية . انها تثير جوعي الى الأمرين جميعاً .

ولكن من ذلك الرجل يا ترى ؟ انه يبدو مثل صورة كاريكاتورية
لرجل اميركي أمير 'نصف إمرار في آلة تهريم اللحم ، ثم 'غلي في الزيت
غلياً طفيفاً . أنا لا اتعلق باسباب الدمامة كثيراً ، كذلك قال في
ذات نفسه .

وأقبل ايتور ، بوجهه الهزيل ومجبه للمزاح وبما فطر عليه من قلة احترام الآخرين . فسأله الكولونيل : « من هذه الشخصية الروحية ؟ »
فهز ايتور رأسه .

كان الرجل قصيراً داكن البشرة ذا شعر أسود صقيل بدا وكأنه لا يتلاءم وذلك الوجه الغريب . لقد بدا ، كذلك فكّر الكولونيل ، وكأنه نسي ان يغير لثته المستعارة بعد ان طعن في السن . ولكن له ، برغم ذلك ، وجهاً رائعاً ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . انه يبدو أشبه ببعض الهضاب المحيطة بـ « فيردان » . ولست احسب ان من الممكن ان يكون هو غوبلز ، وانه اتخذ ذلك الوجه في الايام الاخيرة عندما كانوا كلهم يشاركون في تمثيل الـ « غوتر دامورونغ »^١ .
تعالَ ايها الموت العذب Komm' Susser كذلك قال في ذاته نفسه . حسناً ، لقد اشتروا لأنفسهم قطعة كبيرة ممتازة من « الموت العذاب Susser في النهاية .

– « هل ترغبين في ساندويشة شبيهة من « الموت العذب » يا آنسة ريناتا ! »

فقات الفتاة : « لا اظن ذلك . برغم اني احب « باخ » ، وبرغم ثقفي من ان سيبرياني قادر على إعدادها . »

فقال الكولونيل : « لم اكن اهاجم باخ . »
– « أدري . »

فقال الكولونيل : « يا للجميل ! لقد كان باخ – عملياً – محارباً في صفوفنا . » ثم اضاف : « كما كنتِ انت . »

١ - Gotterdammerung ، او « غسق الآلهة » ، سلسلة من الدرامات الموسيقية مؤلفة من اربعة اجزاء ، بدأ « واغنر » في وضعها عام ١٨٦١ ولم يتمها الا عام ١٨٧٦ .
(المعرب) .

- « لست احسب اننا مضطران الى الغمز من قناتي . »
فقال الكولونيل : « متى ستعلمين ، يا بنيتي ، ان في استطاعتي أن
أمازحك لأني احبك ؟ »
فأجابت : « الآن . لقد تعلمته . ولكنك تعلم ان من الجميل ان لا يقسو
المرء في مزاحه اكثر مما ينبغي . »
– « حسن . لقد تعلمته . »
– « كم مرة تفكر بي خلال الاسبوع ؟ »
– « طوال الوقت . »
– « لا . قل لي كم مرة تفكر بي على وجه الضبط . »
– « طوال الوقت . على وجه الضبط . »
– « هل تحسب ان الهيام يبلغ بكل امرئ هذا المبلغ ؟ »
فقال الكولونيل : « لست ادري . هذا واحد من الأمور التي
لا اعرفها »
– « ارجو ان لا يبلغ الهيام بكل امرئ هذا المبلغ . لم اكن
اتصور ان في امكانه ان يبلغ هذا المبلغ . »
– « حسناً ، انت تعرفين ذلك الآن . »
فقالت الفتاة : « اجل انا اعرفه الآن . أنا اعرفه الآن واعرفه الى الابد .
اهذه هي الصيغة الصحيحة للتعبير عن ذلك ؟ »
فقال الكولونيل : « قولك انا اعرفه الآن كافٍ . ايتور ، هذه
الشخصية ذات الوجه الملهم والمرأة المليحة التي معه لا يقيان في فندق غريتي ،
اليس كذلك ؟ »
فأجابه ايتور : « لا ، انه يقيم في المبنى المجاور ، ولكنه يفيدُ في
بعض الاحيان الى غريتي ليتناول الطعام . »
فقال الكولونيل : « حسن ، وسوف يكون من الرائع أن أراه

إذا ما ألمّ به القنوط في يوم من الايام . من المرأة التي معه ؟ زوجته ؟
أمه ؟ بنته ؟ »

فأجابه ايتور : « لقد غلبتني . اننا لم نتعقب آثاره في البندقية .
وهو لم يثر لا حباً ، ولا بغضاً ، ولا كرهاً ، ولا خوفاً ، ولا
ارتياباً . هل تريد ، فعلاً أن تعرف ايما شيء عنه ؟ في استطاعتي أن
اسأل سيبرياني . »

فقالت الفتاة : « دعنا نُغفله . اليس هذا هو التعبير الذي
تصطنعونه ؟ »

فقال الكولونيل : « دعنا نغفله . »

- « ما دمنا لا نجد متسعاً من الوقت ، يا ريتشارد . اننا في
الواقع نضيع وقتنا في الكلام عليه . »

- « كنت انظر اليه كما ينظر المرء الى لوحة من لوحات غويا .
الوجوه صوراً ايضاً . »

- « انظر الى وجهي ولسوف انظر الى وجهك . ارجوك ان
تُغفل الرجل . انه لم يأت الى هنا لكي يؤدي احدأ . »

- « دعيني انظر الى وجهك من غير ان تنظري انت الى وجهي . »
فقالت : « لا . هذا غير عادل . ان عليّ أن اتذكر وجهك
طوال الاسبوع . »

فسألها الكولونيل : « وماذا افعل انا ؟ » .

وأقبل ايتور - غير قادر على اجتناب الرغبة في الكيد ، بعد أن
جمع معلوماته في سرعة وكما ينبغي لرجل بندقية أن يفعل - وقال :

- « زميلي الذي يعمل في هذا الفندق يقول انه يشرب ثلاث كؤوس
ويسكي او اربع كؤوس ثم يكتب في اسراف وفي تدفق حتى ساعة
متأخرة من الليل . »

« بخيل اليّ ان قراءة ما يكتبه لا بد ان تكون حافلة بالمتعة .
فقال ايتور : « بخيل اليّ ذلك . ولكن طريقة دانتي كانت مختلفة
جداً عن هذه الطريقة . »
فقال الكولونيل : « لقد كان دانتي ملعوناً عجوزاً آخر . بوصفه
رجلاً أعني ، لا بوصفه كاتباً . »
فقال ايتور : « انا اوافق . وأحسب انك لن تجد ، خارج فيرينزا
أيما امرى درس حياته لا يوافق على ذلك . »
فقال الكولونيل : « فلنتهك حرمة فلورنسة ! »
فقال ايتور : « تلك عملية عسيرة . لقد حاولها كثيرون ، ولكن
قدهم منهم نجحت في ذلك . لماذا تبغضها ، يا زعمي ؟ »
- « هذا أعقد من أن اشرحه لك . ولكنها كانت مركز التدريب
depot وقد لفظها deposito لفرقتي العسكرية القديمة عندما كنت غلاماً . »
- « في استطاعتي ان افهم هذا . إن لديّ اسبابي الخاصة التي
تدعوني الى بغضها ايضاً . هل تعرف مدينة طيبة ؟ »
فقال الكولونيل : « نعم . هذه المدينة ، وجزء من ميلانو ،
وبولونيا ، وبيرغامو . »
- « ان لدى سيبرياني ذخيرة كبيرة من الفودكا في حال مجيء
الروس ، » كذلك قال ايتور . وقد نزع الى المزاح القاسي .
- « انهم سوف يميثون بفودكاهم الخاصة ، غير الخاضعة للرسوم . »
- « ومع ذلك فأنا اعتقد ان سيبرياني مستعد لاستقبالهم . »
فقال الكولونيل : « واذن فهو الشخص الوحيد المستعد لذلك . قل
له ان لا يقبل اي شيكات من الضباط الصغار على بنك اوديسا ،

1 Firenze الاسم الايطالي لمدينة فلورنسة . (المرعب)

واشكرك على المعلومات التي زودتني بها عن مواطني . أنا لن آخذ من وقتك اكثر مما فعلت . »

وانصرف ايتور ، واستدارت الفتاة نحو الكولونيل ونظرت الى عينيه الفولاذيتين العتيقتين ، ووضعت كلتا يديها على يده المشوهة وقالت :
« لقد كنت غايةً في اللطف والدمائة . »

- « وأنت غاية في الجمال ، واني لأحبك . »

- « من الجميل سماع ذلك على أية حال . »

- « ما الذي سنفعله في ما يتصل بطعام العشاء ؟ »

- « سوف اتلفن الى بيتي وأستطلع ما اذا كان في ميسوري أن اغادره لهذا الغرض . »

- « لماذا تبدين محزونة الآن ؟ »

- « وهل أبدو محزونة ؟ »

- « نعم . »

- « لست محزونة في الواقع . انا الآن اسعد مني في ايما وقت مضى . تلك هي الحقيقة . ارجوك ان تصدقني ، يا ريتشارد ، ولكن ماذا تتوقع من فتاة في التاسعة عشرة متبعةً بحب رجل تجاوز الخمسين ، رجل عرفت جيداً انه اشرف على الموت ؟ »

فقال الكولونيل : « انت تصورين الوضع في شيء من الفضاظة . ولكن الجمال يَنقُطر منك حين تقولين ذلك . »

فقال الفتاة : « انا لا أبكي البتة . البتة . لقد عقدت العزم على ان لا أفعل . ولكنني سوف أبكي الآن . »

فقال الكولونيل :- « لا تبكي . أنا الآن دمتم الاخلاق ، والى الجحيم بكل ما سوى ذلك . »

- « قل مرة اخرى انك تحبني . »

- « أنا احبك ، وأحبك ، واحبك . »
 - « هل ستبذل غاية جهدك كي لا تموت ؟ »
 - « نعم . »
 - « ماذا قال الطبيب ؟ »
 - « بين بين . »
 - « ألم يقل ما هو أسوأ ؟ »
 - « لا . » لقد كذب .
 - « اذن فلنأخذ كأساً اخرى من المارتيني . انت تعلم اني لم اشرب
 كؤوس المارتيني قط قبل التقائنا . »
 - « ادري . ولكنك تشربينها في استمتاع رهيب . »
 - « ألا يجب عليك أن تأخذ الدواء ؟ »
 - « بلى ، كذلك قال الكولونيل . يجب عليّ أن آخذ الدواء . »
 - « هل تستطيع أن أقدمه اليك ؟ »

فقال الكولونيل : « نعم ، تستطيعين ان تقدميه اليّ . »

وظلا جالسين الى المائدة التي في الزاوية ، وانصرف بعض الناس
 واقبل آخرون . واستشعر الكولونيل ببعض الدوار من جراء الدواء
 وتزكّه يأخذ سبيله في حرية . وقال في ذات نفسه : تلك هي الحال
 دائماً . الى الجحيم بهذا كله .

ورأى الفتاة تراقبه ، وابتسم لها . كانت ابتسامة عجزوا اصطنعها
 . طوال خمسين سنة ، منذ أن قدر له ان يبتسم اول مرة ، وكانت لا
 تزال سليمة مثل «بارودة الخردق» من طراز بوردي Purdey التي كانت
 لجدك . حسناً ، لقد كان دائماً أبرع مني في الرماية ، وهو بذلك
 جدير .

وقال : «اسمي ، يا بُنيّة . لا يأخذك الجزع عليّ . »

- « لستُ جزعة . لا ، على الاطلاق . انا احبك ليس غير . »
- « انها ليست بالمهمة المستساعة ، اليس كذلك ؟ واصطنع لفظة
oficio بدلاً من لفظة «مهمة» ، لأنها كانا يتكلمان الاسبانية أيضاً كلما
تركا الفرنسية ، وكلما رغبا عن الكلام بالانكليزية أمام الآخرين . ان
الاسبانية لغة قاسية ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، أقسى من
قوْلحة الذرة ' في بعض الاحيان . ولكن في استطاعتك ان تعبر بها
عن المعنى الذي تريد ، وان ترمسّخه . »

وكرر قائلاً : « ان حبك لي مهمة رديئة الى حدّ غير يسير . Es un

« oficio bastante malo»

- « أجل ، ولكنه الحب الوحيد الذي أملكه . »

- « ألا ترالين تنظيمين الشعر ؟ »

- « لقد كان ما نظّمته شعر فتاة في مستقبل العمر . مثل لوحات فتاة

في ميمة الصبا . كل امرئ يكون موهوباً في سنّ بعينها . »

في ايّ سنّ تصبح شيخاً في هذه البلاد . كذلك قال الكولونيل في
ذات نفسه . ان احداً لا يشيخ في البندقية ، ولكن الصغار يشبّون
عن الطوق في سرعة بالغة . ولقد شبّبتُ أنا عن الطوق في سرعة
بالغة في الـ «فينيتو» ، ولم أكن في ايام يوم اكثر كهولة مما كنت في
الحادية والعشرين .

وسألها في حجة : «كيف أمك ؟»

- « في خير وعافية . انها لا تستقبل احداً ، وتكاد لا ترى احداً

بسبب من حزنها وأسامها . »

- « هل تعتقدين أنها تعارض لو أنجبنا ولداً ؟ »

- « لست ادري . انها ذكية جداً ، كما تعلم . ولكنني مضطرة الى

١ الجزء الخشي من كوز الذرة المصفوفة عليه حياتها .

الزواج من امرىء ما ، في ما أحسب . وإن كنت لا أرغب في ذلك
في الواقع .

- « في استطاعتنا ان نتزوج . »

فقلت : « لا . لقد فكرت في هذا ، فرأيتُ انه ليس ينبغي لنا
ان نفعل . ذلك مجرد قرار كالقرار اتخذتهُ في مسألة البكاء . »

- « لعلك تتخذين قرارات خاطلة . والمسيح يعلم اني اتخذت بضعة
قرارات خاطلة ، ولقد قضى كثير من الناس حتفهم بسبب اخطائي . »
- « يخيل اليّ ، في أغلب الظن ، انك تبالع . انا لا اعتقد انك
اتخذت كثيراً من القرارات الخاطلة . »

فقال الكولونيل : « لم تكن قراراتي الخاطلة كثيرة . ولكنها كانت
كافية . ان ثلاثة قرارات خاطلة تعتبر ، في صناعتي ، شيئاً كثيراً ؛
ولقد اتخذت هذه القرارات الثلاثة كلها . »
- « بودّي لو اعرف هذه القرارات ! »

فقال لها الكولونيل : « لو حدثتك عنها اذن لأوقعت الضجر في
نفسك . إنها تضنني كلما تذكرتها . فما ظنك بالامر الذي يجدر بها أن
تخلّفه في نفوس الغرباء ؟ »
- « وهل انا غريبة ؟ »

- « لا ، انت حيي الصادق . حيي الأخير ، الوحيد ، الصادق . »
- « هل اتخذتها في عهد مبكر أم في فترة متأخرة ؟ القرارات أعني . »
- « لقد اتخذتها في عهد مبكر . وفي عهد متوسط . وفي عهد
متأخر . »

- « ألا تحب ان تحدثني عنها ؟ لشدّ ما اتوق الى ان يكون لي في
صناعتك الكئيبة نصيب . »

فقال الكولونيل : « تباً لتلك القرارات ! لقد اتخذتها ، ولقد دفعتُ

ثمها غالباً . كل ما الأمر انك لا تستطيعين أن تدفعي الثمن بسببها .
- « هل تقوى على تحديثي عن ذلك ولماذا ؟ »
فقال الكولونيل : « لا » . وكان هذا نهاية ذلك .
- « اذن فلنأخذ بأسباب المرح . »
فقال الكولونيل : « فلنأخذ . ما دمنا لا نملك غير حياة واحدة ،
وحيدة . »

- « ربما كان ثمة غيرها . حيوات اخرى أعني . »
فقال الكولونيل : « لست اظن ذلك . اديري وجهك بجانباً يا مثال
الجمال . »
- « هكذا ؟ »

فقال الكولونيل : « هكذا ، هكذا تماماً . »
وعلى هذا النحو ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، وصلنا الى
الجولة الأخيرة ولست ادري حتى مجرد رقم الجولة . انا لم احب غير
ثلاث نساء ولقد خسرتن جميعاً .
انت تخسرن بمثل الطريقة التي تخسر بها كتيبة من الجند ؛ بالخطأ
في الحكم على الأشياء ؛ بالاوامر المتعذر تنفيذها وبواسطة الشروط
المستحيلة . وبواسطة الوحشية ايضاً .
لقد خسرتُ ثلاث كتائب في حياتي وثلاث نساء ، وها ان لديّ
الآن رابعة هي أملحن كلهن ، ومن يدري بحق الجحيم اين ستكون
نهاية ذلك ؟

قل لي ايها الجنرال . وبالمناسبة - ما دمنا نناقش المسألة ، وهي
مناقشة صريحة للوضع وليست باية حال مجلساً عسكرياً ، كما ألمعت لي
ايها الجنرال في كثير من الأحيان - اجل قل لي ، ايها الجنرال ، اين هم
فرسانك ؟

لقد طاف في خلدي هذا السؤال نفسه ، كذلك قال الكولونيل .
ان القائد لا يعرف اين فرسانه ، وفرسانه لا يعلمون علم اليقين شيئاً لا
عن وضعهم ولا عن رسالتهم ، وهكذا فإنهم - او بعضهم ... عدداً
كافياً منهم - يفرون من ميدان المعركة كما تعود سلاح الفرسان ان يفروا
في جميع الحروب منذ أن كان لسلاح الفرسان أفراس ضخام .

وقال : « يا مثال الجمال ! يا عزيزتي الغالية ومحبوبي الأثيرة
Ma très Chère et bien aimée أنا مضجر جداً ، وإني لآسف . »

- « أنا لا استشعر الضجر معك البتة . وإني احبك ، ولست اطمع
في غير الأخذ بأسباب البهجة هذه الليلة . »

فقال الكولونيل : « سوف نأخذ بأسباب البهجة من غير ريب . هل
تعرفين أيما شيء خصوصي نستطيع أن نبتهج بسببه ؟ »
- « في استطاعتنا أن نبتهج بجالتنا ، وأن نبتهج بهذه المدينة . لقد
طالما كنت مستسلماً للبهجة . »

فأقربها الكولونيل : « أجل . » لقد كنت .

- « ألا تعتقد أن في ميسورنا أن نفعل ذلك كرة أخرى ؟ »
- « من غير ريب . طبعاً . ولم لا ؟ »

- « هل ترى الغلام ذا الشعر المتموج ، الطبيعي ، فهو لا يزيد على ان
يرده الى الوراء بعض الشيء ، وفي حذق ، لكي يبدو أملح وأحلى ؟ »
فقال الكولونيل : « أجل أراه . »

- « إنه رسام بارع جداً ، ولكن له اسناناً أمامية زائفة لأنه كان
في يوم ما ينزع منازل اصحاب الحب الشاذ بعض الشيء ، ولقد هاجمه
نفرٌ من هؤلاء ذات ليلة في «الليدو» حين كان القمر بدرأ . »
- « ما سنك ؟ »

- « سوف أدخل عما قريب ، في سن التاسعة عشرة . »

- « وكيف تعرفين هذا ؟ »

- « لقد عرفته من الغناديليين . ان هذا الغلام هو الآن رسام بارع جداً . ونحن نفتقر في هذه الايام الى الرسامين البارعين حقاً . ولكن يا لمشهده ، الآن ، بهذه الأسنان الزائفة ، وهو لما يتجاوز الخامسة والعشرين ! »

فقال الكولونيل : « انا احبك اصدق الحب . »

- « وانا احبك اصدق الحب ايضاً . أياً ما كان معنى ذلك باللغة الاميركية . وانا احبك ايضاً بالايطالية ، برغم حصافتي كلها ، وأمنياتي كلها . »

فقال الكولونيل : « ليس من حقنا ان نسترسل في الأمنيات اكثر مما ينبغي . لأننا عرضة دائماً للفوز بها . »
فقالت : « اوافقك على هذا . ولكني اوثر ان افوز بما اتناه الآن . »

ولم يقل اي منهما شيئاً ، ثم ان الفتاة قالت : « ذلك الغلام (لقد امسى الآن رجلاً طبعاً ، وهو يلزم كثيرات من النساء لكي يخفي حقيقته) قد رسمي مرة . في استطاعتي ان اقدم اليك تلك اللوحة اذا شئت . »

فقال الكولونيل : « شكراً . ولسوف احبها . »

- « انها رومانتيكية جداً . وشعري فيها اطول ، الى حد مضاعف ، مما كان في اي وقت مضى ، وهي تُظهرني وكأني كنت انبثق من الماء ولكن من غير ان يصيب البلل رأسي . والواقع انك تنبثق من الماء وشعرك مسرف في التسطح والاستواء ، ... انك تبدو ، او تكاد ، مثل هرة على قاب قوسين من الموت . ولكن والذي دفع اليه ثمن اللوحة في سخاء . صحيح انها ليست انا حقاً ، ولكنها الوجه الذي

تودّ انت ان تراني فيه . »

- « اني لأتصورك منبثقة من البحر ايضاً . »

- « طبعاً . بشعة جداً . ولكنك قد ترغب في الاحتفاظ بهذه على سبيل الذكرى . »

- « ألن تعترض امك الفاتنة على ذلك ؟ »

- « ان امي لن تعترض . بل اني لأحسب انها سوف تكون سعيدة بالتخلص منها . ان عندنا في البيت صوراً افضل . »

-- « انا احبك واحب امك حباً عظيماً . »

فقال للفتاة : « يتعين عليّ ان اخبرها . »

-- « هل تحسبن ان ذلك الغير ، المجدور الوجه ، كاتبٌ فعلاً ؟ »

- « اجل . اذا قال ايتور ذلك . انه يجب ان يمزح ، ولكنه لا يكذب . ولكن ماذا تعني لفظه « غرّ » ، يا ريتشارد ؟ أصدّقني

القول . »

- « من العسير ، بعض الشيء ، ايضاح ذلك . ولكنني احسب انها تعني الرجل الذي لم يمارس صناعته (واستعمل لفظة *oficio* الاسبانية) ممارسة فعلية ، والرجل المغرور بطريقة مزعجة . »

- « يتعين عليّ ان اتعلم لكي استعمل التعبير على وجهه الصحيح . »
فقال الكولونيل : « لا تستعمليه . »

ثم انه سأها : « متى ستقدمين اليّ اللوحة ؟ »

- « اللبلة اذا شئت . سوف اكلف بعضهم بلفها . ويارسأها اليك

من البيت . أين ستعلقها ؟ »

- « في حجرتي . »

- « ولن يأتي احد ويبدى بعض الملاحظات ويقول فيّ مقالة سوء ؟ »

- « لا . انهم لن يفعلوا ذلك . ثم اني سوف اقول لهم انها صورة ابنتي . »

- « هل كانت لك في يوم من الايام بنت ؟ »

- « لا . ولكني رغبت دائماً في ان تكون لي بنت . »

- « استطيع ان اكون بفتك كما استطيع ان اكون اي شيء آخر . »

- « خليق بذلك ان يكون ضرباً من مضاجعة الهارم . »

- « لست اعتقد ان هذا سوف يكون فظيماً جداً في مدينة عتيقة

كهنه المدينة ... مدينة شهدت ما شهدته هذه المدينة . »

- « اسمعي ، يا بنيّتي . »

فقلت : « حسن . هذا رائع . اني احب ذلك . »

- « حسن جداً » . كذلك قال الكولونيل وقد غدا صوته خشناً

بعض الشيء . « وانا احبه ايضاً . »

- « رأيت الآن لماذا احبك على الرغم من اني اعقل من ان اقدم

على ذلك ! »

- « اسمعي ، يا بنيّتي . اين تريدان أن نتناول طعام العشاء ؟ »

- « حيثما يحلو لك . »

- « هل تريدان ان تتعشّيا في الغريتي ؟ »

- « طبعاً . »

- « اذن تلفني الى البيت واطلي الاذن . »

- « لا . لقد عقدت النية على ان لا اطلب الاذن مكتفية بأعلامهم

أين اعترم ان اتناول طعام العشاء . وهكذا لن يساورهم القلق عليّ . »

- « ولكن هل تفضلين «الغريتي» فعلاً ؟ »

- « اجل . لأنه مطعم لطيف ، ولأنه الفندق الذي تنزل فيه ، »

وهناك يستطيع من يشاء النظر إلينا ان ينظر إلينا .

- « من اي عهد أصبحت هكذا ؟ »

- « لقد كنت هكذا طوال عمري . انا لم ابال قط ، في اي يوم ،
بالذي قد يقوله الناس . ولم اباثر قط أي عمل كنت خجلة به ما خلا
الكذب حين كنت فتاة صغيرة ومخاشنة الناس . »

فقال الكولونيل : « لشد ما اتمنى لو نتزوج وننجب خمسة اولاد . »
فقال الفتاة : « هذا ما اتمناه انا ايضاً . وان نبعث بهم الى زوايا
العالم الخمس . »

- « وهل للعالم خمس زوايا ؟ »

فقال : « لست ادري . لقد بدا لي وكأن له خمس زوايا حين قلت
ذلك . والآن ، لقد استعدنا مَرَحَنَا ، اليس هذا صحيحاً ؟ »

فقال الكولونيل : « نعم ، يا بنيتي . »

- « قلها مرة ثانية . تماماً كما قلتها الآن . »

- « نعم ، يا بنيتي . »

فقال : « اوه ، لا ريب في ان الناس جدّ معقّدين . أتسمح لي بأن
ألمس يدك ؟ »

- « انها بشعة الى حد لعين واني لأكره النظر إليها . »

- « أنت لا تقدر يدك حق قدرها . »

فقال : « هذه مسألة رأي . اني لأميل الى القول بأنك مخطئة ،
يا بنيتي . »

- « ربما كنت مخطئة . ولكننا أخذنا بأسباب المرح من جديد ، »

وأياً ما كان الشيء الرديء فقد انقشع الآن . »

- « لقد انقشع كما ينقشع الضباب عن الأودية في الأرض المحروقة »

عندما تطلع الشمس ، ، كذلك قال الكولونيل : « وما الشمس
إلا أنت . »

- « أودّ ان اكون القمر ايضاً . »

فقال الكولونيل : « وأنت القمر . وأيما كوكب سيار ترغبين في ان
تكونيه ايضاً ، ولسوف احدد لك موقع الكوكب تحديداً دقيقاً . وحق
المسيح ، يا بنيّتي ، ان في استطاعتك أن تكوني كوكبة نجوم ثابتة
(Constellation) اذا شئت . وكن هذه طائرة ١ . »

- « سوف اكون القمر . ان للقمر متاعبه الكثيرة ايضاً . »

- « نعم . ان أحزانه لتتواتر على نحو نظامي . ولكنه يكتمل دائماً
قبل أن ينمحق ٢ . »

- « إنه ينظر اليّ نظرات جدّ محزونة ، احياناً ، عبر القنادة؛ وليس
في استطاعتي احتمال تلك النظرات . »
فقال الكولونيل : « لقد تناول تطوافه في السماء . »

- « هل تستحسن أن نحتسي كأساً اخرى على الطريقة المونتغميرية ؟ »
كذلك سأته الفتاة . ولاحظ الكولونيل ان البريطانيين قد انصرفا .
لم يكن يلحظ شيئاً غير وجهها المليح . وقال في ذات نفسه : سوف
اقضي نحيبي في يوم ما إن استرسلت في ذلك . ومن ناحية اخرى ، فهذا
ضرب من التركيز في ما أحسب . ولكنه استهتار لعين .

١ - لكي يفهم القاري، هذه السطور تشير هنا الى ان اسم كرنستالاشين
Constellation ، او كوكبة النجوم الثابتة ، يطلق على نوع من الطائرات ايضاً .
(المعرب)

٢ - انمحق الهلال : لم يكدر يرى في آخر الشهر .

وقال : « اجل . ولم لا ؟ »

فقالت الفتاة : « ان الكؤوس المونتغميرية تنعش نفسي كثيراً . »

- « إنها تختلف في نفسي أثراً ما ، ايضاً ، بالطريقة التي يعدها

سيبرياني بها . »

- « سيبرياني ذكي جداً . »

- « هو اكثر من ذلك . انه بارع . »

- « سوف يأتي يوم يمتلك فيه مدينة البندقية كلها . »

فخالفها الكولونيل في الرأي : « ليس كلها تماماً . إنه لن

يمتلكك أبداً . »

فقالت : « لا . ولن يمتلكني أيما امرىء ، إلا اذا أردتني انت . »

- « انا اريدك ، يا بنيّتي . ولكني لا أريد أن امتلكك . »

فقالت الفتاة : « انا اعلم ذلك ، وهذا سبب آخر يضاف الى مجموعة

الاسباب التي تجعلني احبك . »

- « فلننادِ ايتور ، ونكلفه ان يتلفن لأهلك . في استطاعتك ان

تحدثهم حديث اللوحة . »

- « انت على حق تماماً . اذا كنت راغباً في الحصول على اللوحة ،

الليلة ، فسوف أطلب الى كبير الخدم ان يرزما ويبيعت بها اليك . ولسوف

اسأله ايضاً ان يصلني بما لا أخبرها ابن سنتناول طعام العشاء ، واذا

شئت ذلك التمسْتُ منها إذنها . »

- « لا . » كذلك قال الكولونيل ، ثم اضاف : « ايتور ، كأسين

مونتغميريين ... كأسين مونتغميريين من الطراز الأعلى ، مع شيء من

الزيتون المتوّم ، ولتكن حباته غير كبيرة . وارجوك ان تتصل تلفونياً

ببيت هذه السيدة وُعلمها حين يتم هذا الاتصال . وافعل هذا كله
بأسرع ما تستطيع .

- « سماعاً وطاعة ، يا زعمي . »

- « والآن ، يا بنيّتي ، فلنستأنف الأخذ بأسباب المرح . »

فقلت : « لقد استأنفناه حين تكلمت . »

كانا يتمشيان الآن على الجانب الايمن من الشارع المفضي الى فندق غريتي . وكانت الريح تهب من ورائها ، ولقد عبثت بشعر الفتاة ودفعته الى امام . لقد كُفرت مؤخر شعرها وعصفت به فتدلّى على وجهها . كانا ينظران الى واجهات المحالّ التجارية ، ووقفت الفتاة قبالة واجهة مضاءة لمحل من محالّ بيع المجوهرات .

كانت في الواجهة ورائع من المجوهرات القديمة ، ووقفنا ، وأنما النظر اليها ، وأشار كل منهما بدوره الى ابدعها ، مفلتاً يد رفيقه لكي يفعل ذلك .

« هل ترغبين في اي من هذه رغبة حقيقية ؟ إن في استطاعتي أن اشتريها غداً صباحاً . ولسوف يقرضني سيبرياني ثمنها »
فقالت : « لا . لست أريد اي شيء ، ولكنني الاحظ انك لا تقدم اليّ هدايا البتة . »

« انتِ اغنى مني بكثير . اني اجمل اليك اشياء صغيرة من مخازن الجيش ، واشتري لك أشربة كحولية وضروباً من الاطعمة . »
« وتأخذني في الغناديل والى المواطن الفاتنة في البلاد . »
« لم يخطر ببالي قط انك راغبة في هدايا من الحجر الصلد . »
« لا ، لست راغبة في ذلك . انه مجرد التفكير في العطاء ثم

ينظر المرء الى الجوهرات ويفكر فيها حين تلبس .
فقال الكولونيل : «اني اتعلم . ولكن ما الذي استطيع براتي
المسكري ان اشتره لك مما يضاهاى زمرداتك المربعة ؟»

- «ولكن ألا ترى ، لقد ورثتها . لقد تحدثت اليّ من جدتي ، وكانت
جدتي قد ورثتها عن امها التي ورثتها بدورها عن امها ايضاً . هل تعتقد ان
الأمر لا يختلف حين تكون الحجارة الكريمة التي تزين بها موروثه عن
أناس أموات ؟»

- «انا لم افكر بذلك قط قبل اليوم .
- «في استطاعتك ان تأخذها ، اذا كنت تحب الحجارة الكريمة .
فهي لا تعدر ان تكون عندي شيئاً ألبسه مثل ثوب من اثواب باريس .
انت لا تحب ان تلبس ثوبك العسكري الرسمي ، هل تحب ذلك ؟»

- «لا .»

«ولا تحب أن تتقلد سيفاً ، هل تحب ذلك ؟»

- «لا ، لا .»

- «انت لست من ذلك الضرب من الجند ، وانا لست من ذلك الضرب
من الفتيات . ولكن قدّم اليّ في بعض الأحيان شيئاً باقياً استطيع
ان ألبسه وأن استشعر السعادة كلها لبسته .»

- «لقد فهمت .» كذلك قال الكولونيل . «ولسوف أفعل .»

فقال الفتاة : «أنت تتعلم بسرعة أشياء لا تعرفها . وانك لتتخذ
قرارات ظريفة عاجلة . انا اريدك ان تأخذ أحجار الزمرد وأن تحتفظ
بها في جيبك كما يحتفظ المرء بجوالب الحظ السعيد ، وان تلمسها حين
تكون متوحداً .»

- «أنا لا اكثر من وضع يديّ في جيوبي أثناء العمل . ان من دأبي
ان الوي عصاً ، او شيئاً ما ، أو أن أشير الى الأشياء بقلم رصاصي .»

- « ولكن في ميسورك ان تضع يدك في جيبك مرة واحدة ليس غير ، كلما انقضت فترة طويلة ، وان تلمسها . »

- « أنا لا اكون متوحداً في اثناء العمل . ذلك بأني استغرق خلال ذلك في تفكير عميق يجعلني دائماً في نجوة من التوحد . »

- « ولكنك لا تعمل الآن . »

- « لا . إني أعِد الطريقة الفضلى للانهزام ، ليس غير . »

- « سوف اقدمها اليك على اية حال . وانا واثقة من ان ماما سوف تتفهم الدافع الذي حفزني الى ذلك . وفوق هذا فلن اضطر الى اعلامها بذلك قبل انقضاء فترة طويلة . فهي لا تتحرى اشياء تحرياً موصولاً . وانا على يقين ان وصيفتي لن تخبرها ابداً . »

- « لست اعتقد انه ينبغي لي ان آخذها . »

- « خذها ، ارجوك ، لكي توقع في نفسي البهجة . »

- « لست واثقاً من انه عمل مشرف . »

- « ذلك أشبه ما يكون بقولك اني غير واثق من اني بكر . ان كل عمل تقوم به إبهاجاً لشخص آخر تحبه هو عمل مشرف الى ابعد الحدود . »

فقال الكولونيل : « حسن . سوف آخذها على اية حال . »

- « والآن قل اشكرك ، » قالت الفتاة ذلك ودست الحجارة الكريمة في جيبه بمثل رشاقة لص من لصوص المجوهرات . « لقد جئتك بها لأنني سلخت الاسبوع كله في التفكير في ذلك وعقد النية عليه . »

- « لقد حسبت انك سلخته بالتفكير في يدي . »

- « لا تكن فظاً ، ياريتشارد . ويتعين عليك ان لا تكون احق

البتة . ان اليد التي ستلمسها بها هي يدك . ألم تفكر في ذلك ؟ »

- « لا . ولقد كنت احق . ما الذي ترغبين فيه من معروضات هذه
الواجهة ؟ »

- « انا أرغب في ذلك الزنجي الصغير ذي الوجه الأبنوسي والعمامة
المصوغة من ماسات صغيرة ، والمزدانة قمتها بتلك الباقوتة الصغيرة .
ولسوف اعلقه على صدري مثل دبوس تزييني . كان كل امرئ في
هذه المدينة يعلق امثاله على صدره في الايام الخوالي ، ولقد كانت
الوجوه هي وجوه خدمهم المتمتعين بثقتهم . اني اشتيت ذلك منذ عهد
بعيد ولكنني اردتك ان تقدمه اليّ . »

- « سوف ابعث به اليك صباح غد . »

- « لا ، قدمه اليّ حين نتناول طعام الغداء قبل رحيلك . »

فقال الكولونيل : « حسن . »

- « والآن يتعين علينا ان نمشي وإلا فاتنا طعام العشاء . »

وشرعا يمشیان ، متشابكي الذراعين ، حتى اذا بلغا الجسر الاول
جلدتها الريح بسياطها . وحين استشعر وخز الألم الحادّ قال الكولونيل
في ذات نفسه : الى الجحيم بهذا .

وقالت الفتاة : « ريتشارد ، ضع يدك في جيبك لكي تبهجني والمساء . »

فنزل الكولونيل عند رغبتها .

وقال : « ان ملمسها لبدیع . »

ومن الريح والبرد تقدّمًا خلال المدخل الرئيسي لـ «غريقي بالاس اوتيل»، نحو ضياء الردهة ودفنّها .

— «طاب مساؤك»، ابتها الكونتيسة، كذلك قال بواب الفندق .
«طاب مساؤك»، يا زعيمي . لا بد ان يكون البرد قارساً في الخارج .
فقال الكولونيل : «إنه لكذلك» ولم يُضِفِ ايًا من العبارات الجافية أو البذيئة عن مدى البرد، وقوة الريح، التي كان من دأبه اصطناعها في الأحوال العادية رغبة في الاستمتاع المتبادل كلما تحدّث منفرداً الى بواب الفندق .

وفيا هما يدخلان البهو الطويل المفضي الى السلم العريض والى المصعد، مختلفاً — الى يمينك — المدخل الى المشرب (البار)، والمعبر المطل على القناة العظمى، والمدخل الى حجرة الطعام، انبثق المايسترو الاعظم من المشرب .

كان يرتدي سترة بيضاء رسمية، طويلة، ولقد ابتسم لهما وقال :
«طاب مساؤك»، يا كونتيسي . طاب مساؤك، يا زعيمي .
فقال الكولونيل : «اهلاً بالمايسترو الاعظم !»

وابتسم المايسترو الاعظم وقال وهو لا يزال منحنيًا تحيةً لهما :
«نحن نقدّم طعام العشاء في المشرب في الطرف الاقصى . فليس هنا احد الآن في فصل الشتاء»، وحجرة الطعام اضخم مما ينبغي . لقد احتفظت

لكما بمائدتكما . ان لدينا جرادة بحر ممتازة جداً ، اذا كنتما تحببناها ،
كاستهلال .

- «أهي طازجة حقاً؟»

- «لقد رأيتها هذا الصباح عندما جاءت من السوق في سلة . كانت
لا تزال على قيد الحياة وكانت خضراء داكنة ، مشاكسة الى ابعده حد ،
- «هل تحبين ان تستهلي عشاءك يجرادة بحر ، يا بُنيّتي؟»

كان الكولونيل خجلاً باصطناع هذه الكلمة ، وكذلك كان المايسترو
الأعظم ، وكذلك كانت الفتاة . ولكن الكلمة عنت عند كل منهم
شيئاً مختلفاً .

- «كنت انوي الاحتفاظ بها لكما في حال مجيء ايّ من الاثرياء
المتهاكين على الربح المحرّم . لقد ذهبوا الآن ليقامروا في «الليدو» .
كنت احاول ان لا أبيعها .»

فقالت الفتاة : «يسرني ان أطعمَ شيئاً من جراد البحر . بارداً
مع المايونيز . وان يكون المايونيز كثيفاً .» لقد قالت هذا بالايطالية .
ثم قالت للكولونيل ، في نبرة جدية : «أليس جراد البحر
غالياً اكثر مما ينبغي؟»

فقال الكولونيل : Az hija mia

فقالت : «إلمس جببك اليمين .»

فقال المايسترو الأعظم : «سوف أتأكد من أن تلك الجرادة ليست
غالية اكثر مما ينبغي . والا اشتريتها أنا . في استطاعتي أن افوز بها
في يسر بالغ لقاء أجري الاسبوعي .»

- «سوف تباع للتروست Trust» كذلك قال الكولونيل ، وكانت
لفظة «تروست» هذه هي اللقب المختصر الذي اطلقوه على القوات العسكرية
المحتلة مدينة ترييستا . «انها لن تكلفني غير اجرة يوم واحد .»

فقلت الفتاة : « ضع يدك في جيبك الأيمن واستشعر انك موسر جداً . »

وأدرك المايسترو ان هذه كانت نكتة شخصية ومضى لسبيله ، معتمداً بالصمت . كان سعيداً بالفتاة ، التي احترمها واعجب بها ، وكان سعيداً لما نعيمَ به الكولونيل من متعة و بهجة . وقال الكولونيل : « انا غنيّ . ولكن اذا ناكدتني بالاشارة الى تلك الأحجار على نحو موصول ، أعدتها اليك ، بأن اضعها على غطاء المائدة ، وعلى مرأى من الناس جميعاً . »

كان قد شرع هو يناكدها بدوّره ، على نحو خشن ، راداً على المهجوم بهجوم معاكس من غير ان يفكر في ذلك مجرد تفكير . فقالت : « لا ، لن تفعل ذلك لأنك شرعت تحب تلك الأحجار . » - « إني لمستعد لأن أمسك بأيما شيء احبه واقذف به من اعلى شاطئ صخري قدّر لعينيك أن تراه ، وان لا انتظر حتى اسمعه يشب عن الارض . »

فقلت الفتاة : « لا ، لن تفعل . انك لن تقذف بي من ايما شاطئ صخري عالٍ . »

فأقرها الكولونيل قائلاً : « لا . واغفري لي حديثي الجافي هذا . » فقالت الفتاة له : « ان حديثك لم يكن جافياً جداً ، واننا لم اصدقه على اية حال . والآن هل امضي الى حجرة النساء لتسريح شعري وإظهار نفسي بمظهر لائق أم امضي معك الى حجرتك ؟ »

- « ايّ الخطتين تؤثرين ؟ »

- « أن امضي الى حجرتك ، طبعاً ، وارى كيف تعيش فيها وكيف يجري كل شيء هناك . »

- « واهل الفندق ؟ »

- « كل شيء امسى معروفاً في البندقية على اية حال . ولكن الناس يعرفون أيضاً من هي اسرتي وأني فتاة سالحة . وهم يعرفون أيضاً ان المجتمعين أنا وأنت . ان لنا رصيذاً نستطيع ان نستنفده . »
فقال الكولونيل : « حسن . بالسلم ام بالمصعد ؟ »

- « بالمصعد ، » كذلك قالت ، وسمع التغيير الطارىء على صوتها .
« في استطاعتك ان تنادي غلاماً ، واذا شئت اعملناه نحن بنفسينا . »
فقال الكولونيل : « فلنعمله نحن بنفسينا . لقد تبهرتُ في شؤون المصاعد منذ عهد بعيد . »

كانت رحلة المصعد ناجحة يشوبها ارتطام طفيف ، ثم اطرد التيار الكهربائي آخر الأمر .

وقال الكولونيل في ذات نفسه : تزعم انك تبهرت في هذا ، ايه ؟ من الخير لك ان تتبحر فيه من جديد .

لم يكن الرواق جميلاً الآن فحسب ، بل كان مثيراً . ولم يكن ادخال المفتاح في القفل عملية عادية ، بل كانت طقساً من الطقوس .
- « ها هي ذي ، » كذلك قال الكولونيل وهو يدفع الباب بعد أن فتحه . « كيف تجدونها ؟ »

فقالت الفتاة : « انها فاتنة . ولكنها قارسة الى حد رهيب بسبب من هذه النوافذ المفتوحة . »
- « سوف اغلقها . »

- « لا ، ارجوك . دعها مفتوحة اذا كنت تحبها هكذا . »
وقبلها الكولونيل وأحسن يجسدها الرائع المشوق ، الغض ، اللدن ، الحسن البناء يلامس جسده الذي كان قاسياً وحسناً ولكنه مضني .
وفيا هو يقبلها لم يفكر في شيء البتة .
وتبادلا القبلة فترة طويلة ، وقد وقفا منتصبين ، واستغرقا في التقبيل ، غير حافلين ببرد النوافذ المفتوحة المطلة على القناة العظمى .

وقالت : « اوه ! » ثم اضافت : « اوه ! »

وقال الكولونيل : « لسنا مدينين بشيء . بشيء البتة . »

- « هل ستتزوجني وهل سننجب الاولاد الخمسة ؟ »

- « سوف افعل ! سوف افعل ! »

- « هل ستفعل حقاً ؟ »

- « من غير ريب . »

- « قبلني كرة اخرى ، ودع اضرار سترتك العسكرية توجعني ولكن

ليس اكثر مما ينبغي . »

ووقفا هناك وتبادلا قبلات حارة . وقالت : « عندي خيبة أمل لك .

إن عندي ، في كل مسألة من المسائل ، خيبة أمل . »

قالت ذلك وكأنه رأي لا يحتمل الجدل . ولقد تناهى الى الكولونيل

كما تناهت اليه رسالة من احدى الكتائب الثلاث ، عندما نطق قائد

الكتيبة بالحقيقة المطلقة ونقل اليه اسوأ الانباء .

- « اواثقة انت مما تقولين ؟ »

- « نعم . »

فقال : « يا بنيتي المسكينة ! »

ولم يكن ثمة ، الآن ، ايما شيء قاتم في تلك الكلمة ولقد كانت

بلته حقاً ، ورثى لها وأحبها .

وقال : « لا بأس . سرّحي شعرك ، وجددي حمرة شفّتيك وما الى

ذلك ، وسوف نتم بعشاء شهّي . »

- « قل كرة اخرى ، أولاً ، انك تحبني واضغط بأزرارك على صدري

ضغطاً محكماً . »

ثم انه همس في اذنها على ارقّ نحو عرفه ، همس مثل همسه

يوم كانوا على مبعدة خمسة عشر قدماً وكان هو ملازماً غضّ الشباب

يقوم بواجب الحراسة الليلية : انا احبك ، يا حيي الأفضل والأخير
والوحيد الصادق . »

فقلت : « حسن . » وقبلته في حرارة حتى لقد استطاع ان يستشعر
ملحَ الدم العذبَ داخل شفته . وقال في ذات نفسه : وانا احب هذا
أيضاً .

- « والآن سوف اسرح شعري واجدد حمرة شفتيّ وفي ميسورك ان
تراقبني . »

- « هل تريدن ان أقفل لك النوافذ ؟ »

- « لا . سوف نفعل ذلك كله في غمرة البرد . »

- « من تحبين ؟ »

فقلت : « أنت . ولسنا ننعم بحظ عظيم ، اليس كذلك ؟ »

فأجابها الكولونيل : « لست ادري . ابدأي في تسريح شعرك . »

ومضى الكولونيل الى الحمام ليغتسل استعداداً لتناول طعام العشاء .
وكان الحمام هو الجزء الوحيد غير المرضي في تلك الحجرة . ذلك بأن
الـ « غريتي » ، شيد اول ما شيد ليكون قصراً ، ومن هنا لم يكن في
حجراته ، عند بنائه حمامات ، حتى اذا اضيفت اليه في ما بعد أقيمت
في الرواق ، فكان على الراغبين في استعمالها أن يحيطوا ادارة الفندق
علماً بذلك على نحو مسبقٍ فتممده الى تسخين الماء وتقديم المناشف .

وكان هذا الحمام قد اقتطع ، اعتبارياً ، من احدى زوايا الحجرة .
ولقد كان حماماً دفاعياً اكثر منه هجومياً ، كذلك استشعر الكولونيل .
وفيا كان يفتسل ، مضطراً الى النظر في المرآة ليمحو ايما اثر من آثار
احمر الشفاه ، رأى الكولونيل الى وجهه .

وقال في ذات نفسه ، إنه يبدو وكأنّ نجاراً غيرَ مبالٍ قدّه من

خشب . »

ونظر الى مختلف الندوب والأخاديد التي كانت قد ظهرت قبل ان
تعرف الجراحة التجميلية ، والى الخطوط الرفيعة ، التي خلقتها الجراحات
التجميلية البارعة بعد اصابة الرأس بجراح ، والتي ما كان يلحظها غير
المطلعين على سرها .

حسنا ، هذا كل ما استطيع ان اقدمه كشدق او واجهة ، كذلك
قال في ذات نفسه . وانها لتقدمة هزيلة الى حدٍ لعين . وخير ما فيها
انها مسفوعة ، وهذا ما يجردُها من بعض دمامتها . ولكن ، يا للمسيح ،
ايّ رجل بشع أنا !

ولم يلاحظ فولاذ عينيه العتيق البالي ، وغضون الضحك الصغيرة
المتطاولة عند زوايا عينيه ، لا ولم يلاحظ ان انفه المكسور كان أشبه
بأنف مصارع محترف في التماثيل الأشد امعانا في القِدَم . بل لم يلاحظ
فه الرقيق في جوهره والذي كان في امكانه ان يصبح قاسيا لا يعرف
الرحمة حقا .

اذهي الى الجحيم ، كذلك قال للمرأة . وأنت أيها البائس المقهور ،
هل يتعين عليّ وعليك أن نعاود الجلوس في حضرة السيدات ؟
وغادر الحمام الى الحجرة ، وكان تاضر الشباب كعهده يوم شن هجومه
العسكري الاول . لقد خُلف في ذلك الحمام كل الاشياء التافهة الحقيمة
كما هي الحال دائما ، هكذا قال في ذات نفسه . فذلك هو المكان
الذي جعلت له .

وقال بالفرنسية : اين ثلوج العام الماضي ؟ اين ثلوج الايام الغابرة ؟ كل

هذه الأشياء وأمثالها في المبولة
Ou sont les neiges d'antan ? Ou sont les neiges d'autrefois ? Dans le pissoir toute la chose comme ça .

وكانت الفتاة ، التي كان اسمها الاول رينانا ، قد فتحت بابي الخزانة
الطويلة . وكان البسابان مكسوتين بكاملها بالمرايا ، من داخل ، وكانت
تسرح شعرها .

انها لم تكن تسرّحه زهواً منها وُعجباً ، لا ولا لكي تُحدِث في نفس الكولونيل ما كانت تعلم ان في امكان ذلك ان يُحدثه وما كان خليقاً به ان يُحدثه . كانت تسرّحه في عسر ومن غير توقير . واذ كان جدّ كثيف ، نابضاً بالحياة كشعر الفلاحات أو كشعر الفاتنات من نساء طبقة النبلاء العليا ، فقد قاوم المشط وتمرد عليه .

فقالت : « لقد جعلته الريح شديد التشابك والتعقيد . ألا تزال تحبني ؟ »

فقال الكولونيل : « بلى . هل تسمحين لي بأن اساعدك ؟ »

- « لا . لقد دأبت ، طوال حياتي ، على تسريحه بنفسي . »

- « في استطاعتك ان تقفي بجانبه . »

- « لا . ان جميع خطوط جسمي الحديدية هي لأولادنا الخمسة

ولرأسك انت كي يستنم اليها . »

فقال الكولونيل : « كنت افكر في الوجه وحسب . ولكنني اشكرك

لتنبيهك اياي . لقد تردى انتباهي في الخطأ كرة اخري . »

- « أنا وقحة اكثر مما ينبغي . »

فقال الكولونيل : « انهم في اميركة يصنعون هذه الأشياء من أسلاك

ومطاط اسفنجي » ، كذلك الذي نستعمله في مقاعد الدبابات . والمرء لا

يدري هناك ، ابدأ ، ما اذا كان الأمر ينطوي على أي قدر من الحقيقة

الا اذا كان ولداً خبيثاً ، مثلي أنا . »

- « أما هنا فالوضع غير ذلك . » قالت هذا وأدارت شعرها

بالمشط - وكان الآن مفروقا - الى أمام حتى أمسى تحت خط وجنتها ،

ثم أمالته الى الورا فندلّ على منكبيها .

- « هل تجده أنيقاً ؟ »

- « انه ليس مغالياً في الاناقة ولكنه جذاب الى حد لعين . »

- « في استطاعتي أن ارفعه الى اعلى وأن أفعل اضراب ذلك كله اذا كنت ممن يُعجبون بالاناقة ويقدرّونها . ولكنني لا احسن اصطناع دبائيس الشعر ، وان ذلك ليبدو لي حماقة بالغة . » كان صوتها رخيماً جداً ، ولقد ذكره دائماً ببابلوكاسالز وهو يعزف على الفيولانسيلو بحيث جعله يستشعر وكأن به جرحاً لا يطيق له احتمالاً . ولكنك تستطيع ان تحتمل كل شيء ، كذلك قال في ذات نفسه .
وقال الكولونيل : « انا أحبك كما انتِ حبا عظيماً . وأنتِ أجمل امرأة قدّر لي ان اعرفها ، أو أراها ، حتى في لوحات الرسامين الكبار . »

- « اني لأعجب لماذا لم تأتِ اللوحة . »
- « إن امتلاك تلك اللوحة شيء رائع ، كذلك قال الكولونيل ، وقد عاد الآن جنرالاً كره اخرى من غير ان يفكر في ذلك . ولكنه اشبه بسنخ حصان ميت . »
فقالت الفتاة : « لا تكن فظاً ، أنا لا أستشعر البتة وكأنني فظة هذه الليلة . »

- « لقد انزلتُ الى عامية صناعتي القدرة *sale métier* »
فقالت : « لا ، أرجوك ان تطوقني بذراعيك ، في رفق وإحكام . أرجوك ، إنها ليست صناعة قدرة . أنها اقدم الصناعات وخيرها ، برغم ان الكثرة الكبيرة من الذين يمارسونها تافهون . »
وطوّقها بأقصى ما استطاع من إحكام من غير أن يؤذيها ، فقالت :
« انا لا احبّ لك أن تكون محامياً أو كاهناً . لا ، ولا ان تكون تاجراً يبيع الاشياء ، أو رجلاً ناجحاً ذا ثروة طائلة . انا احب لك أن تكون كما أنت في صناعتك هذه ، وإنني لأحبك . أرجوك ان تهمس في اذني اذا شئت . »
ومس الكولونيل في اذنها ، فيما هو يضمها اليه في قوة ، وبقلبه

المنسحق انسحاقاً كاملاً في همسه الذي كاد ان لا يُسمع إلا كما تُسمع
صفرة كلب صامته على مقربة دائية من الاذن : « انا احبك ، ايتها
العفريتة وانت بنيتي أيضاً . ولست ابالي بخسائرتنا لأن القمر امننا وأبونا .
والآن فلنهبط لتناول العشاء . »

ومس بهذه الجملة الأخيرة في صوت كان من الخفوت بحيث لا يستطيع
سماعه غير الحب .
وقالت : « سمعاً وطاعة . اجل ، ولكن قبلي كرة اخرى أولاً . »

كانا الآن جالسين الى مائدتها في زاوية المشرب القصوى ، حيث كان كلّ من جناحيّ الكولونيل مصوناً مغطىً ، وحيث أسند ظهره في منعة الى زاوية الحجره . ولم يغفل المايسترو الأعظم عن ذلك ، فقد كان رقيباً بمتازاً في سرية مشاة صالحة ، في فرقة عسكرية من الطراز الأول ، فخليق به ان لا يُجلس «زعيمه» في وسط حجره إلا بقدر ما كان خليقاً به أن يتخذ موقفاً دفاعياً أحق .

وقال المايسترو الاعظم : «هي ذي جرادة البحر .»

كانت جرادة البحر مهيبه . وكان حجمها ضعف حجم جرادات البحر العادية ، وكان تجهما قد زال بفضل الغلي في الماء الحارّ ، فهي تبدو الآن وكأنها نصبٌ تذكارى لنفسها الميتة . وكان لا ينقصها شيء حتى عيناها الجاحظتان ، وحتى ملامسها الدقيقه البالغة الطول التي جعلت لكي تمكّنها من ادراك ما قد تمجز العينان المحقاوان عن إعلامها به .

ان هذه الجرادة البحرية تبدو شبيهة بعض الشيء بجورجي باتون^٢ ،

١ - الملامس : قرون الحشرة التي بها تتلمس طريقها .

٢ - patton جنرال اميركي ١٨٨٥ - ١٩٤٥ لعب دوراً هاماً في الحرب العالمية

الثانية . (العرب) .

كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . بيد أنها لم تبك قط ، في اغلب الظن ، عندما أُخرجت من موضعها .

فسألته الفتاة بالايطالية : «أتظن انها سوف تكون قاسية ؟»
- «لا ،» كذلك اكد لها المايسترو الاعظم وهو لا يزال منحنيًا بالجرادة البحرية . «انها ليست قاسية البتة . انها ضخمة وحسب . انما تعرفان هذا النوع .»

فقال الكولونيل : «حسن جداً . ضعها على المائدة .»
- «وما الذي ستشربانه ؟»
- «ماذا تريد ان تشربي ، يا بنيتي ؟»
- «ماذا تريد انت ؟»

فقال الكولونيل : «كابري بيانكو . ولتكن صرفةً جد مثلوجة .»
فقال المايسترو الأعظم : «هي جاهزة لدي .»

فقالت الفتاة : «نحن نأخذ بأسباب المرح . لقد عدنا الى ذلك من غير ما أسى . أليست جرادة بحرية مهيبه ؟»
- «من غير ريب .» كذلك اجابها الكولونيل . ومن الخير لها أن تكون رقيقة الحاشية .

فقالت الفتاة له : «سوف تكون كذلك . المايسترو الاعظم لا يكذب . ليس من الرائع ان يكون ثمة اناس لا يكذبون ؟»

فقال الكولونيل : «ذلك شيء رائع جداً ، ونادراً جداً . لقد كنت افكر اللحظة برجل يدعى جورجي باتون ... رجل ربما لم يعرف الصدق طوال حياته .»

- «هل تعتمد انت الى الكذب في بعض الاحيان ؟»
- «لقد كذبت اربع مرات . ولكني كنت في كل مرة مرهقاً

جداً . « قال ذلك ثم اضاف : « هذا ليس بمرّ على اية حال . »
- « أما انا فقد كذبت كثيراً حين كنت فتاة صغيرة . ولكن ذلك كان في الغالب من اجل اختلاق القصص . أو هذا ما أرجوه .
ولكنني لم اكذب في حياتي قط رغبةً في نفع ذاتي . »
فقال الكولونيل : « لقد كذبتُ أنا أربع مرات . »
- « هل كنت تصبح جنرالاً لو لم تكذب ؟ »
- « لو كذبتُ كما تعود الآخرون ان يكذبوا لأصبحت جنرالاً بثلاث نجوم . »
- « وهل كان خليقاً بك ان تستشعر قدراً من السعادة اعظم لو اصبحت جنرالاً بثلاث نجوم ؟ »
فقال الكولونيل : « لا ، من غير ريب . »
- « ضع يدك اليمنى ، يدك الحقيقية ، في جيبك مرةً وقل لي ما شعورك . »
ونزل الكولونيل عند رغبته .
وقال : « شيء رائع . ولكن عليّ ان اعيدها اليك كما تعلمين . »
- « لا . ارجوك ، لا . »
- « لن نخوض في هذا البحث الآن . »
وفي تلك اللحظة كانت الجراداة البحرية قد قدّمت اليها .
كانت رقيقة الحاشية ، وكانت تتمتع بتلك اللطافة الزليقة الفريدة الخاصة بتلك العضلة الرافسة التي هي ذيلها . وكانت برائتها ممتازة : إنها لم تكن هزيلة اكثر مما ينبغي ، ولم تكن بدينة اكثر مما ينبغي .
وقال الكولونيل للفتاة : « الجراداة البحرية تبلغ كالمها مع القمر . فحين يكون القمر قائماً تكون الجرادات البحرية غير جديرة بأن تؤكل . »
- « لم اكن اعرف ذلك . »

- « أحسب أن مرّد هذا الى أنه ، حين يكون القمر بدرأ ،
تفتذي الجرادات البحرية طوال الليل . أو ربما كان مرّد هذا الى ان البدر
يسوق اليها ما تفتذي به . »

- « انها تُقبل من الشاطيء الدالماسي ، اليس كذلك ؟ »

فقال الكولونيل : « بلى . ذلك هو شاطئكم الغني بالسّمك . ولعله
يتعيّن عليّ أن اقول شاطئنا نحن الغني بالسّمك . »

فقالت الفتاة : « قلها . انت لا تدري مبلغ اهمية الاشياء التي تقال . »

- « إن اهميتها تصبح اعظم الى حد لعين حين تحطّها على الورق . »

فقالت الفتاة : « لا ، لست اقرّك على هذا . الورق لا يعني شيئاً

إلا اذا 'قلت' الكلمات المسطّورة عليه في قلبك . »

- « وماذا ان لم يكن لك قلب او كان قلبك تافهاً لا قيمة له ؟ »

- « إن لك قلباً ، وليس هو بتافه لا قيمة له . »

لشدّ ما اتنى لو أستبدل به قلباً جديداً ، كذلك قال الكولونيل
في ذات نفسه . انا لا افهم لماذا يتعين على هذه العضلة بالذات ، من دون
سائر العضلات ، أن تحذاتي . ولكنه لم ينطق بشيء من هذا ووضع
يده في جيبه .

وقال : « ان ملمسها رائع . وانك لتبدين رائعة . »

فقالت : « شكراً . سوف اتذكر هذا طوال الاسبوع . »

- « في استطاعتك دائماً ان تكثفي بالنظر الى المرأة ليس غير . »

فقالت : « المرايا تضجرتني . إنّ وضع اصبع الحمرة على الشفتين وتحريك
احدهما فوق الاخرى لجعلها تنتشر على الوجه الافضل وتسريح الشعر
الكثيف اكثر مما ينبغي ... إن هذا كله ليس حياة جديرة بأمرأة ،
بل ليس حياة جديرة بفتاة متوحدة ، تحب شخصاً ما . فحين تريد
ان تكون القمرَ ومختلف النجوم وان تحيا مع بملك وأن تتجب خمسة

اولاد لا يكون النظر في المرأة واصطناع الخدع النسوية على اختلافها
مثيراً جداً . »

- « إذن فلنتزوج في الحال . »

فقلت : « لا . لقد تعين عليّ ان اتخذ قراراً في هذه المسألة ، كشأني
في المسائل الاخرى . اني اسلخ ايام الاسبوع كلها في اتخاذ القرارات . »
فقال لها الكولونيل : « وانا اتخذ القرارات ايضاً . ولكني لا اقوى
على التزام هذه القرارات دائماً . »

- « دعنا نكفّ عن الحديث في هذا الموضوع . ان ذلك قد يُحدث
جرحاً عذباً ، ولكني أعتقد ان من الخير لنا ان نكتشف اي انواع
اللحم موجودة عند المايسترو الاعظم . احتسّر خمرك ، ارجوك . إنك
لم تمسّها بعد . »

- « سوف امسّها الآن . ، كذلك قال الكولونيل . ومسّ الخمر ،
فإذا هي هزيلة باردة مثل خور اليونان ، ولكنها غير راتنجية ، ولكن
جسدها كان في مثل امتلاء جسد ريناتا وجماله .

- « انها شديدة الشبه بك . »

- « اجل . ادري . وهذا هو السبب الذي من اجله اردتك ان
تذوقها . »

فقال الكولونيل : « اني اذوقها . واسوف اتجرح الآن كأساً ممتعة . »

- « انت رجل طيب . »

- « شكراً . ، كذلك قال الكولونيل . « سوف أتذكر هذا طوال
الاسبوع ، واحاول ان اكون رجلاً طيباً . » ثم اضاف : « ايها المايسترو
الاعظم . »

وحين أقبل المايسترو الاعظم ، سعيداً ، نزاعاً الى التأمّر ، متجاهلاً

قرحته المعدة سأل الكولونيل : « اي ضرب من اللحم عندك يستحق ان نلتهمه ؟ »

فقال المايسترو الاعظم : « لست اعلم ذلك علم اليقين ، ولكني سوف أستطلع . إن مواطنك قاعد هناك على مبعده تمكثه من الساع . لقد أبى عليّ أن أجلسه في الزاوية القصوى . »

فقال الكولونيل : « حسن . سوف نقدّم له موضوعات يكتب فيها . »
- « إنه يكتب كل ليلة ، كما تعلم . لقد سمعت ذلك من احد زملائي في الفندق الذي ينزل فيه . »

فقال الكولونيل : « حسن . هذا يدل على انه 'مجدد' برغم انه 'عمّر' اكثر من مواهبه . »

فقال المايسترو الاعظم : « اننا كلنا مجدّون . »
- « بطرائق مختلفة . »

- « سوف أمضي وأستطلع أيّ نوع من اللحم موجود فعلاً . »
- « إستطلع في عناية . »
- « أنا 'مجدد' . »

- « وأنت ايضاً فطنٌ الى حدّ بعيد . »

وانصرف المايسترو الأعظم ، وقالت الفتاة : « انه رجل ظريف ، ويسعدني ان يكون مولماً بك هذا الولوع كله . »

فقال الكولونيل : « نحن صديقان حميان . وأرجو أن يحد لك شريحة لحم بقر جيدة . »

- « هناك شريحة لحم بقر جيدة جداً . » كذلك اعلن المايسترو الأعظم عائداً .

- « خذها يا بُنيّتي . أنا افوز بأمثالها دائماً على مائدتنا المشتركة مع زملائي من الضباط . هل تحبينها مطفّفة النضج ؟ »

- « مطفئة النضج جداً ، ارجوك . »
- فقال الكولونيل : « كلها دم Al sangue ، كما قال جون حين تحدث الى النادل بالفرنسية . نيئة ، زرقاء ، Crudo , bleu ، أو اجعلها مطفئة النضج ليس غير . »
- فقال المايسترو الاعظم : « إنها مطفئة النضج . وانت ، يا زعمي ؟ »
- « محار السكالوبين مع المارسال ، وشيء من القُنْبِيْط المدْمَس بالزبدة . مع خرشوفة بالخلّ اذا وجدت واحدة . ماذا تريدن ، يا بُنيّتي ؟ »
- « بعض البطاطا المهروسة وسلطة بسيطة . »
- « أنت فتاة في طور النمو . »
- « اجل . ولكن عليّ ان لا أنمو اكثر مما ينبغي ، وان لا أنمو في الاتجاهات المغلوطة . »
- فقال الكولونيل : « احسب ان هذا يضبط النمو ويوجهه . ما رأيك في ألفتة من الفالبوليشيلا ؟ »
- « ليس عندنا ألفتات . هذا فندق راقٍ كما تعلم . انها تأتينا معبأة بزجاجات . »
- فقال الكولونيل : « لقد نسيت . هل تذكر عندما كان ثمن اللبتر الواحد منها ثلاثين سنتيماً ؟ »
- « ويوم كنا نلقي الألفتات الفارغة على حرس المحطة من قُطر الجند الحديدية ؟ »
- « وكنا نسفح كل ما تبقى فيها على القنابل اليدوية ثم نقذف بها الى سفح الهضبة ونحن عائدون من مرتفعات الغرايّا ؟ »
- « وكانوا حين يرون الانفجارات يحسبون ان ثمة هجوماً واقتحاماً للخطوط ، وكنت لا تحلق لحيتك أبداً ، وكنا نرتدي الـ Fiamme nere

فوق السترات الرمادية المفتوحة والكنزات الرمادية؟»

- « وشربتُ انا شراب الغرابا ولم أجد لها مذاقاً ؟ »

فقال الكولونيل : « لا ريب في اننا كنا بالغبي الطيش آنذاك . »

- « اجل ، كنا بالغبي الطيش آنذاك ، » كذلك قال المايسترو الأعظم . « لقد كنا قتيانَ سوء آنذاك ، وكنت انت أسوء قتيانِ السوء جميعاً . »

فقال الكولونيل : « اجل . احسب أننا كنا قتيان سوء الى حد ما . انت تغفرين لي هذا ، اليس كذلك . »

- « أحسب انه ليس لديك صورة ترقى الى ذلك المهده... هل لديك ؟ »

- « لا ، لم يكن ثمة رسوم إلا ويظهر فيها دانونزييو . وفوق هذا فإن معظم الرفاق انتهوا الى نهاية فاجعة . »

فقال المايسترو الاعظم : « ما عدانا . والآن يتعين عليّ ان أمضي وأرى اين وصلوا في إعداد الشريحة . »

واستسلم الكولونيل - الذي عاد الآن ملازماً ثانياً ، ممتطياً متن شاحنة ، وقد كسا الغبار وجهه فلم يتبدّ غيرُ عينيه المعدنيتين ، وكانتا حراوويّ الحواشي محققنتين - اقول استسلم الكولونيل للتفكير .

المواقع الرئيسية الثلاثة ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . جبل «الغرابا» وفيه «آسالون» و«بيرتيكا» ، والهضبة التي لا اذكر اسمها والتي تقوم الى ناحية اليمين . ذلك كان المكان الذي ترعرعت فيه ، كذلك قال في ذات نفسه ، وكل ليلة كنت افيق والعرق يتصبب مني ، حالماً بأنني لن استطيع اخراجهم من الشاحنات . وليس من ريب في أنه ما كان ينبغي لهم ان يُخرَجوا منها ابدأ . ولكن يا لها من صناعة ! وقال للفتاة : « في جيشنا كما تعلمين ، يستطيع المرء ان يقول إن

الجنرالات ، او الكثرة الكبرى منهم ، لم يقاتلوا في ايما يوم قط . هذا غريب جداً ، والهبة العليا تبغض اولئك الذين قاتلوا .
- « وهل يقاتل الجنرالات فعلاً ؟ »

- « اوه ، نعم . حين يكونون برتبة رئيس (كابتن) وملازم اول أو ثانٍ . أما في بعد فالقتال - إلا في حالات الانكفاء والانسحاب - يكون عملاً اقرب الى الحق . »

- « وهل قاتلت كثيراً ؟ أنا أعلم انك فعلت ، ولكن قل لي ذلك بنفسك . »

- « لقد قاتلت الى حدٍ جدير بأن يحمل المفكرين الكبار على تصنيفي في عداد الحقى . »

- « حدثني عن ذلك . »

- « حين كنت غلاماً قاتلت ضد أروين رومل ، نصف المسافة من كورتينا الى الغرابا حيث صمدنا . كان رئيساً (كابتن) آنذاك ، وكنت أنا مرشح رئيس . ملازماً ثانياً في الواقع . »
- « هل عرفته ؟ »

- « لا . لم اعرفه إلا بعد انقضاء الحرب حين أمسى في ميسورنا ان نتحدث معاً . كان قريباً الى القلب جداً ، ولقد أحببته . كنا نتزلج معاً . »

- « هل أحببت كثيراً من الألمان ؟ »

- « كثيراً جداً . وكنت كلفاً اكثر ما يكون بـ « ارنست يودت »

- « ولكنهم كانوا على ضلال . »

١ - Erwin Rommel قائد القوات الالمانية في شمال افريقية خلال الحرب العالمية الثانية . (العرب)

- « طبعاً . ولكن من الذي لم يكن على ضلال ؟ »
- « انا لا استطيع ان احبهم ، او ان اتخذ منهم موقفاً متسامحاً كما تفعل أنت بعد ان قتلوا أبي واحرقوا دارتنا في الـ « بريتنا » ، وبعد أن رأيت ضابطاً المانياً يطلق النار من « بارودة خردق » على الحمام في ساحة كاتدرائية القديس مرقص . »
- فقال الكولونيل : « لقد فهمت . ولكن ارجوك ، يا بنيّتي ، أن تحاولي فهم موقفى أيضاً . حين يقتل المرء هذا العدد الكثير من الناس يصبح في ميسوره ان يكون سمحاً . »
- « كم رجلاً قتلت ؟ »
- « مئة واثنين وعشرين مؤكّدين . ولست أذكر الاحتمالات . »
- « ولم يبيكتك ضميرك ؟ »
- « البتة . »
- « ولم يتمثل لك ذلك على صورة كوابيس ؟ »
- « لا . لم أرَ اية كوابيس . ولكنى ارى ، عادة ، احلاماً غريبة . احلاماً متصلة بالمعركة ، دائماً ، بعد فترة من انقضاء المعركة . أما بعد ذلك فالكثرة الكبرى مما أراه احلام غريبة عن المواطن والاماكن . نحن نحيا على احداث ارض المعركة ، كما تعلمين . وارض المعركة هي ما يبقى في الجزء الحالم من عقولنا . »
- « ألا تراني ، البتة ، في ما يراه النائم ؟ »
- « انا احاول ذلك . ولكنى لا أستطيع . »
- « لعل اللوحة ان تساعدك . »
- فقال الكولونيل : « ارجو ذلك . لا تنسي ، من فضلك ، أن تذكريني بأعادة أحجار الزمرد اليك . »
- « ارجوك ان لا تكون قاسياً عليّ . »

- « ان لديّ ضروراتي الصغيرة الخاصة بالشرف بنفس النسبة التي يشدّنا بها حبنا العظيم الغامر . إننا لا نستطيع أن نملك أحدهما من غير ان نملك الآخر . »

- « ولكن في امكانك ان تمنحني بعض الامتيازات . »
فقال الكولونيل : « لقد منحتك ذلك . إن احجار الزمرد لفي جيبي . »

عندئذ اقبل المايسترو الأعظم بشريحة لحم البقر وبحار السكالوبين والحُضْر . لقد حملها غلام صقيل الشعر لا يؤمن بشيء ، ولكنه كان يسعى جاهداً لأن يصبح نادلاً ثانياً ناجحاً . كان عضواً في « المنظمة » . وسكب المايسترو الاعظم الطعام في رشاقة ، وفي احترام للطعام وللذين كانوا على وشك أن يتناولوه .

وقال : « إشرعاً الآن في الأكل . »

- « انزع سداة الفالبوليسيلاً » ، كذلك قال للغلام ذي العينين غير المصدقتين الشبيهتين بعيني كلب صغير طويل الشعر والاذنين .

- « ما عندك من معلومات عن تلك الشخصية ؟ » كذلك سأله الكولونيل ، مشيراً الى مواطنه المجدور الجالس الى المائدة يمضغ طعامه ، فيما كانت رفيقته المسنة تأكل في كياسة تذكر بكياسة أبناء الضواحي .

- « عليك أنت أن تخبرني . وليس العكس . »

فقال الكولونيل : « انا لم أراه قط قبل اليوم . إنه أعسر من ان يُهضم مع الطعام . »

- « انه يلاطفني . وهو يتكلم ايطالية رديئة ، على نحو مثابر . ويذهب الى كل مكان في «بيديكير» ، وليس له اي ذوق لا في الطعام

ولا في الشراب . المرأة ظريفة . وأحسب أنها عمته . ولكني مفتقر
الى المعلومات الحقيقية .

« إنه يبدو وكأنه شيء نستطيع الاستغناء عنه »

« احسب ان في امكاننا ذلك ، عند الاقتضاء . »

« هل يتحدث عنا ؟ »

« لقد سألتني من أنما ؟ ولم يكن اسم الكونتيسة غريباً بالنسبة
اليه . لقد زار - على صفحات الكتاب - عدداً من القصور التي كانت
الاسرة تملكها في الأيام الخالية . ولقد أعجب باسمك ، يا سيدتي ،
وكنت قد ذكرته له لكي أثير مشاعره . »

« هل تحسب انه سوف يُنزلنا في مؤلف من مؤلفاته . ؟ »

« أنا واثق من ذلك . إنه يُنزل كل شيء في كتاب . »

فقال الكولونيل : « ينبغي لنا أن ننزل في كتاب . هل تاعمين ،
يا بنيتي ؟ »

« طبعاً لا ، » كذلك قالت الفتاة . « ولكني أوتر أن يكون دانتي
هو المؤلف . »

فقال الكولونيل : « دانتي ليس بيننا . »

فسألته الفتاة : « هل تستطيع أن تخبرني اي شيء عن الحرب ؟
أي شيء يحاز لي أن أعرفه ؟ »

« من غير ريب . استطيع أن أخبرك بكل ما يروق لك منها . »

« كيف كان الجنرال آيزنهاور ؟ »

« كان يمثل عصبة ايبورث ' خير تمثيل . ولعل هذا حكم ظالم

١ - Epworth League منظمة دينية للشبان المتودين انشئت عام ١٨٨٩ في كليفلند
بولاية اوهيو في الولايات المتحدة . وقد استمدت اسمها من مسقط رأس جون ويزلي Wesley
ايبورث ، لينكولنشاير في انكلترا (المغرب) .

أيضاً. وكان خاضعاً فوق هذا لمؤثرات أخرى مختلفة . سياسي ممتاز .
جنرال سياسي . عظيم البراعة في هذا الحقل . «

- « والزعماء الآخرون ؟ »

- « فلنتجنب الكلام عليهم . لقد تكلموا عن أنفسهم ، الى حدّ كاف ،
في مذكراتهم . ومعظمهم كان موضع الثقة القصوى بسبب من شيء لم
تسمعي به قط يدعى «نادي الروتاري» . ففى هذا النادي لديهم ازرار
مطلية بالمينا تحمل اسماءهم الأولى ، وإنك لتغرّم إذا ما دعوتهم باسمهم
العادية . إنهم لم يقاتلوا البتة . البتة . «

- « ألم يكن ثمة قادة بارعون ؟ »

- « بلى كان ثمة كثير . برادلي ، المدرّس ، وكثير آخرون . أنا
أعطيك برادلي مثلاً على القائد البارع . البارع جداً . «

- « من كان هو ؟ »

- « كان قائد الجيش السابع عندما كنت انا هناك . إنه راجح الفكر
جداً . خفيف الحركة . دقيق ، وهو اليوم رئيس الأركان العامة . «

- « ولكن ما رأيك فى القادة الكبار الذين سمعنا عنهم كثيراً ،
مثل الجنرال مونتغميري والجنرال باتون ؟ »

- « إنسيها ، يا بنيتي . فقد كان «مونتج» قائداً لا يستطيع ان
يتحرك الا اذا كانت نسبة رجاله الى رجال العدو كنسبة خمسة عشر

الى واحد . ولم يكن ليتحرك بعد ذلك إلا فى ببطء وتوان . «

- « لقد حسبت دائماً أنه كان جنرالاً عظيماً . «

فقال الكولونيل : « لا ، لم يكن . وأسوأ ما فى الأمر أنه كان يعرف
ذلك . لقد رأيتة يفد الى احد الفنادق فيخلع بذلته العسكرية الخاصة
ويرتدي كسوة تجذب اليها أبصار الغوغاء لكي يخرج بعد ذلك ليلاً
فيستثير همة جمهور العامة . «

« هل تبغضه ؟ »

« لا . كل ما افكر فيه هو أنه جنرال بريطاني . أياً ما كان معنى هذا . ولا تستعلمي انتِ ذلك الاصطلاح . »
« ولكنه قهر الجنرال رومل . »

« أجل . ولكن الا تعتقدين ان شخصاً آخر قد رقّق من حاشيته ؟
ومن ذا الذي لا يستطيع ان ينتصر حين تكون نسبة رجاله الى رجال العدو كنسبة خمسة عشر إلى واحد ؟ عندما قاتلنا هنا ، أنا والمبايسترو الأعظم ، يوم كنا غلامين ، احرزنا النصر طوال عام كامل ونسبة رجالنا الى رجال العدو كنسبة ثلاثة او اربعة الى واحد ، ولقد انتصرنا في كل معركة . في ثلاث معارك رئيسية ضارية . وهذا هو السبب الذي من أجله نستطيع أن نرسل النكات ولا نعرف التجهم . لقد قُتِل في ذلك العام اكثر من مئة واربعين الف رجل . وهذا هو السبب الذي من أجله نستطيع أن نتحدث في مرح ومن غير مباهاة . »

فقالت الفتاة : « إنه لعلّ ملعون الى ابعد الحدود ؛ اذا جاز لنا ان ندعوه علماً . انا أكره النُصب الحربية التذكارية ، برغم أنني أحترمها . »

« وأنا لا أحبها أيضاً . ولا احب العملية التي افضت الى إقامتها .
هل تُقدّر لك ان تشهدي نهاية تلك العملية ؟ »
« لا . ولكنني أودّ لو أعرف . »

فقال الكولونيل : « من الخير لك ان لا تعرفي . كلي شريحتك قبل ان تبرد ، واغفري لي تحذّثي عن صناعتي . »
« أنا أبغضها ولكنني أحبها . »

فقال الكولونيل : « أحسب اني اشاركك العواطف نفسها . ولكن فمَ يفكر مواطني المجدور عند مبعدة ثلاث موائد ؟ »

- « في كتابه القادم ، أو في ما تقوله صفحات دليل السياح . »
- « ما رأيك في الذهب وامتطاء متن غندول في الريح بعد أن
تناولنا طعام العشاء ؟ »

- « خليك بذلك ان يكون رائعا . »

- « هل نخبر الرجل المجدوز اننا ذاهبان ؟ أنا أحسب أن النقر
نفسها تكسو قلبه ، وتكسو روحه ، وربما كست فضوله ايضاً . »
فقال الفتاة : « لن نخبره بشيء . في استطاعة المايسترو الأعظم أن
ينقل اليه أي نبأ نريد ابلاغه اياه . »

ثم إنها راحت تمضغ شريحتها في قوة وإحكام ، وقالت : « هل تعتقد
بصحة ما يقولون من ان الناس يصنعون وجوههم الخاصة بأنفسهم بعد
الحسين ؟ »

- « ارجو أن لا يكون ذلك صحيحاً . لأني غير مستعد لأن
أقرّ وجهي وأعترف به . »

- « انت . » كذلك قالت . « أنت . »

فسألها الكولونيل : « هل الشريحة جيدة ؟ »

- « انها رائعة . وكيف محار السكالوبين ؟ »

- « طري جداً . والصلصة غير حلوة البتة . هل اعجبتك
الحُضْر ؟ »

- « القُنْبِيطة تكاد تكون هشة . مثل الكرفس . »

- « ينبغي ان نعلم ببعض من الكرفس . ولكني لا أعتقد أن عندهم

شيئاً منه ، وإلا لجاءنا المايسترو الأعظم به . »

- « ألسنا نستمتع بطعامنا ؟ تخيّل لو استطعنا دائماً ان نتناول

الطعام معاً . »

- « لقد اقترحت عليك ذلك من قبل . »

- « فلنجنب الكلام في هذا الموضوع . »
- فقال الكولونيل : « حسن جداً . ولقد اتخذتُ أماً قراراً أيضاً .
لإني أعتزم ان أهجر الجيش وأقيم في هذه المدينة ، ببساطة كلية ،
مستعيناً على ذلك براتب التقاعد . »
- « هذا رائع . كيف تبدو في الملابس المدنية ؟ »
- « لقد رأيتني من قبل . »
- « ادري ، يا عزيزي . لقد قلت ذلك على سبيل المزاح . إنك
تطلق في بعض الاحيان ضروباً من المزاح القاسي ، أيضاً ، كما تعلم . »
- « سوف أبدو في مظهر جنس . أعني اذا كان لديكم هناك خياط
يحسن تفصيل الملابس . »
- « ليس هنا مثل هذا الخياط ، ولكن ثمة واحداً في رومة . هل
نستطيع أن نمتطي متن السيارة ونمضي معاً الى رومة لكي نفوز بالملابس ؟ »
- « نعم . ولسوف نقيم خارج المدينة في فيتربو ، ولن نقصد اليها
إلا التماساً للأثاث وابتغاء تناول الطعام حين تهبط العتمة . وبعد ذلك
نقلب عائدتين بالسيارة في موهن من الليل . »
- « وهل سنرى ممثلي السينما وممثلاتها ، وتحدث عنهم في صراحة ،
و.... نشرب معهم كأساً ؟ »
- « سوف نراهم بالآلاف . »
- « هل سنراهم يتزوجون مثني وثلاث ، ونرى البابا يباركهم
بعد ذلك ؟ »
- « اذا ذهبتِ لمثل هذا الغرض . »
- فقال الفتاة : « لن افعل . وهذا واحد من الأسباب التي تجعلني
غير قادرة على الزواج منك . »
- فقال الكولونيل : « فهت . اشكركِ . »

- « ولكني سوف احبك ، أياً ما كان معنى ذلك . وانت وأنا نعرف ما معناه جيداً ، ما بفي كل منا على قيد الحياة وبعد ذلك . »
فقال الكولونيل : « لست اظن ان في استطاعتك ان تحيي كثيراً بعد ان تصبحي ، أنتِ نفسكِ ، جثة هامدة . »

وشرع يأكل الخرشوف ، متناولاً ورقة واحدة منه في كل لقمة ، غامساً إياها في صَحْنين صلصة الخل .

فقالت الفتاة : « ولست واثقة من ان في استطاعتك انت ايضاً ان تفعل . ولكني سوف أحاول . ألا يرفع من معنوياتكِ عِلْمُكَ بأنك محبوب ؟ »

فقال الكولونيل : « بلى . انا اشعر وكأني منطلق في هضبة جرداء صخرية الى حد يجعلها تمتنع على الحفَر والحِث ، وصخورها صلدة كلها ، ولكنها خلوة من النتوءات والأورام ، وفجأةً أستبدل بالعري دروعاً سابغة . أجل أستبدل بالعري دروعاً وقد ولّى الأعداء هارين . »

- « يتعين عليك ان تقول ذلك لصديقنا الكاتب ذي الوجه الشبيه بأخاديد القمر ، بحيث يكون في ميسوره ان يكتبه الليلة . »

- « يتعين عليّ ان اقول له لدانتي لو كان دانتي بيننا . » كذلك قال الكولونيل وقد غدا هاجماً ، فجأةً ، كالبحر حين تهب عليه عاصفة من عواصف خط الاستواء . « ولسوف اخبره ما الذي يجدر بي ان أفعله لو حوّلتُ في مثل تلك الظروف الى عربية مدرّعة . »

وفي تلك اللحظة وفد البارون الفاريتو على حجرة الطعام . كان يبحث عنها ؛ وإذ كان قناصاً فقد لمحها في الحال .
وتقدم نحو المائدة ، وطبع قبلة على يد ريناتا قائلاً « سيياوو ، »

١ - Ciao وتعني بالاطالانية «الى اللقاء» ، وقد استعملت هنا وكأنها تحية لقاء . (المغرب)

ريناتا . كان أقرب الى الطول حسن البنية في ملابسه المدنية ، وكان أشد الرجال الذين عرفهم الكولونيل خجلاً واستحياء . إنه لم يكن حياً سبب من جهالة ، أو بسبب من شعور بالضيق في حضرة الناس . لا ، لقد كان حياً بالفطرة ، شأن بعض الحيوانات ، من مثل الـ « بونغو » الذي لا تراه في الأدغال البتة ، والذي يتعين عليك أن تقتنصه بواسطة الكلاب .

- « يا زعمي ، » كذلك قال . وابتسم كما يستطيع الرجل الحي حقاً أن يبتسم .

انها لم تكن ابتسامة الواثق المطمئنة ، ولا تلك الابتسامة السريعة اللاذعة التي يُطلقها المعمرون والاشرار . لم تكن تمت باية صلة الى الابتسامة الرابطة الجأش التي تصطنعها الفاجرة أو رجل السياسة عن عمد . لقد كانت هي تلك الابتسامة الغريبة للنادرة التي ترتفع من الحفرة العميقة القائمة - الأعمق من بئر ، العميقة كمثل منجم عميق - الفائرة في جوفها . - « لن استطيع البقاء غير لحظة . ولقد أقبلت لأخبرك ان الجويبيو جد ملائم للقص . فأسراب البط تُقبل من الشبال بكثرة بالغة . ان بينها كثيراً من البط الضخم الذي تحب . » وابتسم كرة ثانية .

- « اجلس ، يا آلفاريتو . ارجوك . »

فقال البارون آلفاريتو : « لا ؛ نستطيع أن نلتقي في المرأب ، الساعة الثانية والنصف اذا شئت . معك سيارة ؟ »

- « نعم . »

- « هذا جميل جداً . إن انطلاقنا في تلك الساعة يتيح لنا متسعاً من الوقت لرؤية البط في الليل . »

فقال الكولونيل : « بديع . »

- « الى اللقاء ، اذن ، يا ريناتا . الى اللقاء يا زعمي ، في الساعة الثانية والنصف . »

وقالت الفتاة : « لقد عرف أحدنا الآخر منذ الطفولة . ولكنه كان أكبر مني بثلاث سنوات تقريباً . لقد وُلِدَ طاعناً في السن . »

« أجل . أدري . انه من اصدقائي المخلصين . »

« هل تعتقد ان مواطنك قد بحث عن اسمه في دليل السياح ؟ »

فأجابها الكولونيل : « لست ادري . » ثم سأل : « أيها المايسترو الأعظم ، هل بحث مواطني الطائر الصيت عن اسم البارون في دليل السياح ؟ »

« الواقع ، يا زعيمي ، أني لم أره يراجع دليله خلال تناوله العشاء . »

فقال الكولونيل : « أعطه علامة كاملة . والآن اسمع . أنا أعتقد أن الفالبوليسيلّا تكون أجود ، وهي جديدة . انها ليست خمرأ عظيمة Grand Vin وقعبستها في زجاجات ثم تعتيقها طوال سنوات لا يعود عليها إلا بالرواسب . هل توافقني على هذا ؟ »

« اوافقك . »

« اذن ما الذي يتعين علينا ان نفعله ؟ »

« أنت تعلم ، يا زعيمي ، ان الخمر في الفنادق الكبيرة يجب ان تكلف مالا . فلست تستطيع ان تحصل على « بينار » في الـ « ريتز » .^١ ولكني أقترح أن نأتي بعدة ألقيات من الفالبوليسيلّا الممتازة . وفي استطاعتك ان تقول إننا جئنا بها من أطيان الكونتيسة ريناتا ، وانها هدية . ولسوف اعبئها لك ، بعد ذلك ، في زجاجات . وبهذه الطريقة ستفوز بخمر أفضل ، وتوفر مالا كثيراً . ولسوف أشرح المسألة لمدير

١ - الـ « بينار » pinard ضرب من الخمر ، والـ « ريتز » Ritz فندق مشهور .
(المغرب)

الفندق اذا شئت . إنه رجل طيب جداً .
فقال الكولونيل : « إشرحها له . إنه ليس رجلاً يشرب البطاقات
الملصقة على الزجاجات ايضاً . »

- « موافق . »

- « وفي غضون ذلك تستطيع أن تشرب من هذه . إنها جيدة جداً
كما تعلم . »

- « هذا صحيح . » كذلك قال الكولونيل : « ولكنها ليست
شامبيرتان ' . »

- « ما الذي كان من دأبنا أن نشربه ؟ »

فأجابه الكولونيل : « أيّ شيء . ولكنني الآن ألتمس الكال .
أو ، على الأصح ، ليس الكال المطلق . ولكن الكال مقابل
دراهمي . »

فقال المايسترو الأعظم : « وأنا ألتمه ايضاً ، ولكن على غير طائل
في ما أحسب . »

- « بأي شيء ترغبان أن نختبأ عشاء كما ؟ »

فقال الكولونيل : « بشيء من الجبن . ماذا تريدان ، يا بُنيي ؟
كانت الفتاة قد اعتصمت بالصمت ، منذ أن رأت ألفاريتو ،
وانكشفت بعض الشيء . كان شيء ما ، يدور في عقلها ، ولقد كان
عقلاً ممتازاً . ولكنها مؤقتاً على الأقل ، لم تكن معها . »

وقالت : « جبن . ارجوك . »

- « أي نوع من الجبن ؟ »

١ - Chambertin خمر حمراء فاخرة . (المغرب)

فقال الكولونيل : « أيتِ بالانواع كلها الى هنا ولسوف نلقي نظرةً عليها . »

وانصرف المايسترو الأعظم ، فقال الكولونيل : « ما بالك ، يا بُنيّتي ؟ »
- « لاشيء . لاشيء البتة . لا شيء دائماً . »

- « يحسن بكِ مع ذلك أن تطرحي هذا ، فليس لدينا متسع من الوقت لمثل هذه المتارف . »

- « هذا صحيح . أنا اوافقك . سوف نكرّس نفسينا للجبن . »

- « هل يتعين عليّ أن اتناوله مثل قولحة ذرة ؟ »

- « لا ، » كذلك قالت ، غير فاهمة ذلك الاصطلاح العاميّ ، ولكنها فهمت المراد تماماً ، باعتبار أنها هي التي كانت تقوم بهمة التفكير . « ضع يدك اليمنى في جيبيك . »

فقال الكولونيل : « حسن . سوف افعل . »

ووضع يده اليمنى في جيبيه واستشعر ما كان فيها ، أولاً برؤوس اصابعه ، ثم بباطن اصابعه ، ثم براحة يده - يده المشقوقة .

وقالت : « أنا آسفة . والآن ، فلنستأنف الجزء الصالح من المسألة ، كرة أخرى . سوف نكرس نفسينا للجبن في مرح وابتهاج . »

فقال الكولونيل : « ممتاز . ترى أيّ ضروب الجبن عنده ؟ »

فقالت الفتاة : « حدثني عن الحرب الاخيرة . وبعد ذلك نمتطي

متن غندولنا في الريح الباردة . »

فقال الكولونيل : « إنها لم تكن مائعة جداً . ان هذه الأشياء هي ، بالنسبة اليينا ، مائعة دائماً ، من غير ريب . ولكن كان ثمة ثلاثة مظاهر

فحسب ، أو ربما اربعة مظاهر فحسب ، أمتعتني فعلاً . »

- « لماذا ؟ »

- « كنا نقاتل عدواً مهزوماً دُمّرت مواصلاته . لقد دمّرنا عدة

فرق على الورق ، ولكنها كانت فرقا شَبَحِيَّة . لا فرقا حَقِيقِيَّة . كان طيراننا الحربي قد دمَّرها قبل أن تتحرك . ولم يكن الموقف صعباً حقاً إلا في نورمانديا ، بسبب من طبيعة الأرض ، وعندما أوقفنا الزحف لكي نمكِّن مدرعات جورجي باتون من المرور وأبقينا طريقها مفتوحة من ناحيتها الاثنتين .

- « كيف توقفون الزحف لتمكين المدرعات من المرور ؟ قل لي ، من فضلك . »

- « عليكِ أولاً أن تقاتلي لاحتلال مدينة تسيطر على جميع الطرق الرئيسية . ولنسمِّ المدينة سانت لو . ثم عليكِ أن تبسطي سلطانك على الطرق باحتلال مدن أخرى وقرى أخرى . ان للدو خط مقاومة رئيسياً ، ولكنه لا يستطيع أن يحمل قواته على شن هجوم معاكس ، لأن «المقاتلات - القاذفات» تصطادها على الطرق . هل يُضجرك هذا ؟ إنه يُضجركني الى حد لعين . »

- « ولكنه لا يضجركني ، أنا . فأنا لم اسمع ذلك يقال بمثل هذا التبسيط الواضح من قبل . »

فقال الكولونيل : « شكراً . اوائقة أنتِ من رغبتك في مزيد من الكلام على هذا العلم الكئيب ؟ »
فقالت : « من فضلك . أنا احبك ، كما تعلم ، وإني لأودّ لو شاركتك معرفتك به . »

فقال لها الكولونيل : « ان احداً لا يشارك احداً هذه الصناعة . كل ما أفعله هو اني احديثك كيف تعمل . وفي استطاعتي أن اوشح الحديث ببعض الحكايات لكي أجعله مائماً أو مقبولاً في الظاهر . »
- « وُشِح حديثك بشيء من ذلك ، أرجوك . »

فقال الكولونيل : « ان الاستيلاء على باريس لم يكن شيئاً خطيراً . »

لقد كان مجرد خبرة عاطفية ، لا عملية عسكرية . اننا قتلنا عدداً من الضاربين على الآلة الكاتبة وأفراد الدريثة التي كان الالمان قد خلفوها وراءهم ، كدأبهم دائماً ، لتغطية انسحابهم . واحسب انهم تصوّروا أنهم لن يحتاجوا بعدُ الى هذا العدد الضخم من موظفي المكاتب ، فتركوهم خلفهم كجنود .

- « ألم يكن الاستيلاء عليها عملاً عظيماً ؟ »

- « الواقع ان جماعة لوكليرك^١ - وهو غير آخر من الدرجة الثالثة او الرابعة ، كنت قد احتفت بموته بزجاجة كبيرة من خمر «بيريه - جوويه بردت ١٩٤٢» - اطلقت سيلاً من العبارات النارية لكي تضفي بعض الأهمية على ذلك الحادث ، ولأننا كنا قد قدمنا اليها ما تستطيع اطلاق العبارات النارية به . ولكنه لم يكن عملاً هاماً . »

- « هل شاركت انت فيه ؟ »

فقال الكولونيل : « نعم . أحسب أن في ميسوري ان اقول نعم من غير أن أتجنس على الحقيقة . »

- « ألم يخلف ذلك في نفسك أية انطباعات عميقة ؟ فقد كانت المدينة هي باريس على اية حال ، ولم يكن كل امرئ قد استولى عليها . »

- « كان الفرنسيون ، أنفسهم ، قد استولوا عليها قبل اربعة ايام . ولكن ما دعواته القيادة العليا - انتبهي الى اللفظة الأخيرة - للقوات الحليفة الموجهة الى اوروبه (SHAEF^١) ، التي انتظمت جميع سياسي المؤخرة العسكريين الذين كانوا يحملون شارة العار بشكل شيء ملتهب ، في حين كنا نحمل نحن شارة تمثل برسيمة ذات اربع ورقات ، كرمز

١ - يقصد الجنرال الفرنسي لوكليرك Leclerc وقد شارك في انتزاع باريس من يد الالمان (المغرب).

وكجالب للحظ ، اقول ان القيادة العليا هذه كانت لديها خطة رئيسية لتطويق المدينة . وهكذا لم نستطع أن نستولي عليها .

- « ليس هذا فحسب ، بل لقد كان علينا ان ننتظر امكانية وصول الجنرال او الفيلد مارشال بيرنارد لو مونتغميري الذي كان عاجزاً حتى من سدّ الثغرة في «فاليز» والذي وجد التقدمَ دَيْبَقاً بعض الشيء ، ولم يستطع أن ينتهي الى هناك في الميقات المضروب . »

فقال الفتاة : « لا ريب في انكم قد افتقدتموه . »

فقال الكولونيل : « اوه ، لقد افتقدناه . طوال فترة مديدة . »

- « ولكن ألم يكن ثمة في الاستيلاء على باريس ايما شيء نبيل أو سعيد حقاً ؟ - « من غير ريب ، » كذلك قال لها الكولونيل : « لقد قاتلنا من

« بامودون » Bas Meudon ، ثم من باب « سان كلو » porte de Saint Cloud خلال شوارع عرقتها وأحبيتها ، ولم نُصَبْ بأية خسارة في الأرواح ، مُحَدِّثين اقل قَدْرَ ممكن من الأذى والحراب . وعند « النجمة » Etoile أسرتُ كبير خدم ايلزما ماكسويل . وكانت هذه عملية معقدة جداً . وكان قد اتهم بوصفه قنّاصاً يابانياً . شيء جديد . ولقد زُعم أنه قتل عدداً من الباريسيين غير يسير . وهكذا ارسلنا ثلاثة رجال الى السطح الذي التجأ اليه ، ولقد كان غلاماً من أبناء الهند الصينية . »

- « لقد بدأت افهم بعض الشيء . ولكن هذا يخلع الفؤاد . »

- « إنه يخلع الفؤاد دائماً ، الى حد معين . ولكن ليس من

المفروض في المرء ان يكون له في هذه الصناعة فؤاد . »

- « ولكن هل تعتقد ان الأمر كان هكذا تماماً في ايام القادة

العظام ؟ »

- « أنا على يقين من أنه كان اسوأ . »
- « ولكنك اوديت في يدك على نحو مشرف . »
- « أجل على نحو مشرف جداً . فوق هضبة صخرية جرداء . »
- فقلت : « دعني ألمسها ، أرجوك . »
- فقال الكولونيل : « ولكن ترفقي بها عند وسطها . انها مشقوقة هناك ، وهي لا تزال تطلق حين تَبْسَط . »
- فنالت الفتاة : « يتعين عليك أن تؤلف . أنا أعني ما أقول جدياً . وهكذا يتطلع الناس على هذه الأشياء وأمثالها . »
- فخالفها الكولونيل في هذا الرأي وقال : « لا ، انا لا أتمتع بالموهبة التي تؤهلني للتأليف ، وأنا اعرف اكثر مما ينبغي . ان ايماناً كذاباً ليستطيع ، أو يكاد ، ان يكتب كلاماً ادعى الى الاقناع مما يكتبه رجلٌ من اولئك الذين شهدوا الحرب . »
- « ولكن بعض الجنود الآخريين كتبوا وألفوا . »
- « نعم . موريس دو ساكس . فريدريك الكبير . مستر تسون سو . »
- « ولكنني عنيت جنوداً من اهل عصرنا نحن . »
- « انت تستعملين لفظة «نحن» في يسر بالغ . وأنا أحبها برغم ذلك . »
- « ولكن ألم يؤلف كثير من الجنود المعاصرين ؟ »
- « أجل ، هذا صحيح . ولكن هل قرأتِ في ايماناً يوم شيئاً من آثارهم ؟ »
- « لا . لقد قرأت الآثار الكلاسيكية في الغالب ، وانا اقرأ الصحف المصورة للاطلاع على الفضائح . وأنا اقرأ ، أيضاً ، رسائلك . »
- فقال الكولونيل : « أحرقها ، انها تافهة لا قيمة ما . »
- « أرجوك . لا تكن فظاً . »

- « لن اكون . ما الذي استطيع ان احدثك عنه من غير أن أضجرك ؟ »

- « حدثني عنك يوم كنت جنرالاً . »

- « اوه ، عن هذا . » قال ذلك وأوماً الى المايسترو الأعظم لكي يأتيه بالشامبانيا . كانت من نوع روديرر بروت ٤٢ ، ولقد أحبها .

- « حين تكون جنرالاً فإنك تحيا في عربة مقطورة ، ويجيا قائد أركانك في عربة مقطورة ، وتفوز بويسي بوربون حين يُحرمها غيرك من الناس . أما الرموز المشيرة الى الفرق الالمانية (G s) فتحيا في «مركز الضغط» واسوف اقول لك من هم ال (G s) ، ولكن ذلك خليق به أن يُضجرك . سوف احدثك عن ال G 1 ' G 2 ' G 3 ' G 4 ' G 5 وفي الناحية المقابلة هناك دائماً «الكراتس ٦١» ، Krauts - 6 ولكن هذ خليق به أن يضجرك . ومن ناحية ثانية ، فإن لديك خريطة مكسوة بمادة لدائنية (بلاستيكية) وفوق هذه الخريطة لديك ثلاث فرق عسكرية تتألف كل منها من ثلاث كتائب . وكلها معلمة بقلم رصاصي ملون .

« إن لديك تخوماً ، بحيث انه اذا تخطت الكتائب تخومها فعندئذ لا يقاتل بعضها بعضاً . وكل كتيبة مؤلفة من خمس سرايا . كلها يجب ان تكون جيدة ، وبعضها ليست جيدة الى هذا الحد . ليس هذا فحسب ، بل ان لديك مدفعيةً وسرّية مصفحات ، وكثيراً من قطع التبديل . انت تحيا بنظام الأحداثيات الرياضي . » وعمل ريثما أفرغ المايسترو الأعظم محتويات ال «روديرر بروت ٤٢ . »

- « ومن قيادة الجيش ، » وترجم في جفاء فقال Cuerpo d'Armata ، « يوعزون اليك بالذي يجب ان تعمله ، ثم تقرّر أنت كيف تعمله . وتلمي

١ - الكراتس Krauts هم النمساويون (المرب)

الأوامر ، او تعطيتها - في الكثرة الكبيرة من الاحوال - بالتلفون . أنت
« تخترُز » رجالاً تحترمهم لكي تجعلهم يفعلون ما تعرف أنه مستحيل
كل الاستحالة ، ولكنه مأمورٌ به . والى هذا ، فأنت عليك ان تفكر
وتعمن في التفكير ، وان تذود عنك النعاس حتى ساعة متأخرة ، وان
تقيق مع الفجر .

- « ولن تكتب عن هذا ؟ ولو من أجل ارضائي ؟ »

فقال الكولونيل : « لا . ان الغلمان الذين كانوا حساسين وحمقى
والذين احتفظوا بكل الانطباعات الأولى الثابتة عن يومهم الأول في
المركبة ، او عن ايامهم الثلاثة الأولى ، وحتى عن ايامهم الاربعة فيها ،
يؤلفون كتباً . انها كتب جيدة ، ولكن من الجائز ان تكون مملّة بالنسبة
اليك اذا كنتَ ممن شهد تلك المشاهد . ثم هناك آخرون يضعون الكتب
لكي يتمجلوا الربح من حربٍ لم يخوضوا غمارها البتة . اولئك هم الذين انقلبوا
على أعقابهم لكي يرووا الأخبار . وهذه الأخبار نادراً ما تكون صحيحة .
ولكنهم يهرعون لأذاعتها على الملأ . والكتاب المحترفون الذين تولوا وظائف
حالت بينهم وبين القتال كتبوا عن معارك عجزوا عن فهمها ،
وكأنهم كانوا في خط النار . ولست ادري تحت اي باب من الاثم يقع
صنيعهم هذا . »

- « ولقد عرفت كذلك رئيساً (كاتبين) في البحرية ناعماً نعومة
النايلون ... رئيساً عاجزاً عن قيادة مركب وحيد السارية وضع مؤلفاً عن
الجانب الحميم من « الفيلم الضخم » حقاً . ان كل امرئ سوف يضع
مؤلفه عاجلاً أو آجلاً . وفي ميسورنا نحن ، حتى نحن ، ان نضع
كتاباً جيداً . ولكني لا امارس الكتابة ، يا بنيّتي . »

وأوماً الى المايسترو الأعظم بأن يملأ الكأسين .

وقال : « ايها المايسترو الأعظم ، هل تحب ان تقاتل ؟ »

- « لا . »

- « ولكننا قاتلنا ؟ »

- « اجل . اكثر مما ينبغي . »

- كيف صحتك ؟ »

- « رائعة لولا القُرْح المَعِدِيَّة ، ونوبة قلبية طفيفة . »

- « لا ! » كذلك قال الكولونيل ، وقفز فؤاده في صدره فأحسّ به

يخنقه . « انت لم تحدثني عن شيء غير القُرْح . »

- « حسناً ، انت تعرف الآن ، » قال المايسترو الاعظم ذلك ، ولم

يُتَمّ الجملة وابتسم ابتسامته الفضلى والأصفى التي انبثقت في مثل نصاعة
الشمس المشرقة وصراحتها .

« كم مرة ؟ »

فرجع المايسترو الاعظم اصبعين اثنتين كما يفعل المرء حين يعطي
خصمه في الرهان ميزةً عليه ، حيث يملك رصيماً ، وكان الرهان كله
على غفوة .

فقال الكولونيل : « إني متقدم عليك . ولكن فلنطرح التجهّم
والعبوس . اسأل الدوّنّا ريتانا ما اذا كانت تريد مزيداً من هذه الخمر
المتأزّة . »

فقالت الفتاة : « ولكنك لم تخبرني انك أصبت بأكثر من نوبتين
قلبيتين . انت مكاف بأخباري بذلك . »

- « أنا لم أصب بشيء منذ اجتمعنا آخر مرة . »

- « هل تعتقد ان النوبات تعفيك من زيارتها اكراماً لي ؟ اذا كان
ذلك ، فسوف أجيء وأبقى معك بكل بساطة وأسهر على صحتك . »

فقال الكولونيل : « انه مجرد عضلة . كل ما في الأمر أنها العضلة
الرئيسية . وهي تعمل بثله دِقّة رولكس أويستر بيرباتيتشوييل . »

١ - ماركة ساعات معروفة (المغرب) .

والمشكلة هي انك لا تستطيع ان تبعث بها الى مثل شركة رولكس
عندما يلم بها خلل ما . وحين تكفّ عن الحركة تصبح أنت عاجزاً
عن معرفة الوقت ليس غير . لأنك عندئذ تكون قد مت . »

- « لا تحدثني عن ذلك ، ارجوك . »

فقال الكولونيل : « انك انت التي سألتني . »

- « وذلك الرجل المجدور ذو الوجه الكاريكاتوري ، هل عنده شيء

كهذا ؟ »

فقال لها الكولونيل : « لا ، من غير زيب . اذا كان كاتباً من الدرجة

الثانية فإنه سوف يعيش الى الأبد . »

- « ولكنك لست كاتباً ، فكيف تعرف هذا ؟ »

فقال الكولونيل : « لا . بنعمة الله ، ولكنني قرأت كثيراً من الكتب .

ان لدينا ، حين نكون عزّاباً ، متسعاً كبيراً من الوقت للمطالعة .

ولكن ربما ليس بقدر ما لدى رجال الاسطول التجاري . ولكنه متسعٌ

كبير على أية حال . وفي ميسوري ان امّيز كاتباً من كاتب ، وإني

لأقول لك ان كتاب الدرجة الثانية يعمرّون طويلاً . ومن حقهم ان

يفوزوا بكافأة خاصة بالعمر الطويل . »

- « هل تستطيع ان تروي لي بعض الحكايات ، وأن تكفّ عن

الكلام على هذا الذي هو مبعث حزن حقيقيّ لي ؟ »

- « في استطاعتي ان اروي لك مئات منها . وكلها صحيحة . »

- إرو لي واحدةً ليس غير . وبعد ذلك تأتي على هذه الخمر ونغضي

على متن الغندول . »

- « هل تعتقدين أنك سوف تنعمين بدفء كافٍ ؟ »

- « اوه ، أنا واثقة من أني سوف أنعم بذلك . »

فقال الكولونيل : « لست ادري ما الذي يحسن بي ان أرويه لك .

ان كل ما يتصل بالحرب ليوقع الضجر في نفوس اولئك الذين لم يشتموها .
ما عدا الكذابين . »

- « أود لو تحدثني عن الاستيلاء على باريس . »

- « لماذا؟ ألاني قلت لك انك بدوت مثل ماري آنطوانيت في

عربة النقل ذات الدولابين؟ »

- « لا . لقد أطرّيتُ بتلك الملاحظة ، وأنا أعلم انني اشبهها بعض الشيء

في المظهر الجاني (بروفيل) . ولكنني لم أركب في حياتي أية عربة نقل ذات

دولابين ، واني لأحب أن اسمعك تحدثني عن باريس . فأنت حين تحب

امرءاً ما ويكون هو بطلك ، يلذ لك أن تسمع شيئاً عن المواطن

والاشياء . »

فقال الكولونيل : « ارجوك ان تديري رأسك ، وسوف احدثك

عنها . ايها المايسترو الاعظم ، ألا يزال ثمة بقية في تلك الزجاجاة

البائسة؟ »

- « لا . » كذلك أجابه المايسترو الاعظم .

- « اذن ايتِ بزجاجة اخرى . »

- « لديّ واحدة مثلوجة . »

- « حسن . إيتنا بها . والآن ، يا بنيّتي ، لقد انفصلنا عن رّتل

الجنرال لوكليرك عند «كلامار» . لقد مضوا الى مونروج Montrouge

و«بورت دورليان» Porte d'Orleans ، ومضينا نحن الى « با مودون

Bas Meudon مباشرة ، وبلغنا جسر باب سان كلو . هل هذا الكلام تقنيّ

اكثر مما ينبغي وهل يُضجرك سماعه؟ »

- « لا . »

- « لو كان لديّ خريطة لاستطعت أن اوضح لك ذلك اكثر . »

- « تابع . »

- « لقد بلغنا الجسر ، وأقمنا رأس جسر على الضفة الاخرى من

النهر ، وقذفنا بالامان ، الذين دافعوا عن الجسر . . . قذفنا بهم احياء
وأموثاً الى نهر السين . « وأمسك عن الكلام لحظة ثم أضاف : « كان
ذلك دفاعاً رمزياً طبعاً . ولقد كان يحسن بهم ان ينسفوا الجسر .
وألقينا بجميع هؤلاء الامان في نهر السين . وكانوا كلهم ، تقريباً ،
موظفين مدنيين ، في ما احسب . »

- « تابع . »

- « وفي صباح اليوم التالي ، أعلمنا ان الامان يسيطرون على مواقع قوية
في أماكن مختلفة ، وأن لهم مدفعية على جبل فاليريان ، وان الدبابات
تطوّف في الشوارع . وكان جزء من هذا صحيحاً . وطلبنا ايضاً
ان لا ندخل بأسرع مما ينبغي ، باعتبار ان التدبير يقضي بأن يستولي
الجنرال لوكليك على المدينة . وامثلتُ هذا الطلب ، ودخلت المدينة
بأكثر ما استطعت من بطء . »

- « وكيف تفعل ذلك ؟ »

- « تكبح جماح هجومك ساعتين ، ثم تحتسي الشامبانيا كلما قدمها
اليك وطنيون ، ومؤازرون ، او متحمسون للقضية . »
- « ولكن ألم يكن ثمة شيء رائع أو عظيم ، كذلك الذي نقرأه
في الكتب ؟ »

- « طبعاً كان هناك المدينة نفسها . كان الناس بالغي السعادة . وكان
الجنرالات القدماء يتمشون هنا وهناك في بدلاتهم العسكرية المزودة
بكُرات النفطين وقاية لها من العث . وكنا نحن ايضاً بالغي السعادة ،
لعدم اضطرارنا الى القتال . »

- « وهل تعين عليكم ان تقاتلوا على اية حال ؟ »

- « ثلاث مرات ليس غير . وبعد ذلك قاتلنا على نحو غير جدّي . »
- « ولكن هل كان هذا كل ما احتجتم الى القيام به للاستيلاء على

مدينة كهذه ؟»

— « لقد قاتلنا ، يا بُنَيَّتِي ، اثنتي عشرة مرة من رامبوييه
Rambouillet لكي ندخل المدينة . ولكن اثنتين من هذه المرات الاثنتي
عشرة فحسب كانتا جديرتين بأن تُدْعيا قتالاً . ولقد جرى القتال في
اولى هاتين المرتين عند «توسوس لونوبل» Toussus Le Noble وجرى في
ثانيتها عند «لوبوك» Le Buc . أما ما تبقي فلم يعد أن يكون زخرفة
طبق من اطباق الطعام . والحق اني لم أضطرّ الى القتال البتة إلا في
هذين الموقعين . »

— « حدثني عن بعض الأشياء الحقيقية عن القتال . »

— « قولي لي إنك تحبيني . »

فقال الفتاة : « أنا أحبك . باستطاعتك ان تنشر ذلك في صحيفة
«غازيتينا» Gazzettina اذا شئت . انا احب جسمك الصلب ، المستوي ،
وعينيك الغريبتين اللتين تروّعاني حين تغلب عليها النزعة الشريرة . انا
احب يدك ، واحب كل جرح من جراحك . »

فقال الكولونيل : « أنا أوتر ان احثك عن شيء حسن جداً .
أولاً ، استطيع أن اقول لك اني احبك قف . »

فسألته الفتاة فجأة : « لماذا لا تشتري بعض الآنية الزجاجية النفيسة ؟
إن في امكاننا أن نذهب الى مورانو Murano معاً . »

— « لست أعرف اي شيء عن الآنية الزجاجية . »

— « في استطاعتي ان أعلمك ، وخليق بذلك ان يكون متعة من
المتع . »

— « ان حياتنا مممة في البداوة الى حد يجعلنا في غنى عن الآنية

الزجاجية النفيسة . »

— « وحين تتقاعد وتقيم هنا ؟ . »

- « سوف نشترى شيئاً من ذلك عندئذ . »
- « لشد ما أتمنى لو تفعل هذا الآن . »
- « وكذلك انا ، لولا اني اعترم الخروج لصيد البط غداً . ولولا أن الليلة هي الليلة . »
- « هل استطيع ان اذهب معك لصيد البط ؟ »
- « تستطيعين في حال واحدة : اذا سألك الفاريتو ان تفعلي ذلك . »
- « في إمكاني أن أحمله على سؤالي . »
- « انا اشك في هذا . »
- « ليس من اللطف ان تشكّ في ما تقوله بنتك بعد أن انتهت الى سنٍّ تعصمها من الكذب . »
- « حسن جداً ، يا بُنيّتي . أنا اسحب شكّي ذاك . »
- « اشكرك . ومن اجل هذا لن اذهب وأكون مصدر ازعاج . سوف أبقى في البندقية ، واشهد القداس مع امي وعمتي ، وأزور فقراي . انا ابنة وحيدة ، وهكذا فإن علي واجبات كثيرة . »
- « كنت دائماً اتساءل ماذا تعملين . »
- « هذا ما أعمله . والى ذلك فإن لديّ وصيفتي فهي تغسل وجهي وتقلّم أظافر يديّ ورجليّ وتصبغها لي . »
- « انت لا تستطيعين ان تفعلي هذا لأن الصيد سوف يجري يوم الأحد . »
- « اذن فسوف افعل ذلك يوم الاثنين . أما يوم الاحد فسأطالع جميع المجالات المصورة حتى الخليعة منها . »
- « ربما كانت تحمل صوراً لمسّ بيرغمان .^١ الاتزالين راغبة في أن تكوني مثلها ؟ »

١ - يقصد انفريد بيرغمان ، الممثلة السينائية المشهورة .

فقلت الفتاة : « لا ، لم اعد راغبة في ذلك . أنا اريد ان اكون مثل نفسي ولكن على نحو افضل ، افضل بكثير ، وانا اطعم في ان تحبني انت . »

— « والى هذا ، » كذلك قالت فجأة وفي غير تقنُّع ، « فأنا اريد أن أكون مثلك . هل تستطيع ان اكون مثلك ، بضع لحظات ، هذه الليلة ؟ »
فقال الكولونيل : « طبعاً . في أية مدينة نحن على أية حال ؟ »
فقلت : « البندقية . المدينة الفضلى ، في ما اعتقد . »

— « اني اوافقك كل الموافقة . وأشكرك لعدم تكليفي أن أروي لك مزيداً من قصص الحرب . »

— « أوه ، سوف يتعين عليك ان ترويها في ما بعد . »
— « يتعين عليّ ؟ » كذلك قال الكولونيل وتجلت القسوة والعزم في عينيه الغريبتين بمثل الوضوح الذي يتجليان به حين يتأيل نحوك سَخَطُ مدفع دبابيةٍ مُقْلَنْسٍ^١ .

— « هل قلتِ يتعين عليك ، يا بُنيّتي ؟ »
— « لقد قلت هذا . ولكنني لم اقصد به ذلك المعنى . واذا اخطأت فلاني آسفة . لقد اردت ان اقول : هل لك أن تروي لي مزيداً من القصص الحقيقية في ما بعد ؟ وان تشرح لي الاشياء التي لا أفهمها ؟ »
— « في استطاعتك ان تقولي يتعين عليك ، يا بُنيّتي . الى الحجم بهذا التعبير . »

وابتسم ، وشاعت الدماعة في عينيه كما لم تشع في يوم من الأيام ، ولم تكن دماعة مغالىّ فيها كما يعلم . ولكنه لم يجد مناصاً الآن من ان يحاول الأخذ بأسباب الدماعة واللفظ نحو حبه الاخير ... حبه الحقيقي

١ - اي ذو قلنسوة . والكلمة نمت لحظم المدفع .

والوحيد .

- « لست اجد في ذلك اي بأس ، فعلاً ، يا بُنيّتي . انا اعرف اصدار الاوامر ، ويوم كنت في مثل سنك كان من دابي ان استمتع بممارسة ذلك استمتاعاً عظيماً . »

- « ولكنني لا اريد ان آمر ، ، كذلك قالت الفتاة . وعلى الرغم من قرارها القاضي بأن لا تبكي البتة ، ترقرت العبرات في عينيها . «إني اريد أن أخدمك . »

- « ادزي . ولكنك تريدان أن تأمري أيضاً . وليس في هذا ايما بأس . فجميع الناس الذين هم في مثل حالتنا ينزعون هذا المنزع . »
- « اشكرك على هذه الـ « في مثل حالتنا . »

فقال الكولونيل : « لم يكن قولها عسيراً عليّ . ثم اضاف :
« يا بُنيّتي . »

في تلك اللحظة تقدم بواب الفندق نحو المائدة وقال : « عفواً ، يا سيدي . في الخارج رجل ، اظنه خادماً من خدمك يا سيدي ، يحمل رزمة كبيرة جداً يقول انها للكولونيل . فهل أبقياها في المستودع أم أبعث لك بها الى حجرتك ؟ »

فقال الكولونيل : « الى حجرتي . »

فقالت الفتاة : « ارجوك . ألا نستطيع أن نلقي عليها ، هنا ، نظرة ؟ نحن لا نبالي بأحد هنا ، أليس كذلك ؟ »

- « جرّدها من غطاءها وإيتنا بها الى هنا . »

- « حسن جداً . »

- « في ما بعد سوف نعهد الى بعضهم بنقلها في كثير من العناية إلى

حجرتي وبلغتها في إحكام ، لأحلبها معي حين أسافر ظهيرة غدٍ . »

- « حسن جداً يا زعيمي . »

فسألته الفتاة : هل انت متشوق الى رؤيتها ؟ »

فقال الكولونيل : « جداً ايها المايسترو الأعظم ، هات مزيداً من شراب روديرر ذلك . وارجوك ان تضع كرسياً بطريقة تمكننا من القاء نظرة على لوحة فنية . نحن من المتعصبين للفنون التصويرية . »

فقال المايسترو الاعظم : « ليس عندي مزيد من زجاجات روديرر الثلوجة . ولكن اذا اردت شيئاً من شراب بيريه - جوويه ... »

- « ايتني بشيء منه ، » كذلك قال الكولونيل ثم اضاف : « ارجوك . »

وقال لها الكولونيل : « أنا لا اتكلم مثل جيورجي باتون . انا لست مضطراً الى ذلك . وفوق هذا فهو لم يعد على قيد الحياة . »

- « مسكين ! »

- « أجل ، كان مسكيناً طوال حياته . برغم انه كان يتمتع بثروة مالية كبيرة وبعدد عظيم من المدرعات . »

- « هل لديكم ايما شيء مضادّ للمدرعات ؟ »

- « نعم . معظم الجنود الذين في داخلها . إنها تحيل الرجال الى قوم يستعملون قوتهم لإيذاء الضعفاء افتراء ، وتلك هي اول خطوة نحو الجبن ... الجبن الحقيقي أعني . ولعل « الخوف الجنوني من الأماكن المقفلة » (كلوستروفوبيا) يعتقد ذلك بعض الشيء . »

ثم انه نظر اليها وابتسم وعبر عن أسفه لذهابه بها الى ما وراء طاقتها على الفهم كما قد تنقل ساجماً جديداً من شاطئ صَحْلٍ الى مياه عميقة اكثر مما ينبغي . وحاول أن يُطمئنها .

- « اغفري لي ، يا بُنيّتي . ان كثيراً مما اقوله مُحجف ظالم . ولكنه اصدق من الاشياء التي سوف تقرئينها في مذكرات الجنرالات . فبعد أن يكسب الجندي نجمة ، او اكثر ، يصبح من العسير عليه أن

يبلغ الصدق بقدر ما كان بلوغ «الكأس المقدسة»^١ عسيراً في عهد أسلافنا .

- «ولكنك كنت جنرالاً .»

فقال الكولونيل : «ليس لمدة طويلة أكثر مما ينبغي .» ثم اضاف الجنرال : «ان كل رئيس (كابتن) من الرؤساء يعرف الحقيقة ادق المعرفة ، وفي استطاعة هؤلاء الرؤساء ان ينقلوها اليك ، في الأمم الأغلب . أما اذا لم يفعلوا فعندئذ يكون في استطاعتك ان تعيد تصنيفهم .»

- «وهل ستمعيد تصنيفي اذا كذبتُ؟»

- «ذلك رهنٌ بموضوع الكذبة التي تطلقينها .»

- «انا لن اكدب في ايما امر من الامور . إني لا اريد ان يعاد تصنيفي . ذلك شيء يبدو لي رهيباً .»

فقال الكولونيل : «إنه لكذلك . وانك لتردّهم بعدُ لكي يُجرى لهم ذلك مزوّدٍ بأحدى عشرة نسخة مختلفة تبين السبب الذي من اجله يتحتم اتخاذ ذلك الاجراء في حقهم ، وتذيّل انت كلا من هذه النسخ بتوقيعك .»

- «وهل اعدت تصنيف كثير منهم؟»

- «أجل ، كثير .»

ودخل بواب الفندق ، باللوحة الزيتية ، الى الحجره ، وهو يحملها في اطارها الضخم ، متهادياً كما يتهادى المركب حين يكون مثقلاً بالأشربة أكثر مما ينبغي .

- «إيتِ بكرسيين» ، كذلك قال الكولونيل للنادل الآخر ،

١ - the Holy Grail ، هي الكأس التي ذكروا ان السيد المسيح شرب منها في العشاء الأخير . (لمرب)

« وَصَفَهَا هُنَا . إِحْرَصِ عَلَى أَنْ لَا يَمَسَّ قِمَاشَ اللُّوْحَةِ الْكُرْسِيِّينَ .
وَأَمْسِكْ بِهَا بِحَيْثُ لَا تَزُلُّ . »

ثم التفت الى الفتاة وقال : « يتعين علينا أن نغيّر هذا الاطار . »
فقلت : « ادري . انا لم اختره بنفسى . خذها معك غير مؤطرة
ولسوف تختار لها اطاراً حسناً في الاسبوع القادم . والآن ، انظر
إليها ، لا الى الاطار . انظر الى ما تقوله عني أو ما لا تقوله . »

كانت لوحة زيتية جميلة . لا باردة ولا متكلفة للعظمة ، لا تقليدية
ولا عصرية . كانت 'مخرّجة' بالطريقة التي تودّ أن 'ترسم' بها حبيبتيك
لو ان تينتوريتو^١ على مقربة دائية منك ، فإن لم يكن ، كلفت فيلاسكيز^٢
بتلك المهمة . إنها لم 'تخرج' على طريقة ابي منها . لقد كانت مجرد
لوحة زيتية 'رسمت' ، كما 'ترسم' اللوحات أحياناً ، في عصرنا هذا .

فقال الكولونيل : « انها رائعة . إنها ظريفة حقاً . »

كان بواب الفندق والنادل الثاني يمسان باللوحة وينظران اليها من
حول اطرافها . وكان المايسترو الاعظم يعبر عن اعجابيه الكامل بها .
وكان الاميركي ، الجالس على مبعدة مائدتين اثنتين ، ينظر اليها بعينين
صحافيتين ، متسائلاً بريشة من 'رسمت' . وكان ظهر قماشها الى الطاعمين
الآخرين .

- « إنها رائعة ، » كذلك قال الكولونيل . « ولكنك لا تستطيعين
ان تمنحيني اياها . »

فقلت الفتاة : « لقد منحتك اياها وانتهيت . انا واثقة من ان
شعري لم يكن مناسباً ، بمثل هذا الطول كله ، على كتفي . »

١ - Tintoretto رسام من اهل البندقية ١٥١٨ - ١٥٩٤ (المغرب)

٢ - Velasquez رسام اسباني ١٥٩٩ - ١٦٦٠ (المغرب)

- « احسب انه كان كذلك في أغلب الظن . »
- « في ميسوري أن أطلقه حتى يبلغ هذا الطول ، اذا رغبت
في ذلك . »

فقال الكولونيل : « حاوي ، يا ذات الجمال الباهر . انا احبك اعظم
الحب . انتِ وشخصك المرسوم على القماش . »
- « قل للنُدُل اذا شئت . أنا واثقة من انها لن تكون صدمة
شديدة لهم . »

فقال الكولونيل لبواب الفندق : « احمل اللوحة الى حجرتي في
الطابق العلوي . اشكرك على حملك اياها الى هنا شكراً جزيلاً . واذا
كان الثمن مناسباً اشتريتها . »

فقالت الفتاة له : « الثمن مناسب . ألا ترى ان من واجبنا ان
نكلف احداً بنقلها وبنقل الكرسيين الى حيث نستطيع أن نعرضها
امام عيني مواطنك عرضاً خاصاً ؟ ان في استطاعة المايسترو الاعظم ان
يعطيه عنوان الرسام ، وان باستطاعة مواطنك ان يقوم بزيارة للاستديو
الفنان . »

فقال المايسترو الاعظم : « انها لوحة جد طريفة . ولكنها يجب ان
تُنقل الى الحجرة . يتعين على المرء ان لا يدع روديرر أو بيريه - جوويه
يقوم بمهمة الكلام . »

- « احملها الى الحجرة ، ارجوك . »

- « لقد قلت ارجوك من غير ما وقفت قبلها . »

فقال الكولونيل : « شكراً . لقد تأثرتُ اعنى التأثر باللوحة ، ولست
احمل مسؤولية ما أقول تحملاً كاملاً . »

- « فليكن كلانا غير مسؤول عما يقول . »

فقال الكولونيل : « اتفقنا . المايسترو الاعظم رجل يتحمل مسؤولية

كلامه الى ابعد الحدود . ولقد كان هكذا دائما . «

فقلت : « لا . انا اعتقد انه لم يقل ذلك بدافع من روح المسؤولية بل بدافع من الحبث . اننا كلنا ، في هذه المدينة تتميز بضرب ما من الحبث ، كما تعلم . وأحسب انه ربما لم يُرد لذلك الرجل أن ينعم حتى بنظرة صحافية الى السعادة . »

— « ايا ما كان معنى ذلك . »

— « لقد تعلمت هذه العبارة منك ، وها انت ذا عاودت تعلمها مني . »

فقال الكولونيل : تلك هي سُنّة الاشياء . ما تكسبه في بوسطن تخسره في تشيكاغو . «

— « لست افهم ذلك البتة . »

فقال الكولونيل : « انه اصعب من أن يُشرح . » ثم اضاف : « لا ، إنه ليس كذلك طبعاً . ان توضيح الأشياء هو صناعتي الرئيسية . إلى الجحيم بكل ما هو اصعب من أن يُشرح . إنه أشبه بمباراة كرة قدم Calcio يخوضها فريق محترف . ما تكسبه في ميلانو تخسره في تورينو . »

— « انا لا ابالي بكرة القدم . »

فقال الكولونيل : « وكذلك أنا . ولا أبالي بخاصة بمباريات الجيش والاسطول ، وبأحاديث كبار الضباط عندما يتكلمون بلُغَة كرة القدم الاميركية لكي يستطيعوا ، هم أنفسهم ، أن يفهموا ما يتحدثون عنه . »

— « أحسب أننا نستمتع بلحظات سعيدة ، هذه الليلة . حتى في ظل

هذه الظروف والملابسات ، أياً ما كانت . »

— « أيحسن بنا أن ننقل معنا هذه الزجاجاة الجديدة الى الغندول؟ »

١ لفظة ايطالية تعني كرة القدم أو مباراة في كرة القدم . (المعرب)

فقال الفتاة : « اجل . ولكن مع كأسين عميقين . سوف أخبر
المبايسترو الاعظم بذلك . فلنأخذ معطينا ولننصرف . »

- « حسن . سوف آخذ شيئاً من هذا الدواء ، وواقّع للمبايسترو
الاعظم ، وعندئذ غمضي لسبيلنا . »

- « لشد ما أتمنى لو كنت أنا من يأخذ الدواء بدلاً منك . »

فقال الكولونيل : « انا سعيد الى حد جهنمي لأنك لا تأخذينه بدلاً
مني . هل نختار غندولنا أم نطلب اليهم ان يستقدموا لنا غندولاً الى
المهبط المفضي الى البحر ؟ »

- « فلنقامر قليلاً ، ولنطلب اليهم أن يأتوا بواحد الى المهبط . هل
عندك ما تخسره ؟ »

- « احسب انه ليس عندي شيء . اغلب الظن انه ليس عندي شيء . »

وخرجا من باب الفندق الجانبي الى «المهبط» imbarcadero ، فصفتها
الريح . والتتمت اضواء الفندق على سواد الغندول ، وجعلت المياه خضراء .
إنه يبدو ظريفاً مثل فرس أصيلة، أو مثل مركب طويل ضيق من
مراكب السباق ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . لماذا لم أرَ من
قبل قط اي غندول ؟ أية يد أو عين صاغت ذلك التناغم المقتّم ؟

وسألته الفتاة : « الى اين سوف نمضي ؟ »

كان شعرها - في الضياء المنبعث من باب الفندق ونافذته ، خلال
وقوفها على حوض السفن في محاذاة الغندول - يتطاير الى الورا مع
هبوب الريح ، حتى لقد بدت أشبه ماتكون بتمثال زخرفي في سفينة .
وما الى ذلك ايضاً ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه .

وقال الكولونيل : « فلنجتريه بالتزّه به خلال الحديقة العامة ، او
خلال « الغابة » وقد قُلبتا رأساً على عقب . دعيه ينطلق بنا الى
آرمينونفيل . »

- « هل سنذهب الى باريس ؟ »

فقال الكولونيل : « من غير ريب . قولي له ان يمضي بك ، طوال
ساعة ، حيث الانطلاق اسهل . أنا لا اريد ان اكلفه الجري بنا في
وجه هذه الريح . »

فقالت الفتاة : « المدّة مرتفع جداً مع هذه الريح . ولقد عجز الغندول من قبل عن بلوغ بعض مواطننا بالمرور تحت الجسور . أتأذن لي في أن أدله الى اين يحسن به أن يتجه ؟ »

- « من غير ريب ، يا بُنيّتي . »

- « ضع دلو الجليد هذا فوق ظهر الغندول ، » كذلك قال للنادل الثاني ، الذي كان قد غادر الفندق برفقتها .

- « لقد كلفني المايسترو الاعظم ان اقول لك ، حين تركب البحر ، ان هذه الزجاجاة هي هدية منه . »

- « احمل اليه شكري العميق وقل له انه لا يستطيع ان يفعل ذلك . »

وقالت الفتاة : « من الأفضل للناديلي أن يواجه الريح بعض الشيء ، اولاً ، وبعد ذلك أعرف في أي اتجاه يتعين عليه أن يمضي . »

وقال النادل الثاني : « لقد ارسل المايسترو الاعظم هذه . »

كانت بطانية عتيقة مطوية . وكانت ريناتا تتحدث الى الغناديلي ، وقد عبث الريح بشعرها . وكان الغناديلي يرتدي كنزة زرقاء سميقة من كنزات رجال الاسطول ، وكان حاسر الرأس أيضاً .

فقال الكولونيل : « أشكره باسمي . »

ووضع في يد النادل الثاني ورقة نقدية . ولكن النادل الثاني أعادها اليه قائلاً : « لقد سبق لك ان ملأت الشيك . وعلى أية حال ، فليس ايّ منا ، أنت أو أنا أو المايسترو الاعظم ، يجائع . »

- « وزوجتك واولادك ؟ »

- « ليس لديّ زوجة وأولاد . ان طائراتكم قد سحقت بيتنا في

تريفيزو . »

- « أنا آسف لذلك . »

فقال النادل الثاني : « لا داعي للاسف فقد كنت جندياً في سلاح المشاة كما كنتُ انا . »

- « اسمح لي ان اعبر عن أسفي . »

فقال النادل الثاني : « من غير ريب . ولكن هل يقدم ذلك أو

يؤخر؟ إبتهج يا زعيمي ، وابتهجي يا سيدتي . »

وامتطيا متن الغندول ، وكان ثمة ذلك السحر المأثور نفسه ، سحرُ المركب الخفيف ، وتجنية الماء المفاجئة التي أحدثها ثقلك ، ثم توزيعك ثقل المركب بحيث يتوازن فوق سطح الماء في تلك الخلوة القاتمة ، وإعادة ذلك التوزيع كرة اخرى عندما شرع الغناديلي يحدف بمجداف واحد ، ميلاً المجداف على جانبه بعض الشيء لكي يكون اقدر على التحكم فيه .

فقال الفتاة : « والآن ، نحن في بيتنا ، وأنا احبك . ارجوك ان

تقبلني ، وأن تفرغ حبك كله في قلبتك هذه . »

وضها الكولونيل الى صدره في إحكام ، وقد ارتقدت رأسها الى وراء وقبلها حتى لم يبق من القبلة غير القنوط .

- « أنا احبك . »

فقاطعته : « أيا ما كان معنى ذلك . »

- « أنا احبك ، وأنا أعلم كل ما قد يعنيه ذلك . اللوحة الزيتية

ظريفة ، ولكن ليس ثمة لفظة تستطيع أن تصفك أنت . »

- « طائشة ، كذلك قالت ، « أو مهملة ، أو شعناء . »

- « لا . »

- « ان اللفظة الاخيرة كانت من أرائل الالفاظ التي تعلمتها من مربيتي .

إنها تعني انك لا تسرح شعرك تسريحاً كافياً . أما لفظة « مهملة » فتطلق حين لا تفرش شعرك مئة مرة في الليل . »

- « سوف أمرّ يدي خلاله وأجعله اشدّ تشعثاً . »

- « يدك الجريح ؟ »

- « نعم . »

- « نحن جالسان في الجانبين غير الملائمين لهذا الغرض . فلنتبادل موضعينا . »

- « حسن . هذا طلب معقول 'مفترَعٌ' في لغة بسيطة يسهل فهمها . »

وكان تبادلها موضعياً متعة من المتع ، اذ كان عليها ان لا يفسد توازن الغندول ، وان يوزعها ثقلاً ككرة أخرى توزيعاً عادلاً في احتراس وعناية .

وقالت : « والآن أمسيك بي في قوة بيدك الأخرى . »

- « هل تعرفين تماماً ماذا تريدن ؟ »

- « أنا أعرف من غير ريب . أهو عمل لا يليق بعذراء ؟ لقد

تعلمت هذا التعبير ، أيضاً ، من مربيتي . »

فقال : « لا إنه رائح . اسحي البطانية جيداً واستشمري

هذه الريح . »

- « إنها مقبلة من الجبال العالية . »

- « اجل ، فاذا تجاوزت الجبال العالية فممنذ تكون مقبلة من

مكان آخر . »

وسمع الكولونيل اصطفاق الامواج ، واستشعر الريح وهي تهب عنيفة ،

وألفة البطانية الخشنة ، ثم استشعر الفتاة مقرورة - حارة وحببية الى

النفس وذات نهدين شائخين انزلت يده اليسرى فوقها انزلاقاً رقيقاً .

وبعد ذلك أمر يده المشوهة خلال شعرها مرة ، ومرة ، ومرة ، ثم قبلها ،

وكانت قبلته اسوأ من القنوط .

- « ارجوك ، » كذلك قالت من تحت البطانية ، « دعني

اقبلك الآن . »

فقال : « لا . اريد ان اقبلك كرة اخرى . »

كانت الريح قارسة ، وكانت تلهب وجهيها بسياطها ؛ أما تحت
البطانية فلم يكن ثمة ربح أو أي شيء لم يكن غير يده الخربة
الباحثة عن الجزيرة في النهر العظيم ذي الضفتين العاليتين الشديدي
الانحدار .

وقالت : « هو ذاك . »

وقبلها عندئذ ، وراح يبحث عن الجزيرة ، مهتدياً إليها ، مضيقاً
إياها ، ثم مهتدياً إليها نهائياً . نهائياً أو غير نهائيّ ، كذلك قال في ذات
نفسه ، نهائياً وإلى الأبد .

وقال : « يا حبيبة نفسي . يا من أوثرها بالحب . ارجوك . »

— « لا . حبيبك أن تضمني إلى صدرك ضمناً محكماً ، وان تلتصبت
بالأرض العالية أيضاً . »

ولم يقل الكولونيل شيئاً ، لأنه كان يشهد ، أو يتظاهر بأنه يشهد ،
السرّ القدسيّ الوحيد الذي كان يؤمن به بالإضافة إلى بسالة الانسان
المرّضية .

وقالت الفتاة : « لا تتحرك ، ارجوك . ثم أسرف في الحركة . »

وواصل الكولونيل ، مضطجعاً تحت البطانية في غمرة الريح ، عالماً
أن ما يفعله الرجل للمرأة هو كل ما يبقى له ، باستثناء ما يفعله لوطنه
الأب أو وطنه الأمّ ، أياً ما كانت الصيغة التي تؤثرها .

وقالت الفتاة : « ارجوك ، يا عزيزي . لست أفكر أنني قادرة على

احتمال ذلك . »

— « لا تفكري في شيء . لا تفكري في شيء البتة . »

— « لست أفعل . »

— « لا تفكري . »

— « اوه ، ارجوك ، فلنكفّ عن الكلام . »

- « هل هذا حسن ؟ »

- « انت تعلم . »

- « انت واثقة من ذلك »

- « اوه ، ارجوك ان لا تتكلم . ارجوك . »

أجل ، كذلك قال في ذات نفسه . أرجوك وارجوك كرة اخرى .
ولم تقل شيئاً ، لا ولم يقل هو شيئاً . وحين انطلق الطائر الكبير
من نافذة الغندول الموصدة وغاب عن الأنظار لم يقل أيّ منها شيئاً .
لقد أمسك رأسها بذراعه السليمة ، في رفق ، وأمسكت ذراعهُ
الاخرى - الآن - بالأرض العالية .

وقالت : « ارجوك ان تضعها حيث ينبغي ان توضع . يدك اعني . »

- « اضروري هذا ؟ »

- « لا . حسبك ان تضمني اليك في قوة ، وحاول ان تحبني حباً

صادقاً . »

فقال : « انا احبك حباً صادقاً . » وفي تلك اللحظة انعطف الغندول
الى اليسار ، انعطافاً حاداً جداً ، وكانت الريح على خده الأيمن ، وقال
وقد لمحت عيناه العتيقتان الخطوط الكبرى للقصر ، والتفتا نحوه ولاحظاه :
« انت الآن في الجانب المحجوب عن الريح ، يا بنيّتي . »

- « ولكن هذا اسرع مما ينبغي الآن . ألا تعلم كيف يكون احساس

المرأة ؟ »

- « لا . لست أعلم من ذلك الا ما تخبريني به انت . »

- « اشكرك على انتِ هذه . ولكن ألا تعلم فعلاً ؟ »

- « لا . انا لم اسأل عن ذلك قط . في ما احسب »

فقالت : « احسب الآن . وارجوك ان تنتظر ريثما نمرّ تحت الجسر

الثاني . »

- « خذي كأساً من هذا . » كذلك قال الكولونيل باسطاً يده على نحو مصيب ملتصقاً دلو الشامبانيا الحافل بالثلج ، نازعاً غطاء الزجاجاة التي كان المايسترو الاعظم قد نزع سدادتها ثم وضع مكانها فليئة خمر عادية .

- « هذه مفيدة لك ، يا بُنيّتي . إنها تساعد على التخلص من جميع الأسواء التي تستبدّ بنا جميعاً ، وتضع حداً لكل كآبة وتردد . »

- « لست أشكو شيئاً من هذه كلها ، » كذلك أجابت بلغة فصيحة كما كانت مربيتها قد علمتها . « انا مجرد امرأة ، اوفتاة ، (سمّني ما شئت) تقوم بكل ما يتعين عليها ان لا تقوم به . فلنعاودُ عمل ذلك ، أرجوك ، ما دمتُ الآن في الجانب المحجوب عن الريح . »

- « أين الجزيرة الآن وفي أيّ نهر ؟ »

- « انك انت الذي تستكشف . ولست أنا غير البلاد المجهولة . »

- « انها ليست مجهولة اكثر مما ينبغي . »

فقالت الفتاة : « أرجوك ان لا تكون فظاً . وأرجوك أن تشن هجومك في رفق ، وبمثل الطريقة التي اصطنعتها من قبل . »
فقال الكولونيل : « هو ليس هجوماً . انه شيء آخر . »

- « أياً ما كان ... أياً ما كان ، ما دمت لا ازال في الجانب المحجوب عن الريح . »

- « اجل ، كذلك قال الكولونيل . « اجل ، اذا اردتِ ، أو اذا كنت ستوافقين تكرّماً . »
- « نعم ، أرجوك . »

إنها تتكلم مثل هرةٍ بالغة اللطف ، برغم أن الهرة البائسة لا تقوى على الكلام ، كذلك قال الكولونيل . ولكنه سرعان ما اقلع

عن التفكير ، وظلّ مقلعاً فترة من الزمن طويلة .
كان الغندول الآن في احدى القنوات الثانوية . وحين انعطفَ من
القناة العظمى كانت الريح قد أمالته بحيث اضطرَّ الغناديليّ الى تحويل ثقله
الى الناحية الثانية وكأنه صابورة^١ ، وحوّل الكولونيل والفتاة ثقلها ايضاً ،
تحت البطانية ، وقد نفذت الريح الى ماتحت حافة البطانية في ضراوة .
وكانا قد اعتصما بالصمت برهة طويلة ، وكان الكولونيل قد لاحظ
ان الغندول لم يكن يفصله عن الارتطام بأدنى الجسر الاخير غير بضع
بوصات .

- « كيف انت ، يا بُنيّتي ؟ »

- « في أحسن حال . »

- « هل تحبينني ؟ »

- « ارجوك ان لا توجه اليّ اسئلة سخيفة »

- « المدّة مرتقع جداً ونحن لم نجتز ذلك الجسر الأخير إلا منذ لحظات . »

- « احسب اني اعلم الى اين نحن ماضيان . لقد وُلدتُ ههنا . »
فقال الكولونيل : « لقد ارتكبتُ انا بعض الاخطاء في نفس المدينة
التي وُلدتُ فيها . إن مجرد كون المرء « قد وُلد هناك » ليس هو
كل شيء . »

فقالت الفتاة : « إنه شيء هام جداً . وانت تعرف ذلك . ارجوك
ان تضمّني اليك في شدة بالغة حتى ليصبح في إمكان كل منا أن يكون
جزءاً من الآخر ، برهة قصيرة . »

فقال الكولونيل : « في ميسورنا أن نجرب »

١ - bollast الصابورة، في منطاد او سفينة ، ثقل خاص يوضع في احدهما حفظاً لتوازنه .
(المغرب) .

« أليس في استطاعتي ان اكون انت ؟ »

- « هذا ممقد الى حد رهيب . في امكاننا ان نجرب طبعاً . »

فقلت : « انا انت الآن . ولقد استوليت منذ لحظات على مدينة

باريس . »

فقال : « وحق المسيح ، يا بُنيّتي ، إن بين يديك الآن لمجموعة
رهيبة من المشكلات . والشيء الذي سوف يلي هو انهم سيستعرضون
الفرقة الثامنة والعشرين في شوارعها . »

- « لست أبالي . »

- « أما أنا فأبالي . »

- « ألم يكونوا صالحين ؟ »

- « بلى كانوا صالحين ، من غير ريب . وكان لهم قادة ممتازون
ايضاً . ولكنهم كانوا « حرساً وطنياً » وحظاً سيئاً . ما ندعوه
فرقة T.S. : أطلي مقعدك الكنسي من القسيس . »

- « لست افهم أياً من هذه الاشياء . »

فقال الكولونيل : « إنها غير جديدة بأن تُشرح . »

- « هل لك أن تخبرني بعض الاشياء الحقيقية عن باريس ؟ انا احب
ذلك كثيراً ، وحين أفكر انك قد استوليت عليها آنذاك يبدو لي وكأنني
امتطي متن هذا الغندول مع المارشال ناي ' »

- « تلك مهمة غير صالحة » ، كذلك قال الكولونيل . « وعلى أية
حال ، ليس بعد ان قام بجميع عمليات مؤخرة الجيش تلك في طريق
عودته من المدينة الروسية الكبيرة . لقد كان من دأبه ان يقاتل عشر مرات ،

١ - Ney (١٧٦٩ - ١٨١٥) ، مارشال فرنسا في عهد نابوليون بوناپرت . (المغرب)

واثنى عشرة مرة ، وخمس عشرة مرة ، في اليوم الواحد . ربما اكثر .
وفي ما بعد لم يعد في ميسوره أن يتبين الناس ويميز ما بينهم . ارجوك
ان لا تركبي متن أيّ غندول من الغناديل برفقته .

« لقد كان دائماً ، واحداً من أبطال العظام . »

« أجل . ومن ابطالي العظام انا أيضاً . حتى كانت معركة «كاتر برا»^١ .
لعلها لم تكن « كاتر برا » . فالصدا أخذ يلمّ بذاكراتي . اخلي عليها
لقب واترلو الشامل . »

« وهل تكشّف هناك عن حقاقة ؟ »

فقال لها الكولونيل : « الى حد رهيب . حاولي ان تنسيّ هذا .
لقد قام بعدد من العمليات « المؤخرية » اكثر مما ينبغي في طريق عودته
من موسكو . »

« ولكنهم دَعَوْه أشجع الشجعان ؟ »

« إنك لا تستطيعين ان تعيشي على هذا . ان عليك ان تكوني
هكذا ، دائماً ، وان تكوني أذكي الأذكيا أيضاً . وبعد ذلك تحتاجين
الى أمداد ومعدات كثيرة . »

« حدثني عن باريس ، ارجوك . إن علينا ان لا نسترسل في
مزيد من الوصال . أنا اعلم ذلك . »

« أنا لا أعلمه . من الذي يقول هذا ؟ »

« انا . لأنني احبك . »

« حسن جداً . لقد قلتِ هذا وانت تحبينني . فلنعمل بوحى من

١ - Quatre Bras قرية في وسط بلجيكا على مقربة من بروكسل ، حيث جرت معركة
مهدة لمعركة واترلو الشهيرة عام ١٨١٥ . (المغرب)

ذلك . وليكن ما يكون . »

- « هل تعتقد ان في امكاننا ان نعيد الكرة إن لم يورثك ذلك
أذى ما ؟ »

فقال الكولونيل : « يورثني أذى ما ؟ ومتى أُوْرثتُ ، بحق الجحيم ،
أيما أذى ؟ »

- «ارجوك ان لا تكون خبيثاً ، ، قالت ذلك وسحبت البطانية عليها معاً . ارجوك ان تشرب كأساً من هذه الخمر معي . انت تعلم أنك قد اوديت . »

فقال الكولونيل : «تماماً . فلننسى ذلك . »

فقالت : «حسن جداً . لقد تكلمت هذه الكلمة ، او هاتين الكلمتين ، منك . لقد نسينا ذلك . »

- «لماذا تحبين اليد ؟ ، كذلك سألها الكولونيل ، واضعاً إياها حيث يجب ان يضعها .

- «ارجوك ان لا تتظاهر بالبلاهة ، ولنقلع عن التفكير في أي شيء ، او اي شيء ، او اي شيء ، ارجوك . »

فقال الكولونيل : «انا أبله . ولكنني لن افكر بأي شيء ، أو بأي شيء ، حتى ولا بأخيه ، غداً . »

- «ارجوك أن تكون طيباً ودمثاً . »

- «سوف اكون . وسأفضي اليك ، الآن ، بسر عسكري . السرّ

الرئيسي ، يساوي «السر الاعظم» عند الانكليز . انا احبك . »

فقالت : «هذا جميل . ولقد افرغته في قالب بارع . »

- «اني لطريف ، ، كذلك قال الكولونيل ، وراقب الجسر الذي

كان يدنو منها ، ورأى ان في امكان الغندول ان يمر من تحته من غير أن يرتطم به . « هذا اول ما يَبْدَهُ الناسَ من أمري . »

فقال الفتاة : « اني لاستعمل الألفاظ المغلوطة دائماً ارجوك ان تحبني ليس غير . ولكم أتمنى لو كنت أنا القادرة على حبك . »

- « انت تحبينني . »

فقال : « اجل ، انا احبك . من كل قلبي ، »

كانا ينطلقان الآن في اتجاه الريح ، وكان كل منهما 'متمعباً' .

- « هل تفكرين ..؟ »

فأحابت الفتاة : « انا لا افكر . »

- « حسناً ، حاولي أن تفكري . »

- « سوف افعل . »

- « اشربي كأساً من هذه . »

- « لمَ لا ؟ إنها جيدة جداً . »

ولقد كانت كذلك فعلاً . كان لا يزال ثمة ثلج في الدلو ، وكانت

الحر باردةً وصافية .

- « هل تستطيع البقاء في الغريتي ؟ »

- « لا . »

- « لمَ لا ؟ »

- « لن يكون ذلك مناسباً . لا لهم هم ؛ ولا لك أنت . أما أنا

فلست أبالي . »

« اذن فأحسب أن عليّ أن امضي الى البيت . »

فقال الكولونيل : « اجل ، هذا هو الاقتراح المنطقي . »

- « تلك طيبة رهيبة لقول شيء محزن . اليس في استطاعتنا

مجرد التظاهر بشيء ما ، ايضاً ؟ »

- « لا . سوف آخذك الى المنزل حيث تنامين نوماً طويلاً عميقاً ،
وغداً سنلتقي حيناً تريدان وفي الساعة التي تريدان . »
- « هل أستطيع أن أتلفن للغريتي ؟ »
- « طبعاً . سوف اكون مستيقظاً دائماً . هل تعترمين ان تلتفني حين
تفيقين ؟ »
- « اجل . ولكن لماذا تفيق دائماً في ساعة مبكرة جداً من
الصباح ؟ »
- « إنها عادة من عادات صناعتي . »
- « اوه ، لشدّ ما أتمنى لو لم تكن من اهل تلك الصناعة ، ولو
انك لن تموت . »
- فقال الكولونيل : « وكذلك انا . ولكني على وشك اعتزال هذه
الصناعة . »
- فقالت وقد غلب عليها النعاس والارتياح : « أجل . وعندئذ نذهب
الى رومة ونشتري الملابس . »
- « ونحيا سعيدين بعد ذلك الى الأبد . »
- فقالت : « ارجوك ان لا تقول هذا ، ارجوك أن لا تقول هذا .
انت تعلم اني اخذت على نفسي عهداً أن لا اذرف الدمع . »
- فقال الكولونيل : « إنك تذرّفين الدمع الآن . ليت شعري ما الذي
يتعيّن عليك ان تخسريه بسبب من ذلك العهد ؟ »
- « خذني الى البيت من فضلك . »
- فقال لها : « ذلك ما كنت افعله بادىء ذي بدء . »
- « كن دمثاً مرةً واحدة ، قبل كل شيء . »
- فقال الكولونيل : « سوف أكون . »

وبعد ان دفعا الاجرة ، أو على الاصح بعد ان دفع الكولونيل
الأجرة ، الى الغناديلي الذي كان يجهل كل شيء ، وبرغم ذلك يعلم كل شيء ،
والذي كان قويّ البنية ، بارعاً ، كثير الاحترام ، جديراً
بالثقة ... اقول بعد ان دفع الكولونيل الاجرة الى الغناديلي
مشيا الى «بياتزيتا» Plazzeta ، ثم عَبَرَا الساحة العريضة الباردة ، التي
كانت مسرحاً للريح ، والتي بدت صلبةً عتيقةً تحت أقدامها . أجل
مشيا ، وقد أمسك كل منهما بيد الآخر في قوة وإحكام ، يكتنفها
أسامها وتكتنفها سعادتها .

وقالت الفتاة : « هذا هو المكان الذي اطلق فيه الالمانيّ النار على
الحمام . »

فقال الكولونيل : « أغلب الظن اننا قتلناه . او قتلنا أخاه . ولعلنا
قد شنقناه . لست أدري . انا لست من رجال دائرة المباحث الجنائية
(C . I . D)

- « ألا تزال تحبني بعد ان وطئنا هذه الحجارة الباردة ، العتيقة التي
أبلّسنا المياه ؟ »

- « أجل . وإني لأودّ لو انشر هنا فراشاً واقم الدليل على ذلك . »

- « خليق بهذا الصنيع أن يكون أمعن في البربرية من صنيع مُطلق
النار على الحمام . »

فقال الكولونيل : « أنا رجل بربريّ الخلق »

- « ليس دائماً . »

- « اشكرك على ليس دائماً هذه . »

- « يجب ان تنمطف هنا . »

- « احسب اني أعلم ذلك . متى سيدكّون « قصر السينا » اللعين هذا

ويقيموا مكانه كاتدرائية حقيقية ؟ ذلك ما يريد سائق سيارتي جاكسون . »

« عندما يضع امرؤ ما القديس مرقص تحت حمل من لحم الخنزير
وُرجعه من الاسكندرية كرة اخرى . »
« لقد كان الذي فعل ذلك غلاماً من تورشيلو . »
« انت غلام من تورشيلو . »

« غلام من نهر بيافا الاذنى ، و غلام من الـ «غرايتا»^١ أو من
بيرتيكا . انا غلام من باسوبيو ، ايضاً ، اذا عرفت معنى ذلك . ولقد كان
مجرد العيش هناك اسوأ من القتال في أي مكان آخر . وفي الفصيلة كان
من دأبهم ان يشاركوا ايما امرء ميكروبه الخاص بمرض السيلان المحمول
من «شيو» ضمن علبة كبريت . وإنما كانوا يقدمون على هذه المشاركة
لا لشيء إلا لكي يصبح في ميسورم الانصراف ، لأن الاوضاع هناك
كانت لا تطاق . »

« ولكنك بقيت . »

فقال الكولونيل : « من غير ريب . انا دائماً آخر من يفادر الحفلة
الساهرة ، اعني الـ Fiesta ، لا الحزب السياسي^٢ . انا الضيف الذي لا
شعبية له حقاً . »

« هل ترى ان نذهب ؟ »

« حسبتُ انك عقدت العزم على ذلك . »

« لقد فعلت ، ولكنني نقضته حين تحدثت عن الضيف الذي لا
شعبية له . »

« احتفظي به معقوداً . »

١ - الـ grappa مرتفعات جبلية من الألب الشرقي في ايطالية . و بيرتيكا Pertica
موضع في تلك المرتفعات . (المرب)

٢ - في الاصل تلاعب لفظي لا يمكن نقله الى العربية ، لان لفظة party تعني في الانكليزية
الحفلة الساهرة ، والحزب السياسي ايضاً . اما الـ fiasta فلفظة اسبانية تعني العيد او المهرجا .
(المرب)

- « إن في استطاعتي أن ألزم قراراً اتخذته . »
- « أدري . في استطاعتك ان تلزمي اي شيء لعين . ولكنك ،
يا بنيتي ، لا تفعلين في بعض الأحيان . ان الحقى هم الذين يلتزمون
قراراتهم دائماً . اذ يتعين على المرء ، احياناً ، ان يغير موقفه في سرعة . »
- « سوف اغير موقعي اذا شئت انت . »
- « لا . انا احسب ان القرار كان سليماً . »

- « ولكن ألن تكون فترة طويلة الى حد رهيب تلك التي تفصلنا
عن صباح غد ؟ »

- « ذلك كله رهن بما اذا كان المرء محظوظاً ام غير محظوظ . »
« ان عليّ ان انام نوماً عميقاً . »

فقال الكولونيل : « أجل . في مثل سنك يتعين عليهم ، اذا
استمعى عليك النوم ، ان يخرجوك ويعلقوك على أعواد المشنقة . »
- « اوه ، ارجوك . »

فقال : « آسف . عنيت ان يعدموك ربما بالرصاص . »
- « كدنا نبلغ المنزل ، وفي ميسورك الآن ان تكون دمثاً لو شئت . »
- « إني لأتعلق بأسباب الدماعة الى حدّ يجعلني نتناً . فليأخذ غيري
بأسباب الدماعة . »

كانا قد أمسيا أقام القصر الآن ، وما هو ذا القصر قائماً قبالتها .
ولم يكن ثمة ما يستطيعان عمله الآن ، غير جذب حبل الجرس ، او
الدخول بواسطة المفتاح . لقد استشعرت الضياع في هذا المكان ، كذلك
قال الكولونيل في ذات نفسه ، وانا لم أستشعر الضياع في حياتي قط من قبل .
- « ارجوك ان تقبلني متمنياً لي ليلة طيبة في دماعة . »

وفعل الكولونيل ذلك ؛ ولقد أحبها ، ومن هنا لم يستطع لهذا
الموقف احتمالاً .

وفتحت الباب بالمفتاح ، الذي كان في حقيبتها . ثم توارت عن

البصر ، وُخلف الكولونيل وحيداً ، مع الرصيف البالي ، والريح التي
كانت تهب من ناحية الشمال ، والظلال في حيناً ظلت الاضواء مومضة .
وراح يمشي عائداً الى البيت

ان السياح والعشاق وحدهم يستأجرون الغناديل ، كذلك قال في
ذات نفسه . إلا ابتغاء عبور القناة في المواطن الحالية من الجسور . ان
عليّ ، ربما ، ان اذهب الى حانة هاري ، او الى اي مكان آخر
لمين . ولكنني اعتقد اني سأذهب الى البيت .

لقد كان بيتاً حقاً ، اذا كان في الامكان اطلاق هذا الوصف على حجرة في فندق . كانت بيجامته موضوعة على السرير ، وكانت ثمة الى جانب مصباح المطالعة زجاجة من الـ «فالبوليشيلا» ؛ والى جانب السرير كانت زجاجة مياه معدنية في دلو ثلج ، وقد وضعت قريبا فوق الصينية الفضية ، كأس . كانت اللوحة الزيتية قد 'جرّدت من اطارها ونُصبت على كرسيين اثنين بحيث يستطيع ان يرى اليها وهو مضطجع في سريره .

ويجانب وسائده الثلاث كانت الطبعة الباريسية من صحيفة «نيويورك هرالد تريبيون» . كان يستعمل ثلاث وسائد ، كما عرف آرنالدو ، وكانت زجاجة دوائه الاضافية . لا تلك التي حملها في جيبه - موضوعة بجانب مصباح المطالعة . وكانت ابواب الخزانة الداخلية ، الأبواب ذات المرايا ، مفتوحة بطريقة تمكّنه من أن يرى اللوحة من جانب . وكان يُخفّاه اللذان لا عقبين لها على مقربة من السرير .

سوف اشترها ، كذلك خاطب الكولونيل نفسه اذ لم يكن ثمة شخص آخر غير اللوحة الزيتية .

وفتح زجاجة الفالبوليشيلا التي كان قد نزع سداتها ، ثم أعاد سدها بالفلين في عناية ، وإحكام ، وحب ، وأفرغ لنفسه قدحاً في تلك الكأس التي كانت احسن بكثير من اي واحدة ينبغي لأي فندق يواجه امكانية

الكسر والتحطيم ان يستعملها .

وقال : « اني اشرها على صحتك ، يا بنيتي ، الجميلة الظريفة . هل تعلمين ان بين محاسنك الكثيرة ان ربناك طيبة دائماً ؟ ان لك لرائحة فاتنة حتى في مَهَبِ الريح ، او تحت بطانية ، أو عندما يقبلك المراء وهو يتمنى لك ليلة طيبة . وانت تعلمين أن هذا شيء لا تقع عليه عند الكثرة الكبيرة من الناس ؛ وانت لا تستعملين ضروب العطر والطيب . » ونظرت اليه من اللوحة الزيتية ولم تقل شيئاً .

فقال : « ليكن ما يكون . إني سأوجه الخطاب الى صورة . »

ما الذي اصابه الخلل الليلة ، في ما تحسب ؟ كذلك فكرت .

انا ، في ما يخيل اليّ . حسناً ، سوف احاول ان اكون ، غداً ،

غلاماً طيباً طوال النهار . منذ الخيط الأول من خيوط الفجر .

– « بُنيّتي » ، كذلك قال وكان يتحدث اليها الآن لا الى صورة من

الصور . « ارجوك ان تثقي اني احبك ، واني اودّ ان اكون رقيقاً

وطيباً . وأرجوك ان تبقي الى جانبي ، الآن ، من غير انقطاع . »

وكانت اللوحة الزيتية هي هي لم يتغير فيها شيء .

واخرج الكولونيل أحجار الزمرد من جيبه ، ورتا اليها ، وأحس بها

تنزلق – باردة – ولكنها برغم ذلك دافئة ، باعتبار أنها توصل الحرارة

وباعتبار ان لجميع الحجارة الكريمة حرارتها – من يده المشوهة الى يده

السليمة .

« كان يجب عليّ ان أضع هذه الأحجار في ظرف وأن أغلق عليها

درجاً من الأدراج ، كذلك قال في ذات نفسه . ولكن هل ثمة سلامة ... »

خيرٌ من تلك التي أستطيع ان اقدمها اليها ؟ إن عليّ ان اعيد هذه

الأحجار اليك سريعاً ، يا بنيّتي .

لقد كانت ، برغم ذلك ، متعة . وهي لا تساوي اكثر من

١ - هنا موضع لفظة مقذعة محذوفة في الاصل .

ربع مليون . مبلغٌ ليس في امكاني أن اكسبه إلا في اربعمئة سنة .
ان عليّ أن أدقق في هذا الرقم . »

ووضع احجار الزمرد في جيب بيجامته ، ووضع عليها منديلا . ثم
إنه زرّر الجيب . إن اول شيء سليم تتعلمه ، كذلك قال في نفسه ،
هو أن تزود جميع جيوبك بالسنّة وأزرار . ويخيّل اليّ أنّي تعلمتُ
ذلك على نحو مبكّر اكثر مما ينبغي .

وكان لمس الأحجار حسناً . كانت قاسيةً دافئةً مما يلي صدره
المستوي ، القاسي ، العتيق الدافئ ؛ ولاحظ كيف كانت الريح تهب ،
ونظر الى اللوحة الزيتية وأترع كاساً اخرى من الفابوليشيلا ثم شرع يقرأ
الطبعة الباريسية من صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون . »

إن عليّ أن آخذ الأقراص ، كذلك قال في ذات نفسه . ولكن
فلتذهب الأقراص الى الجحيم .

ثم إنه اخرجها ، برغم ذلك ، وتابع قراءته صحيفة « نيويورك هيرالد » .
كان يقرأ مقال ريد مميث ، وكان يحبه حباً عظيماً .

واستيقظ الكولونيل قبل انبلاج الفجر ، وتحقق من أن أحداً لم يكن نائماً معه .

كانت الريح لا تزال تهب قويةً عاتية ، فضى الى النوافذ المفتوحة ليتحرى حالة الجو . لم يكن ثمة في الشرق ، عبر القنال العظمى ، أيما ضوء ؛ ولكن عينيه استطاعتا ان تريا تلاطم الامواج العنيف . وقال في ذات نفسه : إن المدّ سوف يكون رهيباً ، اليوم . ولعله ان يفرق الساحة كلها . وهذه ، دائماً ، متعةٌ من المتع . إلا بالنسبة الى الحمائم . ومضى الى الحمام ، آخذاً معه صحيفة «هيرالد تريبيون» وريد سميث ، وكأساً من الفالبوليشيلا أيضاً . لعنها الله ، إني سأكون سعيداً حين يأتيني المايسترو الأعظم بتلك الالقيآت الكبار ، كذلك قال في ذات نفسه . إن هذه الخمرة لتصبح كثيرة الثفل في النهاية .

وجلس هناك ، مع صحيفته ، مفكراً في أشياء ذلك اليوم .

انه سوف يتلقى مخابرة تلفونية . ولكن هذا قد لا يتم إلا في ساعة متأخرة ، لأنها سوف تظل نائمة حتى ساعة متأخرة . ان الصبايا لا يستيقظن إلا متأخرات ، كذلك قال في ذات نفسه ، والجميلات يستغرقن في النوم اكثر وأكثر أيضاً . وليس من ريب في أنها لن

تتلفن في ساعة مبكرة ، ولن تفتح الدكاكين أبوابها حتى الساعة التاسعة ،
أو بعد ذلك بقليل .

يا للجحيم ، كذلك قال في ذات نفسه ، ان لديّ هذه الجواهر
اللينة . كيف يستطيع أيما امرئ ان يفعل شيئاً كهذا ؟

ولكنك تعرف كيف ، كذلك قال في ذات نفسه ، وهو يطالع
الاعلانات المنشورة على الصفحة الأخيرة من الصحيفة . لقد رَقَيْتَ
نفسك ، عدة مرات بشيء مثل ذلك في خط النار . ان هذا ليس
بالأحمق او المرَضِيّ . ولقد ارادت هي أن ترتيقك ليس غير . لقد كان
من حسن الطالع ان يقع اختيارها عليّ ، كذلك قال في ذات نفسه .
هذا هو الشيء الحسن الوحيد في كوني منّ أنا ، كذلك فكر .
حسناً ، أنا منّ أنا . على اية حال . ما رأيك في الجلوس على صحيفة
القمامة ، كما قد جلست كل يوم تقريباً من ايام حياتك اللينة ، وهذه
الجواهر في جيبك ؟

انه لم يكن يخاطب احداً ، إلا الذرية ، ربّما

كم من صباح قعدت في الصيف الطويل مع الآخرين جميعاً ؟
كان ذلك اسوأ ما فيها . هو وحلق الذقن . والا انصرفت لتخلو الى
نفسك ، وتفكر ، أو لا تفكر ، ثم تختار لنفسك مَفْزَعاً صالحاً فتجد
ان رجلين من رجال الغدارات قد سبّاك اليه ، او تجد غلاماً ما
مستغرقاً في النوم .

ليس في الجيش خلوة الا بمقدار ما في ...^١ احتراقيّ من خلوة .
ان قديمي لم تطأ^١ ... احترافياً قط ، ولكن يخيل اليّ انه يدار بطريقة

١ - موضع كلمة مقدّعة محذوفة في الاصل .

مماثلة الى حد بعيد . لقد كان في ميسوري أن أتعلم كيف ادير واحداً منها . كذلك قال في ذات نفسه .

وعندئذ أعمد اني تعين جميع شخصياتي ... 'الرئيسيين سفراء' ، أما غير الناجحين فاستطيع أن أعينهم قادة للجنش ، او قادة للمواقع العسكرية في زمن السلم . لا تكن لاذعاً ، أيها الغلام ، كذلك قال لنفسه . إن الضحى لما يرتفع بعد ، وان مهمتك لما تنته بعد .

ما الذي ستصنعه بزوجاتهم ، كذلك سأل نفسه . اشتر لهم قبعات أو أطلق النار عليهن ، كذلك قال . إن ذلك كله جزء من العملية نفسها .

ونظر الى نفسه في المرآة ، المثبتة في الباب نصف المعلق . فأرته نفسه عند زاوية ضئيلة . انها طليقة زائفة . وانهم لم يسددوا العيار الناري الى ما ورائي ، تسديداً كافياً ، يؤدي آخر الأمر الى اصابتي .^٢

أيها الغلام ، كذلك قال ، انت من غير ريب نفل بال تبدو عليه امارات الهرم .

والآن يتعين عليك ان تحلتي ذقنك وان تنظر الى وجهك وانت تفعل ذلك . ثم يتعين عليك أن تقص شعرك . إن ذلك هين في هذه المدينة . انك كولونيل في سلاح المشاة ، أيها الغلام . وليس في استطاعتك ان تطوف في كل مكان بمظهر اشبه بمظهر جان دارك ، او الجنرال (رتبة تشريف) جورج آرمسترونغ كاستر . ذلك الفارس الجميل . واحسب

١ - هنا موضع لفظة مقذعة محذوفة في الاصل .

٢ - يقصد كما نصيد بطة بأن تشدد العيار الناري الى ما ورائها ، وهي طائرة ، حتى يُحسب حساب تحركها بينا يكون العيار في طريقه اليها . (المغرب)

ان من الممتع ان يكون المرء هكذا ، وان تكون له زوجة محبة ، وان يتخذ من النشارة عقلاً . ولكن لا ريب في ان صناعة الحرب بدت وكأنها ليست الصناعة التي 'خلق لها عندما قتلوا في تلك الهضبة القائمة فوق «لنيل بينغ هورن» وقد اخذت الافراس القصيرة الجسم تدور حولهم وسط سحابة من الغبار ووسط 'مجتمع القصعين الذي سحقته حوافر خيل العدو ، ولم يبق للجنرال ، طوال الأيام الباقية من حياته ، غير تلك الرائحة المستحبة العتيقة التي انبعثت من البارود الأسود ، وجنوده يطلقون النار على بعضهم بعضاً وعلى أنفسهم ، لأنهم كانوا يخشون ما قد يفعله بهم المقاتلون البيض المتزوجون من نسوة هنديات حراوات .

لقد 'شوّهت الجثة تشوهاً لا سبيل الى وصفه ، كذلك كانوا يقولون في هذه الصحيفة نفسها . وعلى تلك الهضبة لتدرك انك ارتكبت غلطة حقيقية ، آخر الأمر والى الأبد وحتى أقصى درجة . يا للفارس المسكين ، كذلك قال في ذات نفسه . تلك كانت نهاية أحلامه كلها . وهذا احدى المحاسن التي ينطوى عليها كون المرء جندياً في سلاح المشاة . إنك لم تعرف في حياتك الأحلام قط ، باستثناء أحلامك المزعجة .

حسناً ، كذلك قال في ذات نفسه ، لقد انتهينا الآن ، ولن تنقضي غير لحظات حتى يتدفق النور ويصبح في ميسوري ان أرى اللوحة الزيتية . سوف اكون ملعوناً اذا طويت هذه . إني سأحتفظ بها .

يا للسبح ، كذلك قال ، ليت شعري كيف تبدو الآن وهي مستغرقة في النوم ؟ أنا اعرف كيف تبدو ، كذلك قال في ذات

ففسه . رائعة . إنها تنام وكأنها لم تستسلم للنوم . وكأنها تخلد الى
الراحة ليس غير . انا أرجو ان تكون هكذا ، كذلك قال في ذات
نفسه . أرجو ان تكون ناعمة بالراحة حقاً . يا يسوع المسيح ،
لشدّ ما أحبها وأتمنى أن لا أؤذيها أبداً الدهر .

وحين شرعت الشمس تسفل خيوطها رأى الكولونيل اللوحة الزيتية .
ولعله رآها ، في اغلب الظن ، بمثل السرعة التي يرى بها أيما رجل
متمددين يتعيّن عليه ان يطالع وان يوقع الناذج التي لم يكن يؤمن بها ...
أقول بمثل السرعة التي يرى بها أيما رجل متمددين شيئاً من الاشياء ، حالما
يتبدى ذلك لناظره . اجل ، كذلك في ذات نفسه ، إن لي عينين ،
وانها لا تزالان قادرتين على الادراك السريع الى حد غير يسير ، ولقد
كان لهما ذات يوم طموح . ولقد قدتُ رجالي الأجلاف الى حيث أمطروا
بالرصاص . ان ثلاثة فحسب ، من أصل مجموعهم البالغ عدده مئتين
وخمسين رجلاً ، لا يزالون على قيد الحياة ، ولقد قصدوا الى اقصى اليلدة
ليستندوا اكف المحسنين بقية عمرهم .

وقال للوحة الزيتية : هذا من شكسير . الفائز والبطل الذي لا
منازع له .

ان امرءاً ما قد يقهره ، في نزال قصير . ولكني أوثر أن أجلة
وأجمده . هل قدر لك أن تقرأي « الملك لير » ، يا بُنيتي ؟ لقد
قرأها مستر « جين ثاني » ، Gene Tunney ، ولقد كان بطل العالم . ولكني

أنا قرأتها أيضاً . ان الجنود يعنون بمستر شيكسبير ايضاً ، برغم ان ذلك قد يبدو مستحيلاً .

أليس لديك ما تدافعين به عن نفسك غير ردّ رأسك الى الوراء ؟
كذلك سأل اللوحة الزيتية . هل تريد مزيداً ، يا شيكسبير ؟

انك في غير ما حاجة الى الدفاع . ليس عليكِ الا ان تستريحي وتُبقي كل شيء على حاله . انه عمل لا غناء فيه . ودفاعك ودفاعي مجرد عبث لا طائل تحته . ولكن من ذا الذي يستطيع أن يقول لك أن تمضي وتشنقي نفسك كما نفعل نحن ؟

لا احد ، كذلك قال لنفسه وللوحة الزيتية . من الراهن ان هذا الشخص ليس هو أنا .

وخفض يده السليمة ووجد نادل الحجرة قد ترك زجاجة فالبوليشيلا ثانية في محاذاة المكان الذي كانت فيه الزجاجة الاولى

اذا احببت بلاداً ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، فيحسن بك أن تعترف بذلك أيها الغلام .

لقد احببت ثلاثاً وفقدتها ثلاث مرات . كن منصفاً . لقد استردنا اثنتين . ثم صحح خطأه فقال : استردنا .

ولسوف نسترد الثالثة ، الجنرال فرانكو البدين على متن زورق صيده ، مزوداً بنصيحة طبيبه وببطءه الداجن وبديئته من الفرسان المغاربة حين يطلق النار .

.. « اجل » ، كذلك قال في رقة للفتاة التي نظرت اليه في وضوح ، الآن ، على هدي اول النور وأحسنه .

سوف نسترد ذلك ولسوف يُشنقون كلهم ، رأساً على عقب ، خارج محطات البنزين ، ثم اضاف . لقد حذرتكم .

ثم قال : « أيتها اللوحة الزيتية ، لماذا بحق الجحيم لا تستطيعين أن

تضطجعي مني في السرير بكل بساطة بدلاً من أن تكوني على مبعده ثماني عشر بلاطة صلبة عني؟ انا لم أعد الآن لاذعاً بقدر ما كنت من قبل في اي وقت .

« ايتها اللوحة الزيتية ، ، كذلك قال للفتاة ، وللوحة معاً ؛ ولكن لم يكن ثمة اية فتاة وكانت اللوحة الزيتية مرسومة كما كانت .

« ايتها اللوحة الزيتية ، أبقى ذقنك اللعينة مرفوعة بحيث تستطيعين أن تفتطري فؤادي في سهولة أعظم .

لقد كانت من غير ريب هدية طريفة ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه .

« هل تستطيعين ان تناوري ، ، كذلك سأل اللوحة الزيتية ، « في اجادة وسرعة ،

ولم تقل اللوحة شيئاً فأجاب الكولونيل : أنت تعلم جيداً أنها قادرة على ذلك .

ولقد بزتك في فن المناورة في الكثرة العظمى من أيام حياتك ، وخليقٌ بها ان تمكث وتقاتل ، حيث تكون انت منصرفاً الى عبثك الوضيع ، وان تفعل ذلك في حصافة بالغة .

وقال : « ايتها اللوحة . غلاماً كنتِ أو بنتاً أو حيي الحقيقي الوحيد أو أي شيء آخر . انتِ تعرفين ما هو ، ايتها اللوحة . ،

ولم تجب اللوحة ، شأنها من قبل . ولكن الكولونيل ، الذي عاد الآن جنراً من جديد ، في تلك الساعة المبكرة من الصباح وفي الوقت

الوحيد الذي عرف معرفة جيدة ، وقد احتسى شراب الفالبوليشيلا ، ادرك ادراكاً قاطعاً وكأنه قد قرأ « فاسيرمان » للمرة الثالثة منذ لحظات ،

انه لم يكن ثمة في اللوحة ايّ ... ١ ، واستشعر الخجل لتحديثه الى

١ - هنا موضع كلمة مقدّعة محذوفة في الاصل الانكليزي ايضاً . (المرعب)

اللوحة بمثل هذا الحديث اللاذع .

« سوف اكون احسن غلام لعين قُدْرٍ لك ان تَرِيَهِ اليوم . وفي استطاعتك ان تخبري رئيستك ذلك . »

ولكن اللوحة ، كدأبها دائماً ، ظلت صامتة .

لعلها ان تتحدث الى فارس في سلاح الفرسان ، كذلك قال الجنرال ، ذلك بأنه كان الآن ذا نجمتين ، ولقد صرّفت نجومه على كتفيه وتبدت بيضاء أمام المحرّة الغامضة الناصلة على اللوحة المعدنية التي في مقدمة سيارة « الجيب » . إنه لم يستعمل سيارات القيادة قط ، ولا العربات نصف المصفحة المتممة بأكياس الرمل .

وقال : « الى الجحيم بك ، أيتها اللوحة ، أو اطلي مقعدك الكنسي من قسّيسنا الكونيّ كنسا ، نحن المؤمنين بأديان مشتركة . ان عليك ان تكوني قادرة على العيش من هذه السبيل . »

فقالت اللوحة ، من غير أن تتكلم : « الى الجحيم بك ، أيها الجندي ذو الدرجة الوضيعة . »

« اجل ، » كذلك قال الكولونيل ، ذلك بأنه كان الآن كولونيلاً كرهة اخرى ، وتخلّى عن رتبته السابقة كلها .

« انا احبك ، ايتها اللوحة ، حباً عظيماً . ولكن لا تخاشيني . انا احبك حباً عظيماً لأنك جميلة . ولكني احب الفتاة اكثر . مليون مرة اكثر ؛ أسمعت ؟ »

ولم يكن ثمة أية أمارّة تفيد انها سمعت . وهكذا سئمها وملتها . وقال : « أنت تلزّمين موقفاً ثابتاً . سواء أكنت من غير إطار أو ضمن إطار ما . وإني لأعتزم أن أتاور . »

كانت اللوحة الزيتية صامتة كصمتها منذ أن حملها بواب الفندق الى الحجرّة ، وجلاها للكولونيل والفتاة ، يعاونه النادل الثاني على ذلك . ونظر الكولونيل اليها ، ورأى ان من المتعذر الدفاع عنها ، بعد

أن أصبح الضياء غامراً أو شبه غامر .

لقد رأى ، أيضاً ، أنها كانت صورة حبيبتة الغالية ، ومن اجل ذلك قال :
«آسف لكل ما تلفظتُ به من حماقات ، أنا لا أودّ أبد الدهر ان اكون
وحشياً . ولعل في ميسورنا كلينا ان ننام برهة قصيرة ، مع الحظ ،
وعندئذ ربما عمدت سيدتك الى الاتصال التلفوني بي . »

ومن يدري ، فلعلها أن تأتي لزيارتي أيضا ، كذلك قال في ذات

نفسه .

دفع حاجب الردهة صحيفة الـغازيتينا، تحت الباب ، فتلقاها الكولونيل ، من غير ان يحدث ضجة ما ، حالما مرّت ، او كادت ، من خلال الشقّ .

لقد نترها ، تقريباً ، من يد حاجب الردهة . ولم يكن يجبّ حاجب الردهة ، بسبب من انه فاجأه ، ذات يوم ، وهو يعبث بمحتويات حقيبته ، عندما عاود هو - الكولونيل - دخول الحجرّة بعد أن غادرها ، مبدئياً ، لفترة قصيرة من الزمان . كان قد انقلب عائداً الى الحجرّة لكي يجيء بزجاجة عقاره ، التي كان قد نسيها ، فإذا به يجد حاجب الردهة ماضياً في العبث بمحتويات حقيبته .

- « احسب انكم ، في هذا الفندق ، تهددون الناس ابتغاء سلبهم . » كذلك كان الكولونيل قد قال . « ولكنك لست بمفخرة لمدينتك . » وكان الرجل ذو الوجه الفاشستي والصدرّة المخططة قد اعتم بالصمت فقال الكولونيل : « تابع ، ايها الغلام ، عبثك بسائر المحتويات . أنا لا احمل اسراراً عسكرية مع ادوات زينتي . »

ومنذ ذلك الحين أصبح بينهما ودّ مفقود ، واستمتع الكولونيل بمحاولة نثر الصحيفة الصباحية من يد الرجل ذي الصدرّة المخططة ، في غير

ما ضجة ، كلما سمعها او رآها تتحرك اول ما تتحرك تحت الباب .
... « أو . كي . لقد كسبت اليوم ، أياها الغرّ الحقيق ! ، كذلك قال .
بأحسن لهجة فينيسية استطاع أن يصطنعها في تلك الساعة . » اذهب
واشوق نفسك ! »

ولكنهم لا يشقون انفسهم ، كذلك قال في ذات نفسه . كل ما
عليهم ان يفعلوه هو الاستمرار في وضع الصحف تحت أبواب الناس
الآخرين الذين لا يضمرون لهم حتى البغض . ان كون المرء « فاشستياً
سابقاً » لا بدّ ان يكون مهنة عسيرة جداً . ولعله أن لا يكون
« فاشستياً سابقاً » . ما يُدريك ؟

أنا لا استطيع أن أبغض الفاشستين ، كذلك قال في ذات نفسه .
حتى ولا النمساويين ، ما دمت - لسوء الطالع - جندياً .
وقال : اسمعي ، أيتها اللوحة . هل يتعين عليّ أن أبغض النمساويين
لأننا نقتلهم ؟ هل يتعين عليّ أن أبغضهم كجنود وك مخلوقات بشرية ؟
ان هذا ليبدو لي حلاً يسيراً اكثر مما ينبغي .

حسناً ، أيتها اللوحة . إنسي ما قلت . إنسي ما قلت . أنت لم
تبلغني من السن مبلغاً يمكّنك من معرفة شيء عن ذلك . انت اصغر
بستين من الفتاة التي تمثلينها ، وهي اصغر سنّاً واكبر سنّاً من الجحيم
... والجحيم مكان بالغ العتق والقدم .

- « اسمعي ، أيتها اللوحة ، » كذلك قال . وفيما هو يقول هذه
الكلمات ادرك انه سوف يكون لديه الآن ، ما امتدّت به الحياة ،
شخصٌ يستطيع أن يتحدث اليه في ساعات الصباح المبكرة التي يفوق
من نومه خلالها .

- « كما كنت أقول ، أيتها اللوحة . الى الجحيم بهذا أيضاً .
وهذا ايضاً شيء لم تبلغني من السن مبلغاً يمكّنك من معرفته .
إنه أحد الأشياء التي لا يستطيع المرء ان يقولها مها تكن صحيحة .
وهناك جمهرة من الاشياء لا استطيع ابد الدهر ان اقولها لك ، وربما

كان ذلك خيراً لي . انها عن عهد مضى تقريباً .. ما الذي تحسبينه خيراً لي ، أيتها اللوحة ؟ »

- « ما خطبك ، أيتها اللوحة ؟ وكذلك سألها . « هل بدأت تحسبن بالجوع ؟ أنا بدأت احس به . »

وهكذا رنّ الجرس للنادل ليكلفه بالأتيان بطعام الصباح .

لقد عرف انه لن يكون ثمة الآن - برغم سطوع الضياء الى حدّ تجلّت معه كل موجة من موجات القناة العظمى ، رصاصية اللون ثقيلة عارمة مع مجرى الريح ، وبرغم ان المدّ ارتفع الآن فغمر درجات « مهبط » القصر القائم قبالة حجرته مباشرة ... اقول لقد عرف انه لن يكون ثمة اي اتصال تلفوني قبل عدة ساعات .

إن الذين لا يزالون في مستقبل العمر ينامون نوماً عميقاً ، كذلك قال في ذاته نفسه . إنهم أهل لذلك .

- « لماذا يتحتم علينا ان نشيخ ؟ » كذلك سأل النادل الذي كان قد اقبل بعينه الزجاجية وبلائحة الطعام .

- « لست ادري ، يا زعمي . انا احسب أنها عملية طبيعية . »
- « اجل . يخيل اليّ اني اظن ذلك ايضاً . بضع بيضات مقلوة منتفخة الوجوه . وشيء من الشاي والخبز المحمص . »

- « الا تريد شيئاً اميركياً ؟ »

- « الى الجحيم بكل ما هو اميركي ما عداي ! هل افاق المايسترو الأعظم من نومه ؟ »

لقد جاءك شراب فالبوليشيلا في ألفيات كبيرة مطوقة بأغصان مجدولة ، تسع كل منها ليتين . ولقد حملت اليك هذه الزجاجية معها .

- « هذه ؟ » كذلك قال الكولونيل . « لشد ما اتنى لو استطيع أن
أقدم اليه فرقة عسكرية . »
- « لست احسب انه راغب ، فعلاً ، في واحدة . »
فقال الكولونيل : « لا . وانا ايضاً غير راغب ، فعلاً ، في واحدة . »

وتناول الكولونيل فطوره بمثل أناة مصارع تلقى ضربة قاسية ، فهو يسمع لفظة «اربعة» ويعرف كيف يسترخي استرخاء حسناً طوال خمس ثوان اخرى .

وقال : « ايتها اللوحة ، يتعين عليك انت ايضاً ان تسترخي . ذلك هو الشيء الوحيد الذي سيكون عسيراً في أمرِك . ذلك ما يدعونه العامل السكوني في فن الرسم . انت تعرفين ايتها اللوحة أنه يكاد لا يكاد ثمة أية صُور ، او على الاصح أية لوحات زيتية ، تتحرك بأية حال . إن قلة منها لتتحرك . ولكن ليس كثرتها الكبيرة .

« إنني لأتمنى لو كانت سيدتك هنا ، ولو كان في ميسورنا ان نتمتع بالحركة . كيف تقوى الفتيات اللواتي يشبهنك ويشبهنّها على معرفة هذه الأشياء كلها وهن في مثل هذه السن الغضة ، ثم يكنّ فوق ذلك فانتات الى هذا الحد ؟

« عندنا نحن ، اذا كانت فتاة ما فاتتة حقاً تكون من بنات تكساس ، ولربما استطاعت ، اذا اسعفها الحظ ، أن تنبئك في أي شهر نحن . إن في استطاعتهم جميعاً ، برغم ذلك ، أن يُحسِنَ العَدَّ .

« انهم يعلمونهم كيف يعدّون وكيف يبقيان ارجلهم متلاصقات وكيف يرفعن شعرهن متموجاً الى أعلى بواسطة الدبابيس . إن عليك في بعض الاحيان ، ايتها اللوحة ، من أجل آثامك - ان كانت لك اية

آثام - ان تضطجع مع فناة رفعت شعرها متموجاً الى اعلى بواسطة
الدبابيس لكي تكون جميلة غداً ، لا الليلة . انهن لا يبغين ابدأ أن يكنّ
الليلة جميلات . فالحق انهن يفعلن ذلك كله من أجل الغد ، حين 'نُجْري
المباراة .

« ان الفتاة ، ريناتا ، التي أنتِ هي ، لناثمة الآن من غير ان تفعل
بشعرها أيما شيء البتة . إنها ناثمة وقد استرسل شعرها على الوسادة ،
وكله بالنسبة اليها لا يعدو أن يكون ازعاجاً حريرياً ماجداً داكناً بحيث
لا تكاد تتذكر كيف تسرحه لولا أن مريبتها قد علمتها ذلك .

« اني لأراها في الشوارع وهي تخطو رشيقة طويلة الساقين وقد عبثت
الريح بشعرها ما شاء لها العبث ، وقد نهد ثدياها الحقيقيان تحت الكنزة ،
ثم اتذكر الليالي في تكساس والفتيات بدبابيسهن المموجة للشعر واجسامهن
المشدودة بالأدوات المعدنية والمُخضّعة لها . »

وقال للوحة الزيتية : لا تصطنعي من اجلي دبابيس لتمويج الشعر ،
يا حبيبتي .

ان عليّ ان لا اكون لاذعاً ، كذلك قال في ذات نفسه .
ثم انه قال للوحة ، ذلك بأنه فكّر فيها ، الآن ، بوصفها نكرة
لا معرفة : « انك ذات جمال لعينٍ الى حد يجعلك تُنتنين . ثم انك
طُعم سجن أيضاً . ان ريناتا اكبر منك بسنتين الآن . انتِ دون السابعة
عشرة . »

ولماذا لا استطيع ان افوز بها ، واحبها ، وادلها ، وان لا اكون
لا لاذعاً ولا شريراً ، وان انجب الاولاد الخمسة الذين سوف يمضون الى
زوايا العالم الخمس ؛ ايا ما كان معنى ذلك ! لست ادري . يتخيّل الي ان
ورق اللعب الذي نسجه هو الورق الذي بين أيدينا . انتِ لا تحبّ ان
تعيد توزيع الورق ، أليس كذلك ايها الموزع ؟

لا انهم يوزعون الورق لك مرة واحدة ، وعندئذ تتلقف انت اوراقك وتلعب بها . ان في استطاعتي ان العب بها ، اذا ما سحبتُ أيما اوراق مهما تكن ، كذلك قال للوحة الزيتية ، التي ظلت جامدة لا تبين عليها اي اماره من أمارات التأثر .

وقال : « ايتها اللوحة . من الخير لك ان تنظري الى الناحية الأخرى بحيث لا تكونين غير عذرية . اني سوف اقف تحت الدش الآن واحلق لحيتي ، وهو شيء لن تُضطري ابد الدهر الى صنعه ، وسأرتدي بذلتي العسكرية وامضي واطوف في هذه المدينة مشياً على القدمين حق في مثل هذه الساعة المبكرة من النهار . »

وهكذا غادر السرير ، مُحابياً رجله المصابة التي كانت تؤلمه دائماً . لقد اطفأ مصباح المطالعة بيده المشوهة . كان ثمة ضوء كافٍ ، وكان قد هدر الطاقة الكهربائية طوال ساعة تقريبا .

وندم على ذلك كما ندم على جميع اخطائه . ومشى متخطياً للوحة الزيتية غير ناظر اليها إلا في لا مبالاة ، ورأى الى نفسه في المرآة . وكان قد خلع جزأي بيجامته ، ونظر الى نفسه نظرة انتقادية صادقة . وقال للمرأة : « ايها النخل العجوز المضحى ! » كانت اللوحة الزيتية شيئاً من اشياء الماضي . وكانت المرآة واقعا ، ومن بنات هذا اليوم . ان الامعاء مسطحة ، كذلك قال من غير ان يلفظ الكلمات . والصدر لا غبار عليه ، باستثناء ذلك الجزء الذي يشتمل على العضلة المعتلة . اننا نُشنتق على الطريقة التي نُشنتق بها ، على أية حال ، أو بأية طريقة

١ - يقصد قلبه الضعيف . (المعرب)

رهيبة اخرى .

لقد بلغت من العمر نصف قرن ، ايها النفل الزنيم . والآن ادخل
الممام وخذ دُشْتًا ، وافرك جلدك جيداً وبعد ذلك البس سترتك
العسكرية . ان هذا اليوم هو يوم آخر .

ووقف الكولونيل عند منضدة الاستقبال في الردهة ، ولكن البواب لم يكن قد اقبل بعد . كان ثمة بواب الليل ليس غير .

- « هل تستطيع ان تضع لي شيئاً في الصندوق الحديدي ؟ »

- « لا يا زعيمي ، ان احداً لا يستطيع ان يفتح الصندوق الحديدي »

ما لم يأت المدير المساعد أو البواب على الأقل . ولكنني مستعد لأن اصون لك ايما شيء ترغب في صيانته . »

- « شكراً . ليس ثمة ما يستحق مثل هذا العناء . » قال هذا ووضع

غلافاً من غلافات فندق غريتي كانت احجار الزمرد في جوفه (وكان الغلاف موجهاً اليه هو) داخل جيب سترته العسكرية الايسر ثم زرر الجيب عليه .

وقال بواب الليل : « ليس ههنا ، اليوم ، اية جرائم حقيقية . »

كان ليده ليلا طويلاً ، ولقد سرّه ان يتحدث الى ايما امرىء : « ولم

يكن ههنا ، في ايما يوم من الايام ، اية جرائم حقيقية ، يا زعيمي .

ليس ههنا غير خلافات في الرأي والسياسة . »

- « وما مذهبك في السياسة ؟ » كذلك سأله الكولونيل ، ذلك بأنه

كان يستشعر هو ، ايضاً ، وحشة وسأماً .

- « ما قد تتوقعه تقريباً . »

- « فهمت . وما مدى النجاح الذي احرزه جماعتك ؟ »

- « اعتقد انهم سائرون في طريق النجاح . ربما ليس بمثل السرعة التي ساروا بها في العام الماضي . ولكنهم يتقدمون بخطى ثابتة . لقد قهرنا من قبل ، ويتمين علينا أن ننتظر ، الآن ، فترة ما . »

- « وهل تعمل في السياسة ؟ »

- « ليس كثيراً . انها عندي سياسة قلبي اكثر منها سياسة عقلي .

أنا أو من بها بعقلي ايضا ، ولكن درايتي السياسية ضئيلة جداً . »

- « حين تم الدراية السياسية لامرء لا يبقى له ايما قلب . »

- « ربما كان هذا صحيحاً . ألدلك سياسة في الجيش ؟ »

فقال الكولونيل : « لدينا كثير . ولكن ليس من ذلك الضرب الذي

تعنيه انت . »

- « حسناً ، من الخير لنا ان لا نناقشها اذن . انا لم اقصد أن

اكون متطفلاً . »

- « لقد طرحتُ انا السؤال ، السؤال الاصيلي على الأصح . وكان ذلك

لمجرد التحدث . انه لم يكن استنطاقاً . »

- « لست احسب انه كان كذلك . فليس لك ، يا زعمي ، وجه

مستنطق . وانا أعرف اشياء عن «المنظمة» برغم اني لست عضواً فيها . »

- « قد تكون مادة عضو . سأتابع النظر في هذه المسألة مع المايسترو

الأعظم . »

- « نحن من بلدة واحدة ، ولكن من حينين مختلفين . »

- « انها بلدة طيبة . »

- « يا زعمي ، انا من ضالة الدراية السياسية بحيث أحسب جميع

الشرفاء شرفاء . »

فقال له الكولونيل مؤكداً : « اوه ، سوف تتغلب على هذه الصعوبة .

لا تقلق ، ايها الغلام . ان عندكم حزباً فتياً . وطبيعي ان تقترفوا

بعض الاخطاء . »

- « ارجوك ان لا تتكلم هكذا . »

- « لقد كان مجرد فراغ لاذع يُرسل في ساعات الصباح الاولى . »

- « قل لي ، يا زعيمي ، ما هو رأيك الحقيقي في تيتو ؟ »

- « ان لي آراء كثيرة فيه . ولكنه جاري الأدنى . ولقد وجدت من

الخير لي ان لا اتحدث عن جاري . »

- « اني احب ان اتعلم . »

- « اذن تعلم ذلك بالطريقه القاسية . ألا تعلم ان الناس لا يحبون

عن اسئلة كهذه ؟ »

- « كنت رجوت ان يفعلوا . »

فقال الكولونيل : « انهم لا يفعلون . وبخاصة اذا كانوا في مثل مركزي .

كل ما استطيع ان اقوله لك هو ان مستر تيتو يواجه مشكلات

كثيرة . »

- « حسناً ، انا اعرف ذلك الآن احسن معرفة ، » كذلك قال حاجب

الليل الذي كان في الواقع مجرد غلام .

فقال الكولونيل : « أرجو ذلك . انا لا ازعم ان هذه المعرفة درة

مكتونة . والآن ، طاب يومك ، اذ يتعين علي ان اتمشى قليلاً لمصلحة

كبدتي اوشيء آخر . »

- « طاب يومك ، يا زعيمي ، Fa brutto tempo »

فقال الكولونيل : « Bruttissimo » ، شدّ حزامِ مطره شدّاً محكماً ،

مسوّياً إياه حول المنكبين منزلاً أطرافه الى الأدنى ، وغادر الفندق

مندفعاً نحو الريح .

وركب الكولونيل متن غندول العشرة سقيات عبر القنال ، دافعاً الورقة النقدية القذرة المعتادة ، واقفاً وسط حشدٍ من أولئك الذين حكم عليهم الدهر بأن يفيقوا من نومهم باكراً .

والتفت الى «الفريقي» فرأى نوافذ حجرته ؛ كانت لا تزال مفتوحة . لم يكن ثمة أيما وعدٍ بهطول المطر ، أو وعيدٍ به ؛ لا ، كان ثمة نفس الريح الباردة ، القوية ، العاتية ليس غير ؛ الريح الهابئة من ناحية الجبال . وبدا كل من على متن الغندول مقروراً وقال الكولونيل في ذات نفسه : لشدت ما أتمنى لو أستطيع أن اوزع هذه السترات الواقية من الريح على ممتطي الغندول جميعاً . يا إلهي ، وكل ضابط قُدِّر له أن يرتدي واحدة منها يعرف انها لا تحول دون تسرب الماء ومن الذي جنى الثروة الطائلة من وراء ذلك .

انك لا تستطيع أن تُنقِذَ الماء من خلال سترة من سترات «بوريري» . ولكني احسب ان لأحد الرجال الحقييرين البارعين غلامه ، الآن ، في «غروتون» ، او ربما في «كانتربوري» حيث يذهب غلمان المقاولين الكبار بسبب من ان ستراتنا تترشح .

وما حلّ بزيملي الضابط الذي اختصم معه ؟ واني لأتساءل من كان «بيني مايرز» قوات البر ؟ ولعله لم يكن ثمة شخص واحد ليس غير . واغلب الظن ، كذلك قال في ذات نفسه ، أنه كان ثمة كثير

من هؤلاء بلا ريب . إن تحدّثك على هذا النحو ، وبكل بساطة ، ليفيد أنك لم تفتق من رقادك بعد . فهي تقي ، برغم ذلك ، من الريح . الماطر ، اعني . الماطر يا حماري .

واندفع الغندول بين الدعامتين القائمتين عند الضفة القصوى من القناة ، وراقب الكولونيل القوم المتشحين بالسواد يفادرون العربية المطلية باللون الأسود . أهي عربية حقاً ؟ كذلك قال في ذات نفسه . أم ان العربية لا بد لها من عجلات ومن أن تُجرّ على خط حديدي ؟

ان اياما امرىء لن يشتري أفكارك هذه ببئس واحد ، كذلك قال في ذات نفسه . ليس في هذا الصباح . ولكني رأيتها من قبل تساوي مقداراً ما من المال عندما شحّت «فيشات» اللعب .

ونفذا الى الجانب الأقصى من المدينة ، الجانب الذي واجهه ، آخر الأمر ، شاطيء البحر الأدرياتي ، والذي كان هو يؤثره بالحب . وكان يسير في احد الأزقة الضيقة ، وكان يعتمز ان لا يتتبّع ارقام الشوارع الشمالية والجنوبية ، اذا جاز التعبير ، التي اجتازها وأن لا يحصي الجسور ثم يحاول ان يوجّه نفسه بحيث ينتهي الى السوق من غير ان يجد نفسه في بعض الطرق غير النافذة .

كانت لعبة تلعبها ، كما تعود بعض الناس ان يلعبوا «الكانفيد»^٢ المزدوج او أياً من ألعاب الورق التوحّدية . ولكنها تتميز بتحركك وأنت تقوم بها . وبأنك تنظر خلالها الى البيوت ، والى الشوارع التي تكتنفها الأشجار من جانبيها ، والى الدكاكين ، والى المطاعم Trattorias والى قصور «البندقية» العتيقة فيما أنت تمشي . واذا كنت تحب مدينة

١ - جمع مطر ، وهو المعطف الواقى من المطر .
٢ - لعبة ورق يلعبها لاعب واحد . (المرب) .

البندقية فليس من ريب في أنها لعبة ممتازة .

انها ضرب من «التجول المتوحد» ، وما تكسبه منه هو ابتهاج عينك وفؤادك . فإذا ما انتهيت الى السوق ، على هذا الجانب من المدينة ، من غير أن تجد نفسك في وضع حرج فعندئذ تكون قد كسبت الجولة . ولكن عليك ان لا تجعلها سهلة اكثر مما ينبغي ، وأن لا تعدّ البتة .

وعلى الجانب الآخر من المدينة كانت اللعبة تقتضيه أن يبدأ التجول من فندق غريتي وان يصل الى «الريالتو» من طريق «الفوندامانت نوفو» Fondamente Nuove من غير ان ترتكب اي خطأ .

وعندئذ كان في استطاعتك ان تتسلق الجسر ، وان تعبره ، وتهبط الى السوق . لقد أحب السوق اكثر من اي شيء آخر . كان هو اول موطن يقصد اليه كلما زار مدينة من المدن .

وفي تلك اللحظة بالذات سمع الشابين خلفه يتحدثان عنه . لقد عرف ، من صوتها ، انها كانا شابين ، ولم يلتفت الى الورا ، ولكنه أصغى في انتباه بسبب من المسافة الفاصلة ، وانتظر ريثما يبلغ المنعطف المثالي لكي يراها في ما هو منعطف حوله .

انها ماضيان الى عملها ، كذلك قرر في ذات نفسه . لعلها فاشيستيان سابقان ، او ربما كانا شيئاً آخر ، ومن يدري فلعلها لا يتكلمان إلا عن قوة الجيش الضاربة . ولكنهما ينقلان حديثها الآن من العموم الى الخصوص . انه لم يعد يدور على الاميركيين فحسب ، وانما اخذ يتناولني انا ايضاً ، انا نفسي : شعري الأشيب ، ومشيتي الظالعة بعض الشيء ، والحذاء العسكري العالي العنق . (ان هذا الضرب من الناس يكره الصفة العملية التي تتميز بها الاحذية العسكرية ذات الاعناق العالية . انهم يؤثرون الاحذية التي ترنّ على بلاط الشارع والتي تلمع بصقال

ان نقدهما لينصبّ على بذلتي العسكرية زاعمين انها خلوة من الكياسة . وما هما يعبران بعد ذلك عن اطمئنانها المطلق الى سلامتها لأنني تجاوزت السن التي ينزع فيها المرء الى الأخذ بأسباب الغزل والحب . وانعطف الكولونيل انعطافاً حاداً عند الزاوية التالية ، مدركاً ما الذي كان ينتظره والمسافة التي كانت تفصله عنهما على وجه الضبط . وحين انعطف الشابان حول الزاوية التي شكلها «قبا» ' apse كنيسة الـ «فراري» Ferrari كان الكولونيل قد توارى عن البصر . كان قد انتهى الى الزاوية غير النافذة ، خلف «قبا» الكنيسة العتيقة ؛ وفيما هما يجتازانه سمعها يقبلان ، من صوتها ، فأسرع في مشيه واضعاً كلتا يديه في جيبي بمنظره الخفيضين واستدار هو والمطر نحوهما ، ويداه الاثنتان في الجيبين .

ووقفاً ، فنظر اليها كليهما في الوجه ، وابتسم ابتسامته الحدادية العتيقة البالية . ثم انه خفض بصره الى اقدامها ، كما تنظر دائماً الى أقدام أمثالها من الناس ، إذ انهم ينتعلون احذية شديدة الضيق ، فإذا ما خلعت احذيتهم تلك رأيت اصابعهم المشوهة بحكم الالتواء الزاوي . وبصق الكولونيل على الرصيف ، ولم يقل شيئاً .

ونظر كلاهما اليه ، فقد كان كما ظنهما منذ اللحظة الاولى ، في حقد وفي ذلك الشيء الآخر . ثم انهما انطلقا مثل «دجاجات الوادي» ، ماشيين بمثل خطى «مالك الحزين» الواسعة ايضاً ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، وبشيء من طيران الكروان ، وملتفتين الى الورا في كراهية ، منتظرين ان يطلقا الكلمة الأخيرة اذا ما كانت المسافة مواتية . من المؤسف انها لم يكونا عشرة ضد واحد ، كذلك فكر الكولونيل .

١ - الموضع المذكور او المتعدد الجنبات عند الطرف الشرقي من كنيسة . (المغرب)

ولقد كان من الجائز عندئذ ان يعمدوا الى القتال . ان عليّ ان لا الوهمها ، ذلك بأن جماعتها قد هزمت في الحرب .

ولكن مسلكتها لم يكن صالحاً البتة بالنسبة الى رجل في رتبتي وسني . والى هذا فلم يكن من الذكاء ان يظننا ان جميع الكولونيات البالغين من العمر خمسين عاماً لا يفهمون لغتها . لا ، ولم يكن من الذكاء ان يظننا ان الجنود القدامى في سلاح المشاة لن يقاتلوا في مثل هذه الساعة من الصباح بهذه النسبة البسيطة ، نسبة اثنين ضد واحد .

اني لأكره أن اقاتل في هذه المدينة التي أحب اهلها . وخليقي بي ان أتقاضي ذلك . ولكن ألم يكن في ميسور هذين الشابين الرديهي الثقافة ان يدركا بأي ضرب من الحيوان كانا يحتكان ؟

ألا يعرفان كيف يتعين على المرء ان يمشي في تلك الطريق ؟ ألا يعلمان فوق ذلك ، أياً من تلك الأمارات الأخرى التي يتكشّف عنها المقاتلون تكشّفاً لا لبس فيه كما تنبئك يدا صياد السمك انه صياد سمك من الأخابيد الناشئة عن الجراح التي يُحدثها الخيط فيها ؟

صحيح انها لم يريا غير ظهري ورجليّ وحذائي . ولكنك قد تعتقد أنها ربما حزرا من الطريقة التي يتعين على المقاتلين ان يصطنعوها في المشي . ومن يدري ، فلعل المقاتلين ما عادوا يصطنعون تلك الطريقة . لا ، لقد حزرا ذلك عندما أتيت لي ان التفت اليها وافكر . إقتلح الرجلين كليهما واشنقها ، فأنا اعتقد أنها فهما . لقد فهما في وضوح بالغ .

وكم تساوي حياة المرء على اية حال ؟ عشرة آلاف دولار اذا كانت قيمة تأمينه مدفوعة كلها في جيشنا ولكن ، يا للجحيم ، اية علاقة لهذا بما انا فيه ؟ اوه ، نعم ، لقد كان ذلك هو الموضوع الذي استغرقت في التفكير فيه قبل ان يبرز الغيران الحقيران . ما اضخم الاموال التي وفرتها على حكومتي ، في زماني حين كان رجال من مثل

بيني مايرز في المدود .

أجل ، كذلك قال ، وكم خسرتها في الـ «شاتو» ، في ذلك العهد ،
بمعدل عشرة جنيهات لكل جندي . حسناً ، ان أحداً لم يفهم ذلك
البتة فهماً حقيقياً باستثنائي أنا ، في ما أحسب ، وليس ثمة ما يدعو
الى إنباهم بذلك الآن . فقائدك العام يدون الأشياء ، في بعض الاحيان ،
بوصفها «ثروات حرب» . وهناك في الجيش يعرفون ان امثال هذه
الأشياء لا بد ان تحدث . انت تؤديها ، وفقاً للأوامر ، وبفاتورة جزاء
ضخمة ، فيعتبرك القوم بطلا .

يا للمسيح ! اني لأكره فاتورة الجزار الضخمة ، كذلك قال في ذات
نفسه . ولكنك تتلقى الأوامر ، وإن عليك أن تضعها موضع التنفيذ .
انها الاخطاء التي لا فائدة من الاضطجاع معها . ولكن ما الحكمة ، بحق
الجحيم ، من الاضطجاع معها بأية حال ؟ ان ذلك لم يعد على احد ،
في أيما يوم ، بفائدة . ولكن في استطاعتها من غير ريب ان تدب الى
كيس من الاكياس احياناً . إن في استطاعتها ان تدب وتبقى
هناك معك .

طب نفساً ، ايها الغلام ! كذلك قال الكولونيل مخاطباً ذاته .
تذكر انك كنت تملك مالاً كثيراً عندما تصديت للقتال في تلك المعركة
ولقد كان من الجائز ان تجرّد من كل شيء لو خسرتها ، انك لم تعد
قادراً البتة على القتال بيديك هاتين ، ولم يبق لديك أي سلاح .
اذن اطرح هذه الكتابة ، ايها الغلام ، او ايها الرجبل ، او
ايها الكولونيل ، او ايها الجنرال المفلس . لقد كدنا ان نصل الى السوق ؛
الآن ، ولقد بلغتها من غير ان تنتبه الى ذلك تقريباً .
ثم اضاف : ان عدم الانتباه تقريباً شيء رديء .

لقد احب السوق . كان جزءٌ كبير منها مكتظاً متشعباً الى عدة شوارع جانبية حاشدة ، وكانت مزدحمة الى درجة من العسير عليك معها ان لا تدفع الناس بالمنكبين ، في غير تعمد . وكلما توقفت لترى ، او تشتري ، او تعجب ، شكّلت «جزيرة مقاومة» ilot de resistance ضدّ تدفق سيل المشتريين الصباحي .

واحب الكولونيل ان يتأمل ضروب المربيات والجن المرحوم عالياً واللقائق الكبيرة . إن الناس في ارض الوطن يحسبون «المورتاديل» مقاومة ، كذلك قال في ذات نفسه .

ثم انه قال للمرأة التي في الكشك : « دعيني أذوق من ذلك اللقائ ، اذا سمحت . شريحة صغيرة ليس غير . »

فقطعت له شريحة رقيقة ، رقيقة كالورق ، في شراسة ومودة . وحين ذاقها الكولونيل وجد فيها نكهة اللحم الحقيقية نصف الداخنة المتبلة بالفلفل الأسود ... نكهة لحم الخنازير التي تغذت بثمار البلوط في الجبال .

- « سوف آخذ ربع كيلو . »

كانت موائد الغداء التي يمدّها البارون تحت سقائف القنص ذات طابع

اسبارطي^١ ، وهو طابع احترامه الكولونيل ، اذ كان يعلم انه ليس ينبغي لأحد ان يُسرف في الطعام أثناء الصيد . ولكنه استشعر ، برغم ذلك ، ان من الخير له ان يعزّز الغداء بهذه اللقائقة ، وأن يتقاسمها مع السواريّ ومتلقّف الطرائد . وقد يقدم شريحة الى « بوبي » ، كلب القنص ، الذي سوف يرتدّ الى مخبأه مبلاً ، مرات عديدة ، مفعماً - ما يزال - بالحماسة ولكنه مرتعدٌ من شدة البرد .

- « اهذا افضل ما عندك من اللقائق ؟ » كذلك سأل المرأة . « اليس لديك ايما صنف غير معروض ... ايما صنف محفوظ للزبائن الافضل والأشدّ ثباتاً ؟ »

- « هذه هي اللقائق الفضلى . ان ثمة ضرباً كثيرة منها ، كما تعلم . ولكن هذه هي الفضلى . »

- « اذن اعطيني ثمن كيلو من لقائق مغذية جداً ولكنها غير مُتسبّلة بكثير من الفلفل . »

فقالت : « عندي من ذلك الصنف . انه حديث العهد بعض الشيء ، ولكنه كما وصفت تماماً . »

وكانت هذه اللقائقة من اجل « بوبي » .

ولكنك لا تعلن انك تشتري اللقائق من اجل كلب ، في ايطالية ، حيث الجريمة العظمى هي ان تُعتبر مخبولاً وحيث يذوق كثير من الناس طعم الجوع . ان في ميسورك ان تقدم لقائقة غالية الى كلب امام زجل يكدح كسباً للقوت ويعرف ما يقاسيه الكلب في الماء حين يكون الجو بارداً . ولكنك لا تشتريها ، وانت تنصّ على عرضك من امتلاكها ، إلا اذا كنت مخبولاً ، او صاحب ملايين ربحها من الحرب أو مما بعدها . ودفع الكولونيل ثمن الرزمة المغلفة ، وواصل سيره في السوق مستنشقا

١ - نسبة الى اسبارطة ، والمراد انها تقسم بسمه البساطة والتقتير . (المعرب)

عقب البنّ المحمص ، ناظراً الى مقدار الدهن الذي على كل ذبيحة من الذبائح في القسم الخاص بالجزارين ، وكأنه يستمتع بآثار الرسامين الهولنديين ، الذين لا يتذكر اسماءهم أحد ، والذين رسموا في تفصيل يتسم بالكمال ، جميع الاشياء التي تصييدها أو جميع الأشياء القابلة للأكل .

ان السوق ، اي سوق ، هي أقرب الاشياء الى متحف جيد كال «برادو» Prado أو كالاكاديمية Accademia الآن ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه .

وسلك طريقاً مختصرة فألقى نفسه في سوق السمك .

وفي السوق كان «جراد البحر» الضخم الرمادي الضارب الى الخضرة ، بلونه الأزرق في الأرجواني المحمر الذي يؤذن بموته في الماء الغالي ... كان «جراد البحر» هذا منشوراً على ارضية الشارع الحجرية الزلقة أو ممدداً في سلاله . لقد اصطيدت كلها بالخدعة والغدر ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، وضربت برائتها حتى الموت .

وكان ثمة «سمك موسى» الصغير ، وكان ثمة ايضاً قليل من سمك «البكورة»^١ و«البينيث»^٢ . وهذا الضرب الاخير ، كذلك فكّر الكولونيل ، يبدو أشبه برصاصات زورقية الأذنان ، وهو جليل في موته ذو عين هائلة كميون السمك الاوقيانوسي .

إنها لم تجعل لكي تصطاد إلا بسبب شَرَّهها . إن سمك موسى المسكين ليوجد في المياه الضحلة لكي يغذي الانسان . ولكن هذه الرصاصات الهائلة على وجهها ، زرافات زرافات ، تحيا في المياه الزرقاء ، وترتحل مجتازة الاوقيانوسات كلها ، والبحار كلها .

إن أفكارك هذه لتستحق مكافأة مقدارها خمسة سنتات ، كذلك

١ - البكورة ، albicore ، سمكة بحرية من فصيلة السقمري . (المغرب)

٢ - البينيث ، benito سمك استوائي من فصيلة التونة . (المغرب)

قال الكولونيل في ذات نفسه . دعنا نرى ما عندهم ايضاً .
كان ثمة كثير من الانكليسي ، الحي ، ، الفاقد ثقته بأنكليسيته . وكان
ثمة براغيث بحر (قريدس) رائعة تستطيع ان تؤلف «سكامي بروشيتو»
Scampi brochetto مشكوكاً ومشوية في أداة شبيهة بسيف مستدق
الطرف ، ذي حدّين ، يمكن ان تُصطنع «معولاً» بروكلينياً لتحطيم
الثلج . وكان ثمة سمك أربيان متوسط الحجم ، رماديّ متلألئ ،
ينتظر دوره ايضاً في الماء الغالي وفي الخلود لكي تتمكن أغلِفَتُها المقشورة
من العوم في سهولة ويسر عند انحسار الماء بعد المدّ في القناة العظمى .
ان سمكة الاربيان السريعة ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ،
«بلامسها» التي تفوق شاربي ذلك الاميرال الياباني العجوز طويلاً ،
لتجيء الى هنا الآن كي تموت لمصلحتنا . اوه ، ايها الاربيان المسيحي ،
كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، يا أمير التراجع ، بدائرة استخباراتك
الكامنة في هذين السوطيّن الخفيفين ، لماذا لم يلقنوك شيئاً عن الأشرار
وأن الاضواء خطيرة ؟

لا ريب في أن هفوة ما قد ارتكبت ، كذلك فكر الكولونيل .
وراح الآن ينظر الى القشريات الصغيرة الكثيرة ، وسمك بطلينوس
ذي الحدّ الشبيه بجد الموسيقى ، والذي يتعين عليك ان لا تأكله إلا نيئاً اذا
كنت ملقحاً ضد التيفويد منذ قريب ، وسائر الأشياء الصغيرة الشبيهة الاخرى .
واجال طرفه في هذا كله ، متوقفاً ليسأل احد الباعة من أين اصطيّد
سمك بطلينوس الذي يعرضه للبيع . فأجابته انه اصطيّد من موطن طبيّب
بعيد عن البواليع والمجارير ، فسأله الكولونيل أن يشقّ له ستاً من تلك
الأسماك . لقد شرب العصير ، واخرج السمكات من أغلِفَتها شاقاً القشور بالمديّة

١ - الملامس ، ومفردها ملمس ، هي الشميرات التي تتلمس بها بعض الحشرات والاسماك
طريقها . (المرب)

المعقوفة التي قدمها الرجل اليه . وكان الرجل قد قدم المدينة اليه لأنه عرف ، بالتجربة ، ان الكولونيل يذهب في شق قشور السمك الى ابعد مما علم هو أن يشقها .

ودفع اليه الكولونيل القروش المدودة التي كانت ثمناً لها ، والتي كانت من غير ريب أكثر بكثير من القروش المدودة التي نالها اولئك الذين اصطادوها . وقال الكولونيل في ذات نفسه : يتعين عليّ الآن ان أرى سمكات النهر والقناة ، وأن انقلب راجعاً الى الفندق .

ووصل الكولونيل الى ردهة فندق « غريتي بالاس » . كان قد دفع الى غناديلبييه أجرهما ، وصرفهما . ولم يكن ثمة الآن ، داخل جدران الفندق ، ربحٌ ما .

كان الاتيان بالفندول من السوق الى القناة العظمى قد احتاج الى جهود رجلين اثنين . وكان كلاهما قد بذلا جهداً شاقاً ، ولقد دفع اليهما ما استحقه ذلك الجهد ، واكثر بعض الشيء .

وسأل البواب الذي كان الآن منصرفاً الى أداء مهامه : « هل اتصل بي أحدٌ بالهاتفون ؟ »

وكان بواب الفندق نشيطاً ، خفيف الحركة ، صارم الوجه ، ذكياً ، لطيفاً - دائماً - في غير ذلّة . وكان يحمل مفاتيح مكتبه المتصالبة على طيّة صدر سترته الرسمية الزرقاء في غير تباهٍ . لقد كان هو البواب . وانها لمرتبة شبيهة جداً بمرتبة الكابتن ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . إنه ضابط ، لا « جنّلمان » . اجعله رقيباً (مرجان) أول في الايام الغابرة . مع فارق واحد ، هو انه يُعنى بالنحاس الأصفر .

- « لقد تلفنت سيدتي مرتين ، » قال بواب الفندق بالانكليزية .
أيا اسم يجب ان نطلقه على تلك اللغة التي تتكلمها كلنا ، كذلك فكّر

الكولونيل . أبتقر لها نعت « الانكليزية » . ذلك كل ما تركوا لنا من حرية ، تقريباً . ويجب ان يجاز لهم الاحتفاظ باسم اللغة . ومن يدري ، فلفل كريس ' ان يقنن ذلك عما قريب .

وقال لبواب الفندق : « ارجوك ان تصلني بها في الحال . »

وشرع البواب يدير قرص التلفون .

وقال : « في استطاعتك ان تتكلم من هناك . لقد امّنت لك

الاتصال بها . »

- « إنك لسريع . »

- « من هناك ، » كذلك قال بواب الفندق .

وفي داخل الكشك ، رفع الكولونيل الساعة ، وقال على نحو

اوتوماتيكي : « الكولونيل كانتويل يتكلم . »

فقالت الفتاة : « لقد تلفنت مرتين ، يا ريتشارد ، ولكنهم اوضحوا

لي أنك غادرت الفندق . اين كنت ؟ »

- « في السوق . كيف أنت يا حلوتي ؟ »

- « لا أحد يسمع على هذا التلفون في هذه الساعة . أنا حلوتك . أياً

من كانت هذه . »

- « انت . هل نمت نوماً عميقاً ؟ »

- « كان ذلك اشبه بالتزلج في الظلام . ليس تزلجاً حقيقياً ، ولكنه

ظلام حقيقي . »

- « هكذا يجب ان يكون . لماذا افقت باكراً الى هذا الحد ؟ لقد

روعت بواب فندقي . »

١ - يقصد السير ستافورد كريس الوزير البريطاني ١٨٨٩ - ١٩٥٢ (المغرب)

- « احب ان اسألك ، اذا كان سؤالى هذا ليس من النوع الذي لا يليق بعذراء ، متى نستطيع ان نلتقي ، وأين ؟ »

- « حيث تشائين ومتى نشاء . »

- « ألا تزال احجار الزمرد في جيبك ، وهل اسففتك « الآنسة اللوحة » بشيء ما ؟ »

- « نعم في ما يتصل بالسؤالين معاً ، فالاحجار مزروءٌ عليها في جيبى الأيسر الأعلى . ولقد تجاذبت اطراف الحديث مع « الآنسة اللوحة » في ساعة مبكرة من الصباح ، ولقد جعلت كل شيء أهونَ عليّ وأيسر بكثير . »

- « هل تحبها اكثر منى ؟ »

- « لم أصبح امرءاً شاذاً بعد . ربما كان هذا تفاعراً . ولكنها حلوة . »

- « هل تؤثرين أن نتناول طعام الصباح في الـ « فلوريان » على الجانب الأيمن من الساحة ؟ لا ريب في ان الساحة سوف تكون مغمورة بالماء ، وسوف يكون النظر اليها شيئاً ممتعاً . »

- « سأكون هناك في مدى عشرين دقيقة اذا اردتني ان اذهب . »

- « انا اريدك ان قذهي ، » كذلك قال الكولونيل ، وأقفل الخط .

واذ غادر كشك التلفون استشعر اعتلاً صحياناً مفاجئاً ، ثم أحس وكأن الشيطان قد احتجزه في قفص حديدي ، مصنوع على شكل رثة حديدية او عذراء حديدية . ومشى ، رمادي الوجه ، الى منضدة البواب وقال ، بالإيطالية : « دومينيكو ، ايلو ، هل تستطيع ان تأتيني بكأس ماء من فضلك ؟ »

فضى البواب ليأتيه بالكأس ، وانحنى هو على الطاولة التماساً للراحة . لقد استراح في لا مبالة ، ومن غير قوم . ثم ان البواب رجع حاملاً

كأس الماء ، فتناول الكولونيل اربعة اقراص من ذلك النوع الذي يأخذ الناس منه قرصين اثنين ، وواصل استراحته بمثل لامبالاة الصقر حين يستريح .

وقال : «دومينيكو» .

-- « نعم . »

- « ان لديّ ههنا شيئاً في ظرف تستطيع ان تضعه في الصندوق الحديدي . وفي امكانك ان تسلمه اليّ اذا طلبتهُ بشخصي ، او من طريق الكتابة ، او الى الشخص الذي وصّلتني به تلفونياً منذ لحظات . هل تريد أن يُشفع ذلك بطلب خطي أيضاً ؟ »

- « لا . هذا غير ضروري . »

- « وانت ايها الغلام ؟ انت حيّ لا يموت ، أليس كذلك ؟ »

فقال له البواب : « هذا صحيح الى حد بعيد . ولكنني سوف أنصّب على رغبتك كتابياً ، ومن بعدي يجيء المدير ، والمدير المساعد . »
فأقره الكولونيل على ذلك قائلاً : « كلاهما رجل طيب . »

- « الا تريد ان تجلس يا زعمي ؟ »

- « لا ، ومن الذي يجلس غير الرجال والنساء في فنادق سن اليأس ؟ هل تجلس أنت ؟ »

- « لا . »

- « في ميسوري ان استريح على قدمي ، أو وأنا مستندٌ الى شجرة لعينة . إن مواطنيّ يجلسون ، او يضطجعون ، او يسقطون على الارض . أعطهم شيئاً من بسكويت الطاقة لوضع حد لنشيجهم . »

كان يسرف في الكلام ليستعيد ثقته بنفسه في سرعة .

- « وهل لديهم بسكويت طاقةٍ فعلاً ؟ »

- « من غير ريب . إن له لميزة تحول بينك وبين الغضب والاهتياج . »

انه أشبه بالقنبلة الذرية ، إلا انه يفجر على نحو ارتجاعي .
- « اتالا تستطيع ان اصدق هذا . »

- « ان لدينا أقطع الأسرار العسكرية التي أفضت بها في اياما يوم من الأيام زوجة جنرال الى زوجة جنرال . ومفرقات الطاقة هي أقلها شأنًا . وفي المرة القادمة سوف 'نمطر ' البندقية ، كلها بالتسمم اللقائقي من ارتفاع مقداره ٥٦،٠٠٠ قدم . وليس في هذا أية غرابة ، ، كذلك أوضح الكولونيل . « إنهم يعطونك داء الجمره الحبيثة وأنت تعطيمهم التسمم اللقائقي . »

- « ولكن هذا سوف يكون رهيباً . . »

فقال له الكولونيل مؤكداً : « إنه سوف يكون أسوأ من ذلك . هذا ليس بسرّ يُخشى ان يتناهى الى العدو . فقد نشر ذلك كله على الملأ . وفيما هو آخذٌ سبيله ، تستطيع ان تسمع مارغاريت ، اذا احسنت ادارة إبرة الراديو ، تتغنى بأغنية « علم الولايات المتحدة الاميركية الوطني » . واحسب أن في الامكان تسوية ذلك . أما الصوت فلست اميل الى القول إنه عظيم . ليس كما نعرف الاصوات ، نحن الذين سمعنا الاصوات الرخيمة في أيامنا . ولكن كل شيء زائف الآن ، وفي استطاعة الراديو ان يصنع الصوت ، تقريباً . و « علم الولايات المتحدة الاميركية الوطنية » معصوم حتى من جهالة الجلاء . »

- « هل تظن انهم يطروننا بشيء هنا ؟ »

- « لا ، إنهم لم يفعلوا ذلك في اياما يوم مضى . »

فقال الكولونيل (الذي عاد الآن جنرالاً اذا اربعة نجوم ، بسبب من نيظه وألمه المبرح وحاجته الى الثقة بالنفس ، ولكنه كان مطمئناً مؤقتاً من طريق امتصاص الاقراص) : « الى اللقاء Ciao يا دومينيكو . »

وغادر فندق غريتي .

وتصور أنه في حاجة الى اثنتي عشرة دقيقة ونصف دقيقة لبلوغ
الموطن الذي ربما بلغته حبيبته الحقيقية متأخرةً بمض الشيء . وانشأ
يطوي المسافة في احتراس ، وبالسرية التي يتعين عليه اصطناعها في المشيء .
كانت الجسور كلها كمهدا من قبل .

واستوت حبيبتة الحقيقية الى المائدة في الميقات الذي قالت انها سوف
 فصل فيه الى موطن اللقاء . كانت فاتنة كشأها دائماً في ضياء الصباح
 القارس المتدفق عبر الساحة الغاصة بالناس ، وقالت : « ارجوك ، يا
 ريتشارد ؟ هل انت بخير ؟ ارجوك ؟ »

فقال الكولونيل : « من غير ريب ايتها الفتنة الرائعة . »

- « هل ذهبت الى جميع مواطننا في السوق ؟ »

- « الى قليل منها ليس غير . أنا لم اذهب الى حيث يبيعون

البط البري . »

- « شكراً لك . »

فقال الكولونيل : « على لا شيء . انا لا اذهب الى هناك البتة

حين لا نكون معاً . »

- « الا تعتقد ان علي ان امضي معك للصيد ؟ »

- « لا . انا على مثل اليقين من ذلك . ولو قد كان آلفاريتو يريدك

ان تكوني معنا لدعاك لمرافقتنا . »

- « لعله لم يدعني لأنه يريدني أن اكون معكم . »

- « هذا صحيح . كذلك قال الكولونيل ، وتفكر في ذلك

طوال ثانيتين . همّ ترغيبين أن يتألف فطورنا هذا الصباح ؟
- « الفطور تافهٌ هنا ، وأنا لا أحب الساحة حين تكون مغمورة
بالماء . إنها كنيية والحمام لا تجد موطيء قدم تحطّ فيه . وهي لا
تكون مائعة إلا حوالي النهاية حين يسرح الاطفال ويلعبون . ما رأيك
في الذهاب وتناول الفطور في الغريتي ؟ »
- « اراغبة انت في ذلك ؟ »

- « نعم . »
- « حسن . سوف نتناول الفطور هناك . لقد تناولت أنا فطوري
قبلك . »

- « فعلاً ؟ »
- « سوف آخذ بعض القهوة والارغفة الساخنة ، وسوف ألسها
بأصابعي ليس غير . هل أنت جائعة الى حد رهيب ؟ »
فقالت صادقةً : « الى حد رهيب . »

فقال الكولونيل : « سوف نعني بفطور الصباح عناية كاملة . وسوف
تتمنين لو أنك لم تسمعي بفطور الصباح البتة . »
وفيا هما يمشان ، والريح من ورائهما ، وشعرها يخفق خيراً مما تخفق
اية راية ، سألته وهي تضغط على يده في إحكام : « الا تزال تحبني في
ضياء «البندقية» الصباحي البارد القاسي ؟ الجو بارد وقاسٍ فعلاً ، أليس
كذلك ؟ »

- « انا احبك ، والحب باردٌ وقاسٍ . »
- « لقد احببتك طوال الليل حين كنت اترلج في الظلام . »
- « كيف تفعلين ذلك ؟ »
- « إنها الجولات نفسها مع فارق واحد هو ان الدنيا مظلمة وان
الثلج داكن بدلاً من أن يكون مشرقاً . والماء يتزلج في هذه الحال
كشأنه في العادة ؛ رابطاً الحائش بارعاً . »

« هل تزجتِ طوال الليل؟ لا بد ان يكون ذلك قد اشتمل على جولات كثيرة . »

« لا . وبعد ذلك نمت نوماً عميقاً ، وأفقت سعيدة . كنت انت معي ، وكنت مستغرقاً في النوم مثل طفل . »

« أنا لم اكن معك ، ولم اكن مستغرقاً في النوم . »

فقالت وهي تضغط على يده في قوة : « انت معي الآن . »
« ونكاد ان نكون هناك . »

« نعم . »

« هل قلتُ لكِ ، على النحو الصحيح ، إنني احبك ؟ »

« لقد قلتَ ذلك لي . ولكن قلنه لي كرة اخرى . »

فقال : « أنا احبكِ . خذها صريحةً ورسمية ، ارجوكِ . »

« اني لأخذها على اية صورة تشاء ما دامت صادقة . »

فقال : « هذا هو الموقف الصحيح . أيتها الفتاة الحلوة الشجاعة الطيبة . اديري شعرك على نحو جانبيّ مرة واحدة عند اعلى هذا الجسر ودعيه يتهدى مع الريح منحرفاً . »

وكان قد تساهل فقال obliquely بدلاً من ان يقول ، وهو الصواب ، oblique . »

وقالت : « هذا هينّ ميسور . هل تحبّه ؟ »

ونظر فرأى صورتها الجانبية ، ولونها الصباحي العجيب ، وصدرها ناهداً ، في الكنتزة السوداء ، وعينيها في الريح ، وقال : « اجل ، أنا أحبه . »

فقالت : « إنني لسعيدة جداً . »

وفي « الغريتي » أجلسها المايسترو الأعظم الى المائدة القائمة في محاذاة النافذة التي تطل على القناة العظمى . ولم يكن ثمة أيما شخص آخر في حجرة الطعام .

كان المايسترو الأعظم مبتهجا ونشيطا مع الصباح . لقد تقبل قرحتَه المِعِدِيَّة يوماً بعد يوم ، وتقبَّلَ قلبه العليل بالطريقة نفسها . فحين كانت قرحتَه وقلبه رائقَيْن كان هو رائقاً أيضاً .

وأسرَّ الى الكولونيل : « إن مواطنك المجدد يأكل في الفراش في فندقه ؛ هكذا اخبرني زميلي . قد نستقبل بعض البلجيكين عما قريب . » وكان أشجع هؤلاء هم البلجيكين « كذلك استشهد بالقول المأثور . » إن ثمة اثنين من المتهالكين على الربح المحرّم وَقَدَا من مكان لا يعلمه أحد . ولكنها مرهقان أعظم ارهاق ، وأحسب انها سوف يأكلان ، كالتنازير ، في حجرتها .

فقال الكولونيل : « تقرير ممتاز عن الوضع . مشكلتنا ، ايها المايسترو الأعظم ، هي انني اكلت في حجرتي كما يفعل الرجل المجدد وكما سوف يفعل المتهالكون على المال الحرام . ولكن هذه السيدة . »

- « الفتاة الصغيرة ، » كذلك قاطعه المايسترو الاعظم بإبتسامته المريضة المألثة وجهه . كان يستشعر بهجة غامرة بسبب من استقبله

نهاراً جديداً بالكلية .

« هذه السيدة البالغة الصغر تريد فطور صباح لإنهاء فطورات

الصباح . ١ »

فقال المايسترو الأعظم : « فهمتُ ، » ونظر الى ريناتا ، وتدحرج

قلبه في صدره كما يفيل « سمك يونس » في البحر . وانها لحركة جميلة ،

وان قلة من الناس في هذا العالم فحسب ، يستطيعون ان يستشعروها

وان يقوموا بها .

« ماذا تريدن ان تأكلي يا بُنيّتي ؟ » كذلك سأها الكولونيل ،

وهو يرنو الى جمالها الصباحي المبكر ، الاسمر ، غير المرَوّتش .

« كل شيء . »

« هل لك ان تعطيني بعض المقترحات ؟ »

« الشاي بدلاً من القهوة ، وإيما شيء يستطيع المايسترو الأعظم ان

ينقذه من الغرق . »

فقال المايسترو الأعظم : « لن يكون ذلك انقاذاً من الغرق ، يا

بُنيّتي . »

« انا الذي ادعوها بُنيّتي . »

فقال المايسترو الأعظم : « لقد قلت ذلك في اخلاص . ان في استطاعتنا

ان نُعد بعض الكئلي المشوية مع نبات فطر اقتلعه أُناس أعرفهم . أو

زُررع في أقبية رطبة . وفي الامكان إعداد شيء من « الأومليت » مع

كُمأة نبشتها خنازير من الطراز العالي . ومن الميسور تحضير شيء من لحم

الخنزير المملح الكندي ، بل الوارد من كندا نفسها عند الاقتضاء . »

فقال الفتاة مبتهجة لم تفارق غشاوة الوهم عينها : « او من إيما مكان

آخر . »

١ - على غرار قولهم : الحرب لانها الحرب ..

فقال الكولونيل في جدّ: « او من أيما مكان آخر . وأنا أعلم احسن العلم اين هو . »

- « أعتقد ان علينا أن نكف عن المزاح الآن ونشرع في إعداد الفطور . »

- « وانا اعتقد ذلك ايضاً ، ان لم يكن مثل هذا الاعتقاد غير لائق بفتاة عذراء . »

- « اما فطوري أنا فسيكون زجاجة من الفالبوليشيلا المروّقة . »
- « ولا شيء آخر ؟ »

فقال الكولونيل : « إيتني بجرّاية من لحم الخنزير الكندي المزعوم . »
ونظر الى الفتاة ، اذ كانا وحدهما الآن وقال لها : « كيف حالك ، يا أعز الناس ؟ »

- « جائعة جداً ، في ما أحسب . ولكنني أشكرك لأخذك بأسباب الدمائه طوال هذه الفترة المديدة كلها . »

فقال لها الكولونيل بالاطالية : « لقد كان ذلك سهلاً . »

لقد جلسا هناك الى المائدة ، وراقبا الضياء الصباحي العاصف المتألق فوق صفحة القناة ، كان اللون الرمادي قد استحال الآن الى رمادي اصفر ، مع الشمس ، وكانت الامواج تقاوم المد المنحسر .

وقالت الفتاة : « ماما تقول إنها لا تستطيع ان تحيا هنا طويلا في أيما وقت ، لأنه ليس ثمة أشجار . وهذا هو السبب الذي يجعلها تذهب الى الريف . »

- « هذا هو السبب الذي يجعل كل امرئ يذهب الى الريف . »
كذلك قال الكولونيل : « في استطاعتنا ان نزرع بضع شجرات اذا وجدنا بيتا ذا حديقة واسعة بعض الشيء . »

- « انا أحب حور لومبارديا وسحر الدلب اكثر ما يكون ، ولكني لا أزال غير مثقفة بكل ما في التعبير من معنى . »

- « أنا احبها وأحب شجر السرو وشجر الشهبوط ايضا . الشهبوط الحقيقي والشهبوط الهندي . ولكنك لن تَرَيَ الاشجار أبداً ، يا بُنيّتي ، حتى نذهب الى اميركا . انتظري حتى تَرَيَ صنوبرة بيضاء أو صنوبرة بونديروزا ponderosa »

- « هل سنراها عندما نقوم بالرحلة الطويلة ، ونقف عند جميع محطات

البنزين أو محطات الاستراحة أو أيما اسم آخر يطلقونه عليها؟
فقال الكولونيل : « الأكواخ ومعسكرات السياح . وسوف نقف
عندهذه الاخرى ، ولكننا لن نبيت فيها . »

- « لشد ما اتمنى أن نتقدم بسيارتنا الى محطة استراحة ، وأن أدفع
التفقات من مالي ، واسألم ان يملأوا خزان السيارة بالبنزين ، وان
يتحروا الزيت ، على الطريقة التي نراها في الكتب الاميركية ، أو في
الأفلام . »

- « هذه محطة بنزين . »

- « واذن فما محطة الاستراحة ؟ »

- « حيث يذهب المرء ، كما تعلمين ... »

- « أوه ، » كذلك قالت الفتاة وتصرّج وجهها . « أنا آسفة . لشدّ
ما اريد أن اتعلم اللغة الاميركية ، ولكنني احسب اني سوف اقول اشياء
بربرية كما تفعل انت ، احياناً ، في الايطالية . »

- « انها لغة هينة . وكلما امضتِ في الاتجاه غرباً أصبحت أسهل
واكثر استقامة . »

وجاء المايسترو الأعظم بالفطور فبلغتها رائحته - برغم انها لم تفسح
في الحجرة بسبب من الاغطية الفضية على الاطباق - في اطراد وبوصفها
رائحة لحم خنزير وكلّ مشوية ، مع الرائحة القاتمة المكتمدة المنبعثة
من نبات الفطر المشويّ المضاف .

وقالت الفتاة : « انه يبدو رائعاً . شكراً جزيلاً ، أها المايسترو
الأعظم . هل يتعين عليّ ان اتكلم باللسان الاميركي ؟ » كذلك سألت
الكولونيل . وبسطت يدها الى المايسترو الأعظم في خفة وسرعة ، بحيث

اندفعت اندفاع المُقَفَّر^١ ، وقالت : « ضعها هناك ، ايها الصديق .
هذا الطعام grub ممتاز . »

فقال المايسترو الاعظم : « اشكرك ، يا سيدتي . »
- « هل كان يتعين عليّ ان أقول chow بدلاً من grub ؟^٢ » ، كذلك سألت
الفتاة الكولونيل .

- « إنها في الواقع متماوضتان^٣ . »
- « هل كانوا يتكلمون هكذا ، هناك في الغرب ، عندما كنت
صبياً ؟ ما الذي كنتم تقولونه عند فطور الصباح ؟ »

- « كان الطاهي يسكب الطعام او يقدمه الينا . وكان يقول : تعالوا
كلّوهُ ، يا ابناء العاهرات ، وإلا ألقيته في صندوق القمامة . »

- « يجب ان اتعلم هذا لترديده في الريف . ففي بعض الاحيان
حين يكون السفير البريطاني وزوجته البليدة يتناولان طعام العشاء على
مائدتنا سوف اعلم النادل ، الذي سيعلم ان الطعام اصبح جاهزاً ، ان
يقول : تعالوا كلوه ، يا ابناء العاهرات ، وإلا ألقيته في صندوق
القمامة . »

« خليق به عندئذ ان يُنقص من القيمة . وعلى اية حال ، فسوف
تكون تجربة مائعة . »

- « علمني شيئاً تستطيع ان أقوله ، باللسان الاميركي الخالص ،
لنرجل المجدور اذا ما اقبل . اني سوف اهمس ذلك في اذنه وكأننا
نتواعد على لقاء ، كما كانوا يفعلون في الأيام الخالية . »

١ - المقفر ، سيف الطعن أو « الشيش » .

٢ - grub و chow لفظتان عاميتان بمعنى « طعام » . (المرعب)

٣ - اي تحمل احدهما محل الاخرى وتكون عوضاً عنها .

- « يتوقف ذلك على سبب وجهه . فإذا كان شديد الاكتئاب استطعت ان تهمني في اذنه قائلة : اسم يا ماك ، لقد اجرت نفسك للظهور بمظهر الرجل الصلب القاسي ، اليس كذلك ؟ »

- « هذا رائع ، » كذلك قالت ، وكررت بصوت كانت قد تعلمته من إيذا لويينو Ida Lupino . « هل تستطيع ان اقوله للمايسترو الاعظم ؟ »

- « طبعاً . لم لا . أيها المايسترو الاعظم ! »

واقبل المايسترو الاعظم وانحنى الى امام في انتباه بالغ .

فقال له الفتاة ، في نبرة جافة : « اسمع ، يا ماك . لقد اجرت نفسك للظهور بمظهر الرجل القاسي ، أليس كذلك ؟ »

فقال المايسترو الاعظم : « لقد فعلتُ ، من غير ريب . أشكرك لأنك عبرت عن ذلك بمثل هذه الدقة كلها . »

- « اذا أقبل ذلك الرجل ، وأردت أن تتحدثي اليه بعد ان يكون قد تناول طعامه فليس عليك إلا ان تهمني في اذنه : امسح البيض عن ذقنك ، يا جاك ، وتصدّرْ وطرْ في الحال . »

- « سوف اتذكر هذا واترن عليه في البيت . »

- « ما الذي سنفعله بعد الفطور ؟ »

- « هل نصعد الى الدور العلوي ونلقي نظرة على اللوحة ونرى ما اذا كان لها اية قيمة - أعني اية فائدة - في ضوء النهار ؟ »

فقال الكولونيل : « نعم » .

وفي الدور الاعلى كانت الحجره قد 'رقت' . فسُرَّ الكولونيل ، اذ كان قد توقع أن يجد الفوضى وعدم الترتيب يسودان المكان .

وقال : قفي بجانبها في الحال . « ثم تذكر ان يضيف : «ارجوك .» ووقفت بجانب اللوحه الزيتية ، ونظر اليها من حيث كان قد نظر اليها الليله البارحة .

وقال : « ليس ثمة مجال للمقارنة ، طبعاً . أنا لا اعني الشبه . الشبه ممتاز . »

- « هل كان من المفروض ان يكون ثمة مجال للمقارنة ؟ » كذلك سألته الفتاة ، وأمالت رأسها الى الوراء ووقفت هناك مع كنزة «اللوحة» السوداء .

- « طبعاً لا . ولكني الليله البارحة ، ومع ارتفاع الضحى من هذ اليوم ، تحدثت الى اللوحه وكأنها أنت . »
- « كان ذلك لطفاً منك ، وهو يُظهر ان اللوحه قد كان لها بعض النفع . »

كانا مضطجعين الآن على السرير ، وقالت الفتاة له : « ألا تغلق النوافذ ابدأ ؟ »

- « لا . هل تغلقينها انت ؟ »
- « حين يهطل المطر فقط . »

- « الى اي حد يشبه أحدنا الآخر؟ »
- « لست ادري . ان الايام لم تتح لنا قط اي فرصة لاكتشاف ذلك . »

- « الايام لم تتح لنا قط فرصة متكافئة . ولكنها أتاحت لي انا فرصة كافية لمعرفة ذلك . »

ثم تسأل الكولونيل : « وحين تعرف ، ما الذي تفوز به بحق الجحيم؟ »
- « لست أدري . شيء افضل مما هو كائن ، في ما احسب . »

- « من غير ريب . ان علينا ان نسمى في سبيل ذلك . انا لا اؤمن بالأهداف المحدودة . ولكنك مضطر الى ذلك ، في بعض الأحيان . »
- « ما هو أساك الاكبر؟ »

فقال : « أوامر الآخرين . وما أساك أنت؟ »
- « أنت . »

- « لست اريد ان اكون أسي . لقد كنت ابن عاهرة بائساً في كثير من الأحيان ، ولكني لم اكن في أيام يوم من الايام مصدر أسي لأحد . »

- « حسناً ، انت الآن اساي . »

فقال : « حسن ؛ سوف نتقبل المسألة على هذا النحو . »

- « جميلٌ منك ان تتقبلها على هذا النحو . انت لطيف جداً هذا الصباح . انا خجلة جداً من هذا الوضع . ارجوك ان تضمني اليك ضمناً محكماً وان لا نتحدث ، أو نفكر ، كيف كان يمكن لهذا الوضع أن يكون غير ما هو عليه . »

- « هذا واحد من الاشياء القليلة التي اعرف كيف اقوم بها يا بنيتي . »

- « انت تعرف اشياء كثيرة ، كثيرة جداً . لا تقل شيئاً كهذا . »

فقال الكولونيل : « من غير ريب . انا اعرف كيف أقاتل مهاجماً

وكيف اقاتل منكفئاً وأي شيء آخر؟ ،

- « ولك علم بالصُّور ، وبالكُتب ، وبالحياء . »

- « هذا هين . ليس عليك إلا ان تنظري الى الصُّور في غير ما

هوى ، وان تقرأي الكُتب بأقصى الانفتاح الذي يستطيعه عقلك ،
وان تعيش الحياة . »

- « لا تنزع سترك العسكرية ، ارجوك . »

- « حسن . »

- « انت تفعل ايما شيء حين اقول ارجوك . »

- « لقد فعلت اشياء بدونها . »

- « ليس في كثير من الاحيان . »

- « صحيح ، كذلك اقرها الكولونيل على ما ذهبت اليه . ارجوك

لفظة حلوة . »

- « ارجوك ، ارجوك ، ارجوك . »

- « Per piacere ' . انها تعني : من أجل المتعة . لشد ما أتمنى لو

نتكلم الايطالية دائماً . »

- « في استطاعتنا ان نفعل ذلك في الظلام . على الرغم من ان ثمة

أشياء يحلو قولها بالانكليزية اكثر . ، وهنا استشهدت بهذه الاقوال :

« انا احبك حبِّي الاخير الصادق الأوحد . عندما نور البنفسج آخر الأمر

في الفناء المحيط بالباب . وخارج المهد المترنح ترنحاً لا يعرف نهاية .

وتعالوا كلوه ، يا ابناء العاهرات ، وإلا ألقيته في صندوق القمامة .

انت لا تريد أن تسمع هذه الاقوال في لغات اخرى ، اليس كذلك

يا ريتشارد ؟ »

- « لا . »

١ تعبير ايطالي يؤدي معنى « ارجوك » ، أو « اذا راق لك ذلك » (المعرب)

- « قبّلني مرة اخرى ، ارجوك . »

- « هذه الـ « ارجوك » غير ضرورية ، »

- « اغلب الظن اني سوف انتهي ، انا نفسي ، الى ان اكون مثل « ارجوك » غير ضرورية . والشيء الحسن في اقتراب أجلك هو أنك لا تستطيع ان تفارقي . »

فقال الكولونيل : « هذه لاذعة بعض الشيء . إفرضي مراقبة يسيرة على فك الجميل لكي لا ينطق بمثل هذا الكلام . »

فقالت : « إني لآخذ بأسباب اللذع حين أجدك لاذعاً . انت لا تريدني أن اكون غير ذلك بالكلية ؟ »

- « أنا لا أريدك ان تكوني غير ما انتِ البتة ، وإني لأحبك حباً صادقاً ، ونهايتياً ، الى الأبد . »

- « انت تقول اشياء ظريفة في وضوح بالغ احياناً . ما الذي حدث بينك وبين زوجتك ، اذا جاز لي أن اسأل ؟ »

- « كانت امرأة طموحاً جداً ، وكنت أقيم خارج البيت اكثر مما ينبغي . »

- « تعني أنها غادرته بسائق من الطموح ، يوم وجدتك انت تغادره بسائق من الواجب ليس غير ؟ »

- « بلا ريب ، » كذلك قال الكولونيل ، وحاول ان يتذكر في غير مرارة ، ما استطاع الى ذلك سبيلاً . « كانت تتمتع بطموح اعظم من طموح نابوليون ، وبموهبة تقارب موهبة فتاة متفوقة في مدرسة ثانوية . »

فقالت الفتاة : « أياً ما كان معنى ذلك . ولكن دعنا لا نتكلم عنها . انا آسفة لطرحي هذا السؤال . لاريب في أنها محزونة لاضطرارها

الى ان لا تكون معك . »

- « لا . كانت من العُجُوب بحيث لا تعرف الحزن ابداً ، ولقد تزوجت مني لكي تصبح لها قدم راسخة في دوائر الجيش ، ولكي تقوم باتصالات افضل في سبيل ما اعتبرته حرفتها أو فنّها . لقد كانت صحافية . »

فقال الفتاة : « ولكن الصحافيين يخيفون . »

- « هذا صحيح . »

- « ولكن كيف جاز لك ان تزوج امرأة صحافية تصرّ على الاحتفاظ بصفتها هذه بعد الزواج ؟ »

فقال الكولونيل : « لقد قلت لك اني ارتكبت في حياتي بعض الأخطاء . »

- « دعنا نتحدث عن شيء سائغ . »

- « حسن . »

- « ولكن ذلك كان رهيباً . كيف تأتسى لك أن تُقدم على شيء مثل هذا ؟ »

- « لست ادري . في استطاعتي أن أسهب لك في شرح ذلك ، ولكن دعينا نظرح هذا الموضوع »

- « اطرحه من فضلك . ولكنني لم اكن لأنوم من قبل قط أنه كان شيئاً رهيباً الى هذا الحد . انك لن تقدم على شيء مثل هذا الآن ، أليس كذلك ؟ »

- « أنا أعدك ، يا حبيبي . »

- « ولكنك لن تكتب اليها ابد الدهر ؟ »

- « لا ، من غير ريب . »

« ولن تحدثها عن حبنا لكي يكون في ميسورها ان تكتب عنه ؟ »
- « لا . لقد حدثتها ذات مرة عن اشياء ، فكتبت عنها . ولكن ذلك كان في بلاد اخرى . والى هذا ، فالبغي قد ماتت . »

« وهل ماتت فعلاً ؟ »

« إنها أشد موتاً من فوبوس الفينيقي . ولكنها لم تعرف ذلك حتى الآن . »

« ما تفعل لو كنا معاً في ساحة كاتدرائية القديس مرقس ووقع بصرك عليها ؟ »

« انظر اليها في وجهها لكي أريها كم هي ميتة ! »

فقالت الفتاة : « اشكرك شكراً جزيلاً . انت تعلم ان المرأة الاخرى ، او المرأة القابعة في الذاكرة شيء رهيب ليس من اليسير على فتاة صغيرة أن تطيقه ، وهي بعد من غير خبرة ولا تجرية . »

فقال لها الكولونيل ، وكان في عينيه خبث وكان يتذكر : « ليس ثمة اية امرأة اخرى . لا ، وليس ثمة امرأة قابعة في الذاكرة . »

فقالت الفتاة : « اشكرك اعظم الشكر . حين انظر اليك أترزع الى الاعتقاد بأنك تقول صدقاً . ولكن أرجوك ان لا تنتظر اليّ هكذا ابداً ، وان لا تفكر بي هكذا ابداً . »

فسألها الكولونيل في توقّع : « هل يتعين علينا ان نطاردها وان نشنقها على شجرة عالية ؟ »

« لا . دعنا ننساها . »

- « لقد 'نسيت' . » كذلك قال الكولونيل . ومن عجب انها نسيّت 'فعلاً' ، وانما كان ذلك عجبياً لأنها كانت حاضرة في الحجرة برهة قصيرة ، وكانت قد ارشكت أن 'تحدث ذعراً' ؛ وهو شيء من اغرب الاشياء على

الاطلاق ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه .

ولكنها كانت قد ولت الآن ، نهائياً والى الأبد ، موسومة^١ متعوذاً منها بضروب العزائم ، مزودة بالاحدى عشرة نسخة من اوراق اعادة تصنيفها ، وفي جلتها وثيقة الطلاق الأصلية المصدقة من الكاتب العدل بنسخها الثلاث .

وقال الكولونيل : « لقد نسيت . » وكان ذلك صحيحاً مئة بالمئة .

وقالت الفتاة : « أنا مسرورة بذلك جداً . لست ادري ما الذي يدعوم الى السماح لها بدخول الفندق . »

فقال الكولونيل : « نحن متاثلان الى حد كافٍ . ومن الخير لك ان لا تحمل ذلك الى ابعد مما ينبغي . »

- « في استطاعتنا ان نشنقها اذا شئتَ لأنها هي المسؤولة عن عدم تمكثنا من الزواج . »

فقال لها الكولونيل : « لقد نسيت . لعلها ان تلقي على ذاتها نظرة طويلة في المرأة ، ذات يوم ، وتشتق نفسها . »

- « ما دامت قد غادرت الحجرة فیتعين علينا أن لا نرجو لها حظاً ناعساً . ولكنني كفتاة فينيسية صالحة ، أتمنى لو أنها كانت ميتة . »

فقال الكولونيل : « وكذلك أنا . والآن ، وما دامت غير ميتة ،

١ - من الرسم ، وهو الكي .

فلتَنسَها الى الأبد . »

فقال الفتاة : « الى الأبد ودائماً . أنا أرجو أن تكون هذه

هي الصيغة الصحيحة . وفي الاسبانية para sempre . »

فقال الكولونيل : « para sempre وأخوه . »

كانا الآن مستلقين معاً ، ولم يتكلما ، وشعر الكولونيل بفؤادها يخفق . إنه لمن اليسير عليك أن تشعر بالفؤاد يخفق تحت كنزة سوداء حببها امرؤ ما من افراد الاسرة ، وكان شعرها الداكن الطويل الثقيل يتدل على ذراعه السليمة . إنه ليس ثقيلًا ، كذلك قال في ذات نفسه ؛ إنه اخف من ايامشيء آخر . كانت مضطجعة في سكون ومحبة ، وكان كل ما يملكه في تواصل كامل . لقد طبع على ثغرها قبلة رفيقة ونهمة ؛ وفجأة ، وبعد أن أمسى التواصل كاملاً ، حدث ما يشبه ذلك الاضطراب الذي يصيب جهاز الراديو المستقبل بحكم الظواهر الجوية الكهربائية .

وقالت : « ريتشارد ، أنا آسفة لبعض الأشياء . »

فقال الكولونيل : « لا تأسفي ابدأ . لا تناقشي عدد الاصابات

ابداً ، يا بنيّتي . »

« قلها كرة اخرى . »

« يا بنيّتي . »

« هل لك ان تقول لي اشياء سعيدة اتروّد بها طوال الاسبوع ،

وتروي عليّ مزيداً من انباء الحرب اوسّع به ثقافتي ؟ »

« فلندع الحرب وشأنها . »

- « لا . أنا في حاجة اليها من اجل ثقافتى . »

فقال الكولونيل : « وأنا في حاجة اليها ايضا . لا الى المناورات . أنت تعلمين أن احد الجزائرات استطاع يوماً في جيشنا ، ان يضع يده - من طريق الغش والاحتيال - على خطة المناورة . لقد عرف ، مسبقاً ، بكل حركة من حركات العدو ، فتصرف في براعة بالغة حملت الدولة على ترقبته الى مرتبة تخطى بها رجالاً كثيرين كانوا خيراً منه . وهذا هو السبب الذي جعلنا نغنى بهزيمة قاصمة ، ذات مرة . هذا وتفتشى اجازات نهاية الاسبوع . »

- « نحن الآن في إجازة نهاية الاسبوع . »

فقال الكولونيل : « ادري . انا لا أزال قادراً على العدة حتى رقم سبعة . »

- « ولكن هل ثمة ما يثير في نفسك المرارة ؟ »

- « لا . كل ما هنالك انى بلغت من العمر نصف قرن وانى اعرف الأشياء . »

- « زدني من الحديث عن باريس لأنى احب ان افكر فيك وفي باريس خلال الاسبوع . »

- « لماذا لا تسرحين باريس مؤقتاً ، يا بُنيّتى ؟ »

- « ولكنني زرت باريس من قبل ، وسوف اعود الى هناك ككرة اخرى ، وانا احب أن أعرف . إنها أجمل مدينة في العالم ، بعد مدينتي وانا اريد ان أعرف عنها بعض الأشياء الحقيقية لكي آخذها معي . »

- « سوف نذهب اليها دعماً ، وسوف احدثك عنها هناك . »

- « شكراً . ولكن حدثني الآن حديثاً موجزاً اترد به لهذا الاسبوع

فحسب . »

- « كان لوكليركِ غِراً كَرِيمَ المَتمد كما سبق لي أن شرحت في ما
أعتقد . كان شجاعاً جداً ، متكبِراً جداً ، طموحاً الى حد مغالى
فيه . لقد مات ، كما قلت لك من قبل . »
- « أجل ، لقد قلت لي ذلك . »

- « يقولون إن من حسن الأدب أن لا يذمّ المرء الموتى . ولكنني
أحسب أن ذلك هو أنسب الأوقات للتحدث عنهم في صدق . وأنا لم
أقل في حياتي قط عن أيما رجل ميت شيئاً أحجم عن قوله له في
وجهه . » وصمت لحظة ثم اضاف : « إني اقول للأعور انت اعور ،
وأقولها في عينه . »

- « فلنكفّ عن التحدث عنه . لقد اعدتُ تصنيفه في عقلي . »

- « عمّ تريدان ان احدثك اذن ؟ عن شيء مائع ؟ »

- « أجل ، ارجوك ، لقد فسد ذوقي من قراءة المجلات المصورة .
ولكنني سوف اقرأ دانتي طوال الاسبوع حين تمضي انت لسبيلك .
ولسوف أشهد القديس كل صباح . وأحسب ان ذلك سيكون كافياً . »

- « واذهي الى حانة هاري قبل الغداء ايضاً . »

فقال : « سأفعل . ارجوك أن تحدثني عن شيء مائع . »

- « ألا تعتقدان ان من الخير لنا أن نأوي الى النوم ليس غير ؟ »

- « كيف تستطيع أن تنام الآن بعد أن لم يبق لدينا غير متسع
من الوقت يسير ؟ إمس هذا ، قالت ذلك ودفعت رأسها كله الى اعلى ،
تحت ذقنه ، حتى لقد اضطرت رأسه الى الارتداد للوراء .

- « حسن جداً ، سوف اتحدث . »

- « اعطيني يدك أولاً ، لكي أمسكها . سوف اضعها في يدي عندما

اقرأ دانتي وافعل الاشياء الأخرى . »

- « لقد كان دانتي شخصية مقيتة . أشدّ عجباً وغروراً من

لوكليرك . »

- « ادري . ولكنه لم يكتب على نحو مقيت . »

- « لا . ولقد كان لوكليرك قادراً على القتال ايضاً . وبصورة ممتازة . »

- « والآن حدثني . »

كان رأسها على صدره الآن ، وقال الكولونيل : « لماذا لم تريدي لي ان انزع سرتي العسكرية ؟ »

- « انا أحب أن ألمس الأزرار . هل في ذلك بأس ؟ »

فقال الكولونيل : « سوف أكون ابن عاهرة بائساً . كم رجلاً من أفراد أسرتك خاض غمار الحرب ؟ »

فقالت : « كلهم . دائماً . لقد كانوا تجاراً ايضاً ، وكثير منهم كانوا حكاماً لهذه المدينة كما تعلم . »

- « ولكن هل قاتلوا كلهم ؟ »

فقالت : « كلهم بقدر ما اعلم . »

فقال الكولونيل : « او . كي . سوف أحادثك عن أيما شيء لعين ترغيبين

في معرفته . »

- « أريد ان تحدثني عن شيء ممتع . ليس غير . عن شيء لا يقل

رداءة عما تنشره المجلات المصورة أو أردأ . »

- « مجلة درمينيكا ديل كوريير *Domenica Del Corriere* ام مجلة تريبوننا

إيلاستراتا Tribuna Illustrata ؟ »

- « اسوأ ، اذا كان ذلك ممكناً . »

- « قبليني أولاً . »

وقبلته في كرم وفي قوة وعلى نحو يائس ، ولم يستطع الكولونيل

ان يتذكر أيأ من المواقع الحربية أو أيأ من الحوادث المائعة او الغريبة .

إنه لم يفكر إلا فيها ، وفي ملمسها ، وفي مدى دنوّ الحياة من الموت حين يستغرق المرء في نشوةٍ روحية . ولكن ما النشوة الروحية ، بحقّ الجحيم ، وما رتبة النشوة الروحية ورقمها المتسلسل ؟ وأيّ ملمس لكنتها السوداء ؟ ومن الذي أبدع كل نعومتها وبهجتها ، وكبرياءها الغريبة وتضحيتها وحكمتها الطفليّة ؟ اجل ، ان النشوة الروحية هي الشيء الذي كان من الجائز ان تفوزَ به ، ولكنك بدلاً من ذلك تجتذب أخا الرقاد الآخر . ١

الا لعن الله الموت ، كذلك قال في ذات نفسه . إنه ينسلّ اليك في اجزاء صغيرة يتعذر عليك معها ، او يكاد ، ان تدرك من اين دخلت . وهو يحيئك في بعض الأحيان ، على نحوٍ وقع . انه قد يجيء من الماء غير المغليّ ، أو من ناموسية لم تُنصّب ، او قد يجيء مع الهدير العظيم ، المُصلّص ، الحامي حتى الأبيضاض الذي عشنا معه . إنه يجيء في تلك الوشوشات الصغيرة المفرقة التي تسبق جلبة السلاح الاوتوماتيكي . وفي امكانه ان يجيء مع قوس القنبلّة اليدوية المطلقُ دخاناً ، او مع سقوط قنابل «مدافع الهاون» الحاد ، المفرقع .

لقد رأيتُه يجيء محرّراً نفسه من ضباب القنبلّة ، هابطاً مع ذلك الخط المنحرف العجيب . إنه ينبعث من محطّم سيارة ما بصوتٍ معدني ، أو مجرد فقدان الاحتكاك الكافي فوق طريق زلقة .

إنه يجيء معظمَ الناس وهم في الفراش ، انا اعلم ذلك ، مثل نظير الحب المقابل . ولقد عشت معه طوال حياتي تقريباً ، وكان توزيعه على الناس هو صناعتي . ولكن ايّ شيء استطيع ان أرويّه

١ - يقصد بأخي الرقاد الآخر : الموت . (المرب)

لهذه الفتاة الآن في هذا الصباح البارد العاصف في فندق غريتي
بالاس ؟ »

وسألها : « ما الذي ترغبين في معرفته ، يا بُنَيَّتِي ؟ »

« كل شيء . . »

فقال الكولونيل : « حسن . اسمعي اذن . »

لقد استلقيا على السرير الجديد القاسي على نحو عذب ، وقد مست
رجله رجلها ؛ وكان رأسها على صدره ، وكان شعرها منشوراً عَبْرَ عنقه
القاسي المعجوز . وأنشأ يتحدثها :

« لقد هبطنا البرّ من غير ما كبير مقاومة . وإنما واجهونا
بالمقاومة الحقيقية عند الشاطئ الآخر . ثم إنه كان علينا أن ننضم الى
الجنود الذين أنزلوا بالمظلات ، وان نحتلّ ونهيمن على مدن مختلفة ، ثم
استولينا على شيربورغ . وكان ذلك عسيراً ، وكان علينا ان نتجزه في
سرعة خاطفة ، وكانت الاوامر صادرة من جنرال يدعى « لايتننغ جو »
كان من الجائز ان لا تسمعي باسمه البتة . جنرال بارع . »

« تابع » ، ارجوك . لقد تحدثتَ عن « لايتننغ جو » من قبل ..
« وبعد شيربورغ كان لدينا كل شيء . ولم آخذ شيئاً غير بوصلة
اميرال ، إذ كان عندي آنذاك مركب صغير في خليج تشيزابيك .
ولكننا دمغنا الاسلحة الالمانية كلها باسم مارتل ، واستولى بعض الجنود
على ثروات لا تقبل عن ستة ملايين فرنك فرنسي مطبوع في المانيا .
وكانت هذه الأوراق النقدية صالحة الى ما قبل عام واحد ، وكل خمسين
فرنكاً منها كانت تساوي آنذاك دولاراً واحداً ، وكَم من رجل يملك
الآن تراكتوراً بدلاً من مجرد بفلٍ لأنه عرف كيف يرسلها الى الوطن

من طريق زملائه وأعوانه .

- « ولم اسرق قط شيئاً غير البوصلة لأنني اعتقدت ان مما يجلب الطالع النكد ان يسرق المرء ، لغير ما ضرورة ، في حرب من الحروب . ولكنني شربت الكونياك ، وجعلت من دأبي ان أحسب المقادير الثانوية التي تكفل الدقة في استعمال البوصلة ، كلما وجدت متسعاً من الوقت لمثل هذا الصنيع . لقد كانت البوصلة هي صديقي الوحيد ، وكان التلفون حياتي . كان لدينا من الاسلاك الموترة اكثر مما في تكساس من ال... »
- « ارجو ان تواصل تحديثي ، وأن تجتنب الفظاظ ما استطعت الى ذلك سبيلاً . انا لا اعرف ما تعنيه تلك الكلمة ، ولا أريد أن اعرف . »

فقال الكولونيل : « إن تكساس ولاية كبيرة ، وهذا هو السبب الذي من اجله اتخذتها واتخذت نساءها رمزاً ، فأنت لا تستطيعين ان تقولي « اكثر... » من ويومينغ » لأن عدد السكان هناك ثلاثون ألفاً ، أو ربما خمسون ألفاً اذا شئت . قلت انه كان عندنا اسلاك كثيرة ، فكنتا لا نفتأ نوترها ثم نلفها ، ثم نوترها من جديد . »
- « تابع . »

فقال الكولونيل : « سوف أنتقل بك الآن الى اقتحام خطوط العدو . ارجوك ان تخبريني . هل يُضجرك كلامي ؟ »
- « لا . »

- « وهكذا قمنا بالأقتحام المخزي ، ، كذلك قال الكولونيل ، وكان وجهه الآن قد التفت الى وجهها ، ولم يكن يحاضر ؛ كان يعترف .

١ - هنا مرقع كلمة مقذعة محذوفة في الاصل الانكليزي ايضاً . (المعرب)

« وفي اليوم الأول اقلبت كثيرتهم الكبيرة وأسقطوا من الجو زينة شجرة الميلاد التي بلبلت «رادار» الاعداء ، وهكذا ارجيء الهجوم . كنا على استعداد للزحف ، ولكنهم ارجأوا الهجوم . وكان ذلك في محله من غير ريب . انا احب جنرالات الجيش الكبار كما احب الخنازير التي تعرفينها . »

- « حدثني عن ذلك ولا تكن خبيثاً . »

فقال الكولونيل : « لم تكن الأحوال ملائمة ، وهكذا انطلقنا في اليوم الثاني في تلك السبيل ، كما يقول أبناء عمومتنا البريطانيون الذين لم يستطيعوا ان يشقوا طريقهم ومناشفهم ما تزال رطبة ، وأقبل شعب ذلك البحر الآبد الذي هناك . »

« وكانوا لا يزالون ينطلقون من الحقول التي عاشوا فيها على حاملة الطائرات المشوشبة تلك التي يدعونها انكلترة ، عندما رأينا أولهم كانت الطائرات لامعة ، مشرقة ، جميلة ، لأنهم كانوا قد أزالوا ، قبيل ذلك ، دهان الغزو عنها ، او لعلهم لم يفعلوا . ان ذاكرتي ليست دقيقة في ما يتصل بهذا الجزء من القصة . »

« وأياً ما كان ، يا بنيّتي ، فقد كان في ميسورنا ان نشهد أسراها مرتجمة نحو الشرق بأسرع ما نستطيع أن نرى . كانت أشبه شيء بقطار عظيم . وكانت محلقة في الجو ، فهي أجل منها في أيما يوم مضى . وقلت لزميلي الثاني ان علينا ان نسميها « اكسبريس فالهالا » ، هل سمعت هذا الحديث ؟ »

- « انا استطيع . أن أرى اكسبريس فالهالا . إننا لم نره قط على

١ - Valhalla Express . و«فالهالا» ، في الميثولوجيا السكنديناافية ، هي حجرة الخلود التي تستقبل فيها ارواح الأبطال الذين سقطوا صرعى في ساحة القتال . (المعرب)

مثل هذه الضخامة . ولكننا رأيناها . مراتٍ عديدة .
- « وكنا على مبعدة ألفي ياردة من المكان الذي كان علينا أن
ننتقل منه . أنت تعرفين ما معنى ألفي ياردة ، يا بنيتي ، في حرب
تكونين فيها في موقف الهجوم ؟ »
- « لا . وكيف استطيع ذلك ؟ »

- « ثم إن الجزء الأمامي من « اكسبريس فالهالا » اسقط دخاناً ملوناً
ثم انعطف وانقلب راجعاً إلى الوطن وكان هذا الدخان قد أسقط في
دقة بالغة ، وكشف في وضوح عن الهدف الذي كان مواقع النمساويين .
كانت مواقع حصينة . ولقد كان من الجائز أن يتعذر علينا اخراجهم
منها من غير لجوء الى شيء جبار وماتع كالذي كنا نقوم به فعلاً .

« وبعد ذلك ، يا بنيتي ، اسقطت الاجزاء الاخرى من « اكسبريس
فالهالا » كل شيء في العالم على رؤوس النمساويين وحيث كانوا يقيمون
ويعملون لصدنا . وفي ما بعد بدا وكأن كل شيء على الارض قد ثار
وفار ، وراح الاسرى الذين أخذناهم يرتعدون كما يرتعد المرء حين تستبد به
الملايا . كانوا جنوداً جدّ بواسل من « فرقة المظلات السادسة » ، وكانوا
كلهم يرتعدون ولا يستطيعون لذلك الارتعاد دفعاً برغم محاولتهم ان
يفعلوا .

« وهكذا تستطيعين أن ترَي أنه كان قصفاً موفقاً . الشيء نفسه
الذي نحتاج اليه دائماً في هذه الحياة ، على وجه الضبط . أن نجعلهم
يرتجفون من خوف العدالة والقوة .

« وكانت الريح يا بنيتي ، ولسوف اوجز لكي لا أدخل السأم على
نفسك ، تهب من ناحية الشرق ، وشرع الدخان يرتدّ نحونا . وكانت
المدافع الثقيلة هي التي استهلت ذلك ، ولم يكن أحد في حاجة الى ان
يقلق او يحشّم نفسه عناء السؤال عن كان هناك ذلك اليوم . وبعد

هذا ولكي يُجْعَل اقتحام مواقع العدو ناجحاً ولكي لا يُتْرَك في كل من خطيُّ القتال إلاّ أقلّ عدد ممكن من الجنْد ، أقبلت الطائرات وقصفت كل ما بقي . ثم إننا اقتحمنا تلك المواقع حالما رجع « اكسبريس فالهالا » إلى أرض الوطن ، منتشرأ في جماله وجلاله من ذلك الجزء من فرنسا حتى سماء انكلترة كلها .

لو كان لرجل ما ضمير ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، إذن لفكر في سلاح الطيران ذات يوم .

وقال الكولونيل : « اعطيني زجاجة من تلك الفالبوليشيلا . » ثم تذكر أن يضيف : « ارجوك . »

وقال : « أتمس عفوك ، هدي من روعك يا كلبتي الحلوة ، ارجوك . انك أنت التي سألتني أن أروي لك ذلك . »

– « انا لست كلبتك الحلوة . انها لا بد أن تكون امرأة اخرى . »

– « صحيح . انت حيي الأخير الصادق الوحيد . هل هذا صحيح ؟

ولكنك انت التي سألتني أن احدثك عن ذلك . »

فقال الفتاة : « حدثني ، ارجوك . وإني لأحب أن اكون كلبتك الحلوة لو عرفت كيف افعل ذلك . ولكني مجرد فتاة من هذه المدينة التي تحبك . »

فقال الكولونيل : « سوف نعمل على هذا الأساس . وأنا احبك . ولعلي تلقّنتُ تلك العبارة في الفيليبين . »

فقال الفتاة : « ربما . ولكني أوتر ان اكون فتاتك الشريفة . »

– « إنك كذلك . الى اقصى حد ، وعلى رؤوس الأشهاد . »

فقال : « ارجوك ان لا تنزع الى السخرية . ارجوك ان تحبتي في صدق ، وان تحدثني على اصدق نحو تستطيعه من غير ان تؤذي نفسك

بأية حال . »

فقال : « سوف احداثك في صدق . على اصدق نحو استطيع ان اتحدث به ، وليُصبِ الاذى من قد يصيب . فلأن تسمعي نبأ ذلك مني ، اذا آنستِ في نفسك فضولاً يفريك بالاطلاع هذا الموضوع ، خيرٌ لكِ من ان تقرأيه في كتاب ما ، ذي دِفَتَيْنِ متينتين . »
- « لا تكن لاذعاً ، ارجوك . كل ما أسألك اياه ان تصدقني القول وتضمّني اليك في إحكام وان تصدقني القول حتى تُفسرِغ كل ما في جوفك ، اذا كان هذا امراً ممكناً . »

- « لست في حاجة الى إفراغ ما في جوفي باستثناء ضرورة اصطناع المدافع على نحو يتفق والقواعد العسكرية . أنا لن انقيم منهم اذا ما اصطنعوها في إحكام حتى ولو أصابوا منك مقتلاً . ولكن أعطيني ، لإمداد المشاة ودعمهم ، رجلاً مثل بيت كيزادا Pete Duesada . ذلك رجل قادرٌ على طردهم برفسة من نعله . »
- « ارجوك . »

- « اذا ما رغبت ذات يوم في التخلي عن رجل متهدم مثلي فخليق بذلك الفتى ان يمدّك بالعون . »
- « انت لست متهدماً ، اياً ما كان معنى ذلك ، وأنا احبك . »
- « ارجوكِ ان تعطيني قرصين من تلك الزجاجاة ، وان تملاي كأس الغالبوليشيلا التي املت ملأه ، ولسوف اروي لك طرفاً من بقية القصة . »

- « لا داعي لا تروي لي بعد شيئاً . اجل ، لا داعي لذلك ؛ وانا أعلم الآن ان هذا يؤذيك . وخاصة اذا كان الكلام عن يوم « اكسبريس فالهالا » ، ذاك . أنا لست مستنطقاً ، او اياً ما كان مؤنث المستنطق . فلنكتفِ بالاضطجاع في سكون والاطلال من النافذة ، ومراقبة ما يجري في قناتنا العظمى . »
- « لعل هذا خير لنا . ومن ذا الذي يبالي بالحرب على اية حال ؟ »

« انت وانا ، ربما . » كذلك قالت وهزت رأسها . « دونك
الشيئين اللذين طلبتهما من الزجاجاة المربعة . وها هي ذي كأس «الفينو»
المروقة . سوف أبعث اليك من اطياننا بجمر أفضل . ارجوك ، دعنا
ننام فترة قصيرة . ارجوك ان تكون غلاماً صالحاً ، وان نكتفي
بالاستلقاء معاً وبتبادل الحب . ضع يدك هنا ، ارجوك . »

« يدي السليمة أم يدي المشوهة ؟ »

فأقلت الفتاة . « يدك المشوهة . اليد التي احبها والتي يتعين عليّ أن
افكر فيها طوال الاسبوع . انا لا استطيع ان احتفظ بها كما تحتفظ انت
بأحجار الزمرد . »

فقال الكولونيل : « إنها في الصندوق الحديدي . » وصمت لحظة ثم
أضاف : « على اسمك . »

« فلنكتف بمجرد النوم ولنقلع عن الكلام على ايما شيء عادي وعن
أيما ضرب من ضروب الأسمى . »

« الى الجحيم بالأسمى كله ، » كذلك قال الكولونيل ، مُغمضاً عينيه ،
مُسنداً رأسه في رفق على الكنزة السوداء التي كانت وطنه الأم . ان
المراء لفي حاجة الى ان يكون له وطن أم ، كذلك قال في ذات
نفسه . وها هو ذا وطني الأم . »

وسأله الفتاة : « لماذا لم تُنتخب رئيساً للولايات المتحدة ؟ لقد كان
خليقاً بك ان تكون رئيساً ممتازاً . »

« أنا رئيساً ؟ لقد خدمت في حرس مونتانا الوطني حين كنت في
السادسة عشرة . ولكنني لم ألبس في حياتي عقدة رقبة على شكل
فراشة ، ولست - ولم اكن في ايما يوم قط - بائع كرافتات وقصات
رجالية فاشلا انا لا اتمتع بأي المؤهلات التي تساعد المراء على ارتقاء سدة
الرئاسة . بل لم يكن في إمكاني ان أؤسس المعارضة ، حتى على الرغم من

اني غير مضطر للجلوس على «حوليّات التليفون» لكي تؤخذ صُورِي .
وفوق هذا فلست جنرالاً لا محارباً . يا للبحيم ، فأنا لم اكن في اياما
يوم من الأيام عضواً في «القيادة العليا للقوات الحليفة الموجهة الى اوروبه»
SHAEP . بل اني لم اوفق الى أن اكون رجل دولةٍ أرشدَ . فأنا لا أزال دون
السن التي تؤهلني لذلك . إننا نُحْكَمُ اليوم ، بطريقة ما ، بالحنّالة .
نحن نُحْكَمُ بما قد تجدينه في قعر كؤوس الجمعة الميتة التي غمست
فيها البغايا سكايرهن . ان المكاتب لا يُكَنَسُ ولو مجرد كنسٍ حتى
الآن ، وإن ثمة عازف بيان هارياً يضرب على الصندوق .

— «انا لا افهم هذا لأن معرفتي باللغة الاميركية ناقصة الى حد
بعيد . ولكنه يبدو رهيباً . ولكن لا تغضبْ بسبب من ذلك . دعني
اغضب نيابةً عنك .»

— «هل تعرفين ما بائع الكرافتات والقمصان الرجالية الفاشل ؟»
— «لا .»

— «إنه ليس شيئاً معيباً . وان عندنا كثيراً منهم في بلادنا . هناك
واحد ، على الاقل ، في كل بلدة . لا يا بُنيّتي ، انا مجرد جنديٍ
مقاتل ، وهذا أحطّ شيء على سطح الأرض . وبهذا الوصف استطيع ان
اخوض الانتخابات مرشحاً عن آرلينغتون ١ ، اذا ما أعادوا الجثّة . إن
لأسرتي عندئذ حق الاختيار .»

— «هل آرلينغتون لطيفة ؟»

فقال الكولونيل : «لست ادري . أنا لم أدفّن هناك قط .»

— «أين تُؤثّر ان تُدفن ؟»

— «هناك في الهضاب ،» كذلك قال متخذاً قراراً سريعاً . «في
ايما جزء من اجزاء النجاد التي هزمنام فيها .»

١ - Arlington ، المقبرة الوطنية الاميركية . وتطلق ايضاً على قبر الجندي المجهول .
(المغرب)

« يخيّل اليّ أنه ينبغي لك أن تدفن في الغرابا^١ . »
« في الزاوية الميتة من ايما منحدر مجدور الوجه بالقنابل ، شرط ان
يرعوا الماشية فوقي في ايام الصيف . »
« وهل لديهم ماشية هناك ؟ »

« طبعاً . إن لديهم دائماً ماشية في المواطن التي ينبت فيها العشب
الصالح أيام الصيف . وبنات البيوت العليا - القوية البناء ، اعني البيوت
والبنات معاً - التي تقاوم الثلج في الشتاء ، ينصبّن الاشراك للذئاب
في فصل الخريف بعد أن ينزلن الماشية من الأعالي . إنها تقتذي على
اكداس التبن المثقّلة بالاعدة الحشوية . »

« ولست تريد آرلينغتون أو « الاب لاشيز »^٢ أو ما عندنا هنا ؟ »
« اريد مقبرتك البائسة . »

« انا أعلم انها أتقّة ما في البلدة (town) . أو على الأصح أتقّه ما
في المدينة city . لقد تعلمت منك أن ادعوك مدينة بلدة ، ولكني سأحرص
على أن اراك تذهب حيث تشاء الذهاب ، وسوف اذهب معك اذا
احببت ذلك . »

« لست احب ذلك . ان هذا هو الشيء الوحيد الذي يقوم به كل
منا على انفراد . مثل الذهاب الى الحمام . »

« لا تكن وعراً ، ارجوك . »

« عنيت اني احب ان تكوني معي . ولكن هذه عملية أنانية^٣
جداً ، وبشعة^٤ جداً . »

وامسك عن الكلام ، واستغرق في تفكير عميق ، ولكن في موضوع
آخر وقال : « لا . سوف تتزوجين ، وترزقين خمسة اولاد ، وتسمينهم

١ - Grappa مرتفعات جبيلية من الألب الشرقي في ايطالية ، وقد مر ذكرها من قبل .
(المغرب)

٢ - Pere Lachaise مقبرة باريس الرئيسية . (المغرب)

كلهم ريكاردوس ... »

- « قلب الأسد ، كذلك قالت الفتاة ، «مرئضية» الوضع من غير ان تلقي ولو مجرد نظرة ، لاعبة بالورقات التي في يديها كما يلقي المرء بجميع اوراقه بعد ان يكون قد حسب في دقة وضبط .

- فقال الكولونيل : « قلب القملة . الناقد الظالم اللاذع الذي يطعن في الناس جميعاً . »

فقالت الفتاة : « لا تكن خشناً في حديثك ، أرجوك . وتذكر انك تطعن أسوأ ما تطعن في نفسك . ولكن ضمني اليك بأقصى الأحكام الذي نستطيعه ، ولنحاول أن لا نفكر في شيء . »

وضمتها الى صدره بأقصى ما استطاع من إحكام ، وحاول ان لا يفكر في شيء .

كان الكولونيل والفتاة مستقلين على السرير ، في سكون ، وحاول الكولونيل ان لا يفكر في شيء ، كفعله حين احجم عن التفكير في ايما شيء مرات كثيرة في مواطن كثيرة . ولكن ذلك امتنع عليه هذه المرة . لقد امتنع عليه منذ اليوم ، لأن الاوان كان قد فات .

انها لم يكونا عطيلًا وديدمونة ، بحمد الله ، برغم أنها كانا في المدينة نفسها ، وبرغم ان الفتاة كانت من غير ريب أملح وجهاً من بطلة شكسبير ، وبرغم ان الكولونيل قد خاض غمرات القتال بقدر ما خاضها المراكشي المهذار^١ أو اكثر .

إنهم جنود ممتازون ، كذلك قال في ذات نفسه . اولئك المراكشيون الراحبون . ولكن ما اكثر الذين صرّعوا منهم في أيامي ! احسب اننا قتلنا منهم اكثر من جيل كامل اذا ما ادخلت في الحساب آخر حملة 'جرّدت على عبد الكريم'^٢ . ولقد كان عليك ان تقتل كلاً منهم على حدة . ان ايما امرىء لم يقتلهم قطّ جماعاتٍ ، كما قتلنا النمساويين قبل أن

١ - يقصد عطيلًا . (المرعب)

٢ - يقصد الامير عبد الكريم الخطابي ، البطل المراكشي الشهير . (المرعب)

يكشفوا آيهايت . »

وقال : « بنيتي ! هل تريدني فعلا أن احدثك عن الحرب ، لكي تعلمي ، اذا لم اكن خشناً في حديثي عنها ؟ »

- « اني لأحب ان تحدثني عنها اكثر مما احب اي شيء آخر . إذ يصبح في ميسوري عندئذ ان اشاركك إياها . »

- « هي ارق من ان استطيع قطعها لتشاركيني اياها . إنها كلها لك ، يا بنيتي . وحديثي عنها سوف يقتصر على الخطوط الكبرى ليس غير . فأنت لن تطيقي فهم الحملات في تفصيل ، وقليلٌ هم اولئك الذين يطبقونه . ان رومل قد يطبق ذلك . ولكنهم كانوا يبقونه دائماً تحت غطاء كثيف في فرنسا ؛ والى هذا فقد كنا دمرنا مواصلاته . لقد دمرها سلاحا الطيران الحربيان . سلاحنا وسلاح الطيران الملكي RAF ولكنني أتمنى لو استطيع ان اجاذبه اطراف الحديث في بعض الشؤون . اني لأحب ان أتحدث اليه والى ارنست أوديت . »

- « حسبتك أن تخبرني ما الذي تتمناه ، وخذ كأس الفالبوليشيلا هذه ، وأمسك عن الكلام اذا كان فيه ما يوقع في نفسك الاشمزاز . أو أحجم عن رواية ذلك كله بالمره . »

- « كنت عند البدء كولونيلا رديفا او كولونيل «تبديل» ، كذلك شرح في احتراس . وكولونيلات التبديل كولونيلات متسكعون يوضعون تحت تصرف قائد الفرقة العسكرية لكي يحتلوا محل زميل لهم صُرع في الميدان ، او أعفي من القيادة . ان أياً منهم ، تقريباً ، لم يُصرع في الميدان ؛ ولكن كثيراً منهم كانوا يُعفون من القيادة . ان جميع الكولونيلات الممتازين يُرَقَّون . ويُرَقَّون في سرعة عندما تبدأ الحرب في اضرار ما يشبه نيران الغابات »

- « تابع من فضلك . هل آن لك أن تأخذ دواءك ؟ »

فقال الكولونيل : « الى الجحيم بدوائي . وإلى الجحيم بالقيادة العليا للقوات الحليفة الموجهة الى اوروبه SHAEF . »

فالت الفتاة : « لقد شرحت ذلك لي من قبل . »

- « لشدّ ما أتمنى لو كنت حندياً بما تتمتعين به من عقل نثير وذاكرة حلوة . »

- « اني لأتمنى ان اكون جندياً اذا استطعت أن اقاتل تحت إمرتك . »

فقال الكولونيل : « حذارٍ أن تقاطلي تحت إمرتي في أيما يوم . أنا حذير . ولكنني غير محظوظ . كان نابوليون يريد من جنوده ان يكونوا محظوظين ، ولقد كان على صواب . »

- « لقد كان لنا بعض الحظ . »

فقال الكولونيل : « نعم . حظ حسن وحظ سيء . »

- « ولكنه كان كله حظاً . »

فقال الكولونيل : « طبعاً . ولكن المرء لا يستطيع أن يقاتل استناداً الى الحظ ليس غير . انه مجرد شيء يحتاج اليه المقاتل . والذين قاتلوا استناداً الى الحظ ليس غير ماتوا كلهم ميتة ماجدة مثل سلاح الفرسان في جيش نابوليون . »

- « لماذا تكره سلاح الفرسان ؟ ان الكثرة الكبيرة من الفتيان الطيبين الذين عرفتهم كانوا في فرق الفرسان الثلاث الممتازة أو في الاسطول . »

- « أنا لا اكره ايما شيء ، يا بنيتي ، » قال الكولونيل ذلك ، ورشف قليلاً من الخمر الحمراء الخفيفة الصّرف التي كانت ودوداً مثل بيت اخيك ، ان كنت انت واخوك صديقين حميمين . « كل ما في الأمر ان لي وجهة نظر خاصة ، انتهيت اليها بعد تفكير 'مروى' فيه ، وعلى اساس من تقدير لمقدراتهم . »

- « هل هم غير صالحين فعلاً ؟ »

فقال الكولونيل : « إنهم تافهون . » ثم أضاف ، وقد تذكر ان يكون دمثاً : « في عصرنا هذا . »

- « كلُّ يوم يزيل الغشاوة عن أبصارنا . »

- « لا . كلُّ يوم هو تمويه جديد ورائع . ولكن في ميسورك ان تقطعي كل ما هو خادع في ذلك التمويه وكأنك تقطعينه بحدّ موسى مستقيمة النصل . »

- « ارجوك ان لا تقطعني ابداً . »

- « انتِ لست قابلةً للقطع . »

- « هل لك ان تقبلني وتضمّني الى صدرك في قوة ، ثم وبعد ذلك ذلك نرؤ معاً الى القناة العظمى حيث النور فاتنٌ الآن ، وتريدني من حديثك ؟ »

وفيا ما يرون ان القناة العظمى حيث كان الضوء ، في الواقع ، فاتناً ، تابع الكولونيل حديثه فقال : « لقد قدّمت كتيبة لأن الجنرال أعفى من المهمة غلاماً كنت قد عرفته منذ كان في الثامنة عشرة من العمر . إنه لم يكن غلاماً حين أعفى ، طبعاً ، ولكن قيادة تلك الكتيبة كانت فوق ما يطيق ، على حين كانت هي اقصى ما طمحت اليه في ايما يوم من الايام ، في هذه الحياة ، حتى خسرتها . » ثم أضاف : « بحكم الأوامر ، طبعاً . »

- « ولكن كيف يخسر المرء كتيبة من الكتائب ؟ »

- « عندما تحاول ان تصعد في النجاد ويكون كل ما يتعين عليك ان تفعله هو ان تلوح براية ، فيتداولون في الأمر ، ريبزون اذا كنت مصيباً . ان المخترفين شديدي الذكاء ، ولقد كان هؤلاء النمساويون كلهم

محترفين ؛ لا المتعصبون . ويرن جرس الهاتف ، ويتلفن شخص ما من الضباط ، شخص مزوّد بأوامر من الجيش ، او ربما من « القيادة العليا للقوات الحليفة الموجهة الى اوروبه SHAEF » نفسها ، لأنهم كانوا قد قرأوا اسم البلدة في صحيفة ما - ولعل احد المراسلين هو الذي بعث به من «سبا» ١ - وينقل اليك الاوامر : أن تستولي على البلدة بالسلاح الأبيض . وهذا شيء مهم جداً ، لأن المسألة تسرّبت إلى الصحف . ان عليك أن تهاجم وتستولي على المدينة بالسلاح الأبيض !

« وهكذا تُخَلِّفَ إحدى السرايا مِئْتَةَ على طول الجزء الأعلى من الوادي . وتخسر سَرِيَّةً اخرى برمتها ، وتدمر ثلاثاً اخريات . انت الدبابات لتُسْحَقَ بمثل السرعة التي تتحرك بها ، ولقد كان في ميسورها أن تتحرك في خفة الى أمام والى وراء .

« ويقذفونها بالقنابل : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة .

« ان ثلاثة رجال يخرجون عادة من اصل الخمسة (الذين هم في داخلها) ، ويركضون في غير نظام مثل لاعبين شاعت الفوضى في ساحتهم حين تكونين انتِ مينيزوتا ، ويكون الآخرون يبلوا من اعمال ويسكونسون .^٢ هل اوقع الضجر في نفسك ؟ »

« لا . انا لا أفهم هذه الإشارات المحلية . ولكن في استطاعتك ان تشرحها حين يحلو لك ذلك . ارجوك ان تواصل تحديثي . »

« وتدخلين البلدة ، فيشنُ غرٌّ وسمٌ حملةً جوية من فوقك . ومن الجائز أن تكون هذه الحملة تنفيذاً لأمر قد صدر ، ثم لم يُلغَ البتة . فلنمنح

١ - Spa منتجع صحي في شرقي بلجيكة ، جنوب شرقي لياج ، Liege وهو مشهور بينايمه المدينة .

Minnesota وويسكونسون Wisconsin ولايتان اميركيتان ، ويلاو Beloi مدينة في ولاية ويسكونسون . (المغرب)

كل امرئ فرصة الاستفادة من الشك . انا لا ازيد على تصوير الأشياء لك بطريقة إجمالية . فمن الخير أن لا اوغل في التفاصيل ، لأن المدني لا يفهمها . حتى انت لن تفهمها .

« وهذا الحملة الجوية لا تساعدك كثيراً ، يا بنيتي . اذ ربما تعجزين عن البقاء في البلدة لأن عدد جنودك قد أمسى هزيباً جداً ، ولأنك تكونين منهكة الآن في رفعهم عن حصباء الطريق أو في تركهم على حصباء الطريق . إن ثمة مذهبين أو « مدرستين فكريتين » في هذا الموضوع . وهكذا يطلبون اليك ان تحتلي البلدة بالسلاح الأبيض . وهم يكررون ذلك .

« وقد أريد هذا تأييداً قاطعاً من قبل سياسي يرتدي ثوباً عسكرياً ، سيامي لم يقتل احداً في حياته كلها ، إلا وفهه فوق سماعة التلفون ، أو على الورق ، ولم يُصَبْ قط بأي جرح . تصوّره مثل رئيسنا القادم اذا شئت . تصوّره كيفما أحببت . ولكن تصوّره وقومه ، مؤسسة العمل التجاري العظمى كلها ، بعيدين عن الجبهة الى درجة تجعل الطريقة الفضلى للاتصال بهم في سرعة هي اصطناع حمام الزاجل . باستثناء أنهم قد ينزعون - مع ذلك القدر من الاحتراس الذي التزموه لسلامة اشخاصهم هم - الى تصويب نيران مدافعهم المضادة للطائرات لاسقاط تلك الحمام . اذا استطاعوا أن يصيبوا منها مقتلاً .

« وهكذا تعاودين ذلك كرة اخرى . ولسوف انبثك ، في ما بعد ، كيف يكون ذلك . »

ورفع الكولونيل بصره الى اضطراب الضياء على سقف الحجر . كان الضياء منعكساً ، بعضه لا كله ، من القناة العظمى . وقد أحدث حركات غريبة ، ولكنها مطردة ، متغيرة ، كما يتغير تيار جدول

من سمك الاطروط ، ولكنها باقية ، برغم تغيرها مع حركة الشمس .
ثم انه نظر الى جميلته الساحرة ، بوجهها الغريب الاسمر ، الشبيه
بوجه طفل شب عن الطوق ، فتفطر قلبه وقد تذكر انه سوف
يرتحل و (ذلك امر لا ريب فيه) . قبل الساعة الثالثة عشرة والدقيقة
الخامسة والثلاثين ، فقال : « فلنقلع عن الكلام على الحرب ،
يا بُنيّتي . »

فقالت : « ارجوك ، ارجوك . أنا أريد ان اتزوّد من حديثك
لهذا الأسبوع كله »

— « هذا نص 'حكم' sentence موجز . انا استعمل هذا اللفظة بمعناها
الجنائي ، كما تقولين : نص الحكم بالسجن ' . »

— « أنت لا تدري كم قد يتطاول الاسبوع ويتطاول ، حين يكون
المرة في التاسعة عشرة . »

فقال الكولونيل : « لقد عرفتُ ، مرات عديدة ، كم قد تتطاول
الساعة وتتطاول .. وفي استطاعتي ان اخبرك الى أي حدّ قد تطول
الدقيقتان ونصف الدقيقة أيضاً . »
— « ارجوك ان تخبرني . »

— « حسناً ، لقد قضيت اجازة يومين في باريس بين معركة « شني -
ايفل » وهذه المعركة . ونظراً للصدّاقة التي كانت تربطني مع رجل او رجلين
من كبار المسؤولين مُنِحَتْ شرف حضور اجتماع لم يشهده غير من كانوا موضع
الثقة والاعتماد ، اجتماع شرح لنا فيه الجنرال والتر بيدل سميث الى اي حد
سوف تكون هينة يسيرة تلك العملية التي حملت بعد اسم عملية غابة
هورتجين . انها لم تكن غابة هورتجين فعلاً . لقد كانت قطاعاً صغيراً

١ - في الأصل تلاعب لفظي بين كلمة sentence بمعنى « الجملة » ، وكلمة sentence
بمعنى « الحكم » .

ليس غير . لا ، لقد كانت هي ستاتزولد ، وكان ذلك هو الموضوع الذي اختارته القيادة الالمانية العليا ، بحق ، للقتال بعد ان احتلت «آخن» وبعد أن قُطِعَت الطريق الى المانيا . انا ارجو ان لا يكون في هذا الكلام ما يُضجرك .»

- « انت لا تضجرتي أبداً . وليس في حديث الحرب ما يضجرتني غير الأكاذيب .»

- « انت فتاة غريبة !»

فقالت : « نعم . لقد عرفتُ ذلك من عهد بعيد .»

- « هل تحبين ان تقانلي فعلاً ؟»

- « لست ادري ماذا كنت استطيع القتال . ولكن خليقٌ بي ان أجرب اذا ما علمتني .»

- « لن اعلمك ابد الدهر . سوف اجتزىء برواية بعض الحكايات على مسمعك .»

- « حكايات حزينه عن موت الملوك .»

- « لا . عن الجنود الاميركيين او الـ GIs كما سمّاهم بعضهم . والله يعلم كم اكره هذه اللفظة وكيف اصطنعت . قراء كتب هزلية مصورة . وكلهم من مكان بعينه . ومعظمهم قد سيقوا الى هناك برغمهم . لا كلهم . ولكنهم جميعاً يقرأون صحيفة تدعى «النجوم والخطوط» . ولقد كانت يتعين عليك ان تفري كتيبتيك بمطالعتها ، وإلا كنت قائداً مخففاً . ولقد كنت اكثر القادة اخفاقاً . لقد حاولت أن احب مراسلي الصحف ، وكان فريقٌ من خيارهم يشهدون ذلك الاجتماع . انا لن اسمي اسماء ، لأنني قد أغفلت بعض الممتازين منهم ، وفي ذلك ظلم وعدم إنصاف . لقد كان ثمة مراسلون صالحون غابت اسماؤهم عن ذاكرتي . ثم كان هناك مراوغون اختيروا بالقرعة ، وزائفون كان من دأبهم ان يزعموا انهم

جُرِّحُوا إِذَا مَسَّتْهُمُ قِطْعَةٌ مَعْدِنٍ مُسْتَنْفَدَةٌ ، وَجِهَاعَةٌ يَحْمَلُونَ وَسَامَ
«القلب الارجواني» بسبب من حادث سيارة جيب ، ومطلعون على
بواطن الامور ، وجبناء ، وكذابون ، ولصوص ، ومسرفون في اصطناع
التلفون . ولقد غاب عن هذا الاجتماع بعض الموتى . فقد كان لهم
موتاهم . نسبة منهم كبيرة . ولكن اياً من الموتى لم يشهد الاجتماع ،
كما قلت . لقد شهدته بعض الناس ولكن في ثياب عسكرية رائعة .

- «ولكن كيف تزوجت في يوم من الايام واحدة منهم ؟»

- «بالغلط ، كما اوضحت لك من قبل .»

- «تابع تحديتي .»

- «كان في الحجرة عدد من الخرائط اكثر من ذلك الذي يستطيع
سيدنا المسيح أن يقرأه في احسن ايامه .» كذلك تابع الكولونيل
«فهناك الخرائط الكبيرة ، والخرائط المبالغ في تكبيرها . ولقد تظاهر
اولئك القوم كلهم بأنهم فهموها ، كما فعل الجنود حاملو المؤشرات ، وهي
ضرب من عصي البليارد نصف الشرجية وكانوا يصطنعونها للشرح
والتفسير .»

- «لا تنطق بكلمات فاحشة . ومع ذلك فأنا لا ادري ما معنى

نصف الشرجية هذه .»

- «انها تعني : مختصرة ، او موجزة على نحو لا يفني بالمرام .»
كذلك شرح الكولونيل . «وقد تستعمل لوصف اداة ما ، أو خُلِقَ
ما ، بالنقص . إنها كلمة عتيقة . ولعلك تجدينها في السنسكريتية .»

- «ارجوك ان تواصل تحديتي .»

- «ولم ؟ وما الذي يحملني على تخليد العار بفعلي ؟»

- «سوف اكتب ذلك اذا شئت . في استطاعتي ان اكتب ، في أمانة ،
ما اسمعه او افكر فيه . وخليق بي طبعاً ان ارتكب بعض الاخطاء .»

« إذا استطعت ان تكتبي ، في أمانة ، كل ما تسمعيه او تفكرين فيه كنت فتاة محظوظة من غير ريب . أما أنا فلن اكتب ، أبدا الدهر ، كلمة واحدة من هذا . »

واستأنف حديثه قائلاً : « كان المكان غاصاً بمراسلين صحفيين ارتدى كل منهم ما شاء له ذوقه ان يرتديه . كان بعضهم نزاعين الى السخرية ، وكان بعضهم شديدي الشوق الى المعرفة .

« ولتوجيههم كما يوجه الراعي البارع القطيع ، ولاصطناع المؤثرات على احسن وجهٍ كان ثمة مجموعة من «صافقي الغدارات» . إننا نطلق لقب «صافق الغدارات» على الرجل اللامحارب ، المتنكر في بذلة عسكرية او ربما استطعت ان تدعوها ثوباً رسمياً ، والذي يحتاج كلما صفق السلاح على فخذه أو مستها مساً رقيقاً . وبالمناسبة يا بنيّتي فإن الغدارة ، لا الغدارة القديمة ، ولكن الغدارة الحقيقية ، قد أخطأت عدداً من الناس في المعركة اكبر ، في اغلب الظن ، من عدد الذين اخطأهم ايما سلاح في العالم كله . فلا تدعي احداً يعطيك غدارة إلا اذا أردت أن تضري الناس بها على رؤوسهم في حانة هاري . »

« انا لم ارد في ايما يوم من الايام ان اضرب احداً ؛ إلا - ربما - آندريا . »

« اذا قدّر لك ذات مرة ان تضري آندريا فاضربه بأنبوبة الغدارة ، لا بعقبها . فالعقبُ بطيء الى حد رهيب ، وهو يخطيء الهدف ، فاذا اصابه وجدتِ الدم على يديك حين تطرحين البندقية . وارجوك ، أيضاً ، أن لا تضري آندريا ابد الدهر لأنه صديقي . وعلى أية حال ، فلست أحسب انه سوف يكون لقمة سائغة بالنسبة الى من يرغب في ضربه . »

« وانا لا احسب ذلك ايضاً . ارجوك أن تزيدني علماً بأمر ذلك

الاجتماع ، او المؤتمر . يخيل اليّ ان في استطاعتي الآن أن أميز صافقي الغدارات من غيرهم ولكنني أريد أن يكون علمي بهذه الأشياء أدق وأعمق . »

« حسنًا ، لقد كان صافقو الغدارات ، بكامل فخار اصطفاق غداراتهم ، ينتظرون وصول الجنرال العظيم المكلف بشرح العملية .
« كان المراسلون يغمغمون أو يفرّدون ، وكان الاذكياء منهم عابسين أو مبتهجين ابتهاجاً سلبياً . لقد استوى كل منهم على كرسي قابلة للانطواء وكأنه اقبل لساع محاضرة من محاضرات مركز التربية الصيفي في تشوتوكا^١ . أنا آسف لاصطناعي هذه التعابير المحلية ، ولكننا شعبٌ محليّ . »

« ويدخل الجنرال الحجرية . إنه ليس صافق غدارات ، ولكنه رجل أعمال كبير ؛ وسياسي ممتاز ، من الضرب التنفيذي وكان الجيش ، آنذاك ، هو اكبر المشروعات التجارية في العالم . ويتناول الجنرال المؤشّرة نصف الشرجية ، وُيرينا ، في ايمان كامل ، ومن غير هواجس مشؤومة ، كيف سيجري الهجوم تماماً ، والسبب الذي من اجله نشئته ، وكيف سينجح في سهولة ويُسر . فليس ثمة مشكلة . »

فقال الفتاة : « تابع . ارجوك ان تدعني أترع كأسك ، وارجوك ان تنظر أذت الضوء المنعكس على السقف . »

« أترعها ولسوف انظر الى الضوء ، واتباع الحديث . »

« وحدتنا بائع ضغط الدم العالي هذا - ولست اقول ذلك في غير احترام ، ولكن أقوله في اعجاب بمواهبه كلها أو بموهبته - عن الاشياء الضرورية التي ستؤقر لنا . إن أياشيء مها يكن لن يُعوزنا . وكانت

١ - Chautauqua قرية جنوب غربي نيويورك ، على بحيرة تشوتوكا . (المعرب)

المنظمة المدعوة « القيادة العليا للقوات الحليفة الموجهة الى اوروبا » SHAEF تتخذ من بلدة تدعى فرساي ، خارج باريس ، مقراً لها . وكان علينا ان نشنّ هجوماً الى الشرق من « آخن » على مسافة تبعد ٣٨٠ كيلو متراً من مقرها ذلك .

« في استطاعة الجيش ان يصبح ضخماً ، ولكن في استطاعتك ان ترصّ صفوفه بعض الشيء . واخيراً تقدموا حتى رايس ، الباعدة ٢٤٠ كيلو متراً عن ميدان القتال . وكان ذلك بعد شهر عديده .

— « انا افهم الضرورة التي تقضي بأن يكون الرجال التنفيذيون الكبار في نجوة من الاحتكاك برجالهم العاملين . وأفهم شيئاً عن احجام الجيوش ومختلف المشكلات . بل إنني لأفهم علم اطعام الجنود وابوائهم في الميدان ، وهو شيء غير عسير ولكن التاريخ لم يعرف أيما قائد قاد جيوشه من على مثل هذا البعد .

— « حدثني عن المدينة . »

فقال الكولونيل : « سوف أحدثك ، ولكنني لا أريد أن أوذيك . »
— « انت لا تؤذيبي أبداً . إن مدينتنا مدينة عتيقة ، ولقد كانت لنا دائماً رجالنا المقاتلون . إننا نحترمهم اكثر من احترامنا جميع الفئات الاخرى ، وأحسب اننا نفهمهم كأناس ، يوقعون اعظم الضرر في نفوس النساء . »

— « هل أوقع أنا الضرر في نفسك ؟ »

فسألته الفتاة : « ما رأيك انت ؟ »

— « أنا أضجر نفسي ، يا بُنَيَّتِي . »

— « لست أظن ذلك ، يا ريتشارد . لقد كان خليفاً بك ان لا تعمل

أيما شيء طوال حياتك . لا تكذب عليّ ، ارجوك ، يا حبيبي ، بعد ان لم يبق لدينا غير متسع من الوقت قصير . »

— « لن اكدب . »

- « ألا ترى انك في حاجة الى إنبائي ببعض الاشياء لكي تنفض عن نفسك غمها ؟ »

- « أنا أعلم اني انبئك بها . »

- « ألا تعلم اني اريدك ان تموت متمتعاً بنعمة موت سعيد ؟ أوه ، لقد بدأت ارتبك . لا تدعني ارتبك اكثر مما ينبغي . »

- « لن أدعك ، يا بُنَيَّتي . »

- « زدني من احاديثك ، واستسلم للحرارة والغمّ ما شئت . »

وقال الكولونيل : « اسمي ، يا بنيّتي . سوف نكف الآن عن كل اشارة الى السحر الخادع والى النحاس الاصفر الرفيع ' ، حتى ولو كان من كانساس ' ، حيث ينمو النحاس الاصفر ويرتفع الى أعلى مما يرتفع « برتقال اوسايج ' ، على طريقك . إن هذا البرتقال يحمل ثمراً لا يستطيع المرء أن يأكله ، وهو كانسائي خالص . فلم يقدر قط لأحد غير أهل كانساس ان تكون له علاقة به ، ربما باستثناءنا نحن الذين خضنا غمار الحرب . لقد اكلنا منها كل يوم ، من برتقالات اوسايج أعني . ، « كذلك اضاف الكولونيل ، « ولكننا كنا ندعوها جرايات كانساس K . Rations . انها لم تكن رديئة . (اما جرايات مخزن التموين العسكري C . rations فكانت رديئة .) كانت كثرتها الكبرى جيدة .

« وهكذا قاتلنا . ان ذلك رتيب ولكنه مُثَقَف . وفيما يلي الطريقة

١ - يرمز بذلك الى قادة الجيش الكبار . (المغرب)

٢ - ولاية في اواسط الولايات الاميركية المتحدة . (المغرب)

٣ - شجر يشبه ثمرة برتقالاً كثير الشاليل والبثور ، وهو ينسب الى نهر اوسايج Usage بالولايات الاميركية المتحدة ، الذي يجري من شرقي ولاية كانساس الى نهر الميسوري ، ويتخذ منه المزارعون أسبجة أو وشائع لحماية اراضيهم من الواغرين والتطفلين . (المغرب)

التي يتم بها القتال اذا كان ثمة من يتوق الى معرفة ذلك ، وهو ما أشك فيه .
« انه يجري هكذا : الساعة الثالثة عشرة « ريد أس ثري » Red S - 3 :
لقد وثب «هوايت» (الابيض) في الميقات الممين . وقال «ريد» (الاحمر)
انهم كانوا ينتظرون ريثما يندفعون في آثار هوايت وفي الساعة ٥ و ١٣
(يعني الساعة الواحدة وخمس دقائق بعد الظهر ، اذا استطعت ان
تتذكرني ذلك ، يا بنيّتي) يقول «بلو» (الازرق) اس ثري « Blue S - 3 -
واحسب انك تعرفين ماذا تعني S-3 هذه - : « دعونا نعرف متى ينبغي ان
نتحرك » فيقول «ريد» انهم كانوا ينتظرون ريثما يندفعون في آثار هوايت .
« في ميسورك ان ترمي ان ذلك هين جداً . » كذلك قال الكولونيل
للفتاة . « كان على كل امرئ ان يفعل ذلك قبل فطور الصباح . »

فقال له الفتاة في رقة : « ليس في استطاعتنا كلنا ان نكون
مشاة مقاتلين . انا احترم سلاح المشاة اكثر من اي شيء آخر ، ما عدا
الطيارين البارعين الامناء . تحدث ، ارجوك ، إني أعنى بك . »
فقال الكولونيل : « الطيارون البارعون بارعون ، ويجب ان يُحترموا
بهذا الوصف . »

ورفع بصره الى الضياء المضطرب على السقف ، واستبد به الغم لتذكره
كيف خسر كتائبه ، وأناساً بأعيانهم . وعلى اية حال ، فإنه لم يحلم بأن
تكون له مثل تلك السرية . إنه لم ينشئها إنشأاً . لقد ورثها وراثته .
ولكنها كانت ، الى حين ، مبعث ابتهاجه الأعظم . وها إن واحداً من
كل اثنين من رجالها قد مات ، على حين اصيب سائرهم تقريباً ، بجراح
مختلفات في البطن ، في الرأس ، في القدمين او اليدين ، في العنق ، في
الظهر ، في العجز المحظوظ ، في الصدر النكيد الطالع ، وفي مواطن
اخرى . لقد أدى انفجار القنابل خلف الاشجار الى اصابة رجاله بجراح
في حيناً نجواً من تلك الجراح في الارض الفضاء . ولقد كانت جراح

الجرحى كلهم مرمدية .

وقال : لقد كانت مرمية حسنة . بل ان في امكانك ان تقولي انها كانت مرمية ممتازة الى ان اهلكتها بتنفيدي اوامر اصدها الآخرون إلي . »

- « ولكن ما الذي حملك على تنفيذ كل الأوامر ما دمت مدركاً خطئها ؟ »
فأجابها الكولونيل موضحاً : « في جيشنا ينفذ القائد الأوامر كالكلب . ان أحدنا ليتوهم دائماً ان سيده رجلٌ طيب . »

- « ومن أي نوع اسياذك ؟ »

- « لقد حظيتُ حتى الآن بسيدين صالحين . بعد أن بلغت مستوى ما في القيادة ، حظيت بكثير من الجنود الممتازين ، ولكني لم أحظ بغير سيدين اثنين صالحين . »

- « وهل هذا هو السبب الذي من أجله لست الآن جنرالاً ؟ لقد كنت اوثر أن اراك جنرالاً . »

فقال الكولونيل : « وانا ايضاً كنت اوثر أن ارى نفسي جنرالاً . ولكن ليس بهذه الشدة كلها ، في أغلب الظن . »

- « هل لك أن تحاول الاستسلام للرقاد ، لكي تدخل السرور على نفسي ؟ »

فقال الكولونيل : نعم . »

- « الذي يتراءى لي هو انك إن نمتَ تخلّصت منهم جميعاً ، بمجرد استغراقك في الرقاد . »

فقال : « نعم ، اشكرك شكراً جزيلاً . »

لم يكن في اليد حيلة ، أياها السادة . كل ما على المرء أن يفعله هو الطاعة .

- « لقد نمتَ نوماً عميقاً جداً فترةً من الزمن ، » كذلك قالت الفتاة له في محبة ورفق . « هل ثمة أيما شيء تريدني ان أفعله ؟ » فقال الكولونيل : « لا شيء . شكراً . » ثم إن السخرية اللاذعة غلبت عليه فجأة ، فقال : « في استطاعتي ، يا بنيّتي ، ان أنام نوماً عميقاً حتى على الكرسي الكهربائي وقد شتتَ بنطالي^١ بالطول ، وُجزتْ شعر رأسي جزأً . انا أنام كيفما احتجت الى النوم واينما احتجت . » فقالت الفتاة وقد داعب النعاس جفنيها : « انا لا استطيع ان اكون هكذا البتة . انا انام حين يستبد بي النعاس . » فقال لها الكولونيل : « انتِ فاتنة . وإنك لتنامين خيراً مما نام ايما امريء في أيما يوم . » فقالت الفتاة جدّ ناعسة : « انا لست فخوراً بذلك . انه مجرد شيء أقوم به ليس غير . » - « قومي به ، أرجوك . » - « لا . حدثني في كثير من الالانة والرقّة ، وضع يدك الشائنة في يدي . » فقال الكولونيل : « الى الجحيم بيدي الشائنة . منذ أن أمست شائنة الى هذا الحد . »

١ - البنطال: البنطاون .

فقلت الفتاة : « انها شائعة . اشدّ شوهاً مما سوف تعلم في أي يوم من الأيام ، ارجوك ان تحدّثني عن القتال من غير ان تكون وحشياً اكثر مما ينبغي . »

فقال الكولونيل : « مهمة سهلة . سوف أطوي الزمان على نحو خاطف : الجوغايم ، والمكان هو ٩٨٦٣٤٢ . ما الموقف ؟ نحن نُدخِنُ العدوَّ بقنابل المدفعية والهاون . ويُعلمنا « اس ثري » S-3 أن « اس سيكس » S-6 يريد من « ريد » أن يضرب ضَرْبَتَهُ في الساعة السابعة عشرة . إن « اس سيكس » S-6 يريدك أن تضرب ضربتك وأن تستخدم عدداً كبيراً من المدافع . ويبحث « هوايت » بتقرير يقول فيه ان وضعهم حسن . ويحيطنا « اس سيكس » S-6 علماً بأن السَّرِيَّةَ « أ » A سوف تستدير وتنضم الى السرية « ب » B .

« لقد صدّ العدو السرية « ب » B ، باديء الأمر ، عن سبيلها ؛ ومن ثمّ لبثت هناك بطوّعها . ان أحوال « اس سيكس » S-6 ليست على يرام . ولكن هذا نبأ غير رسمي . انه يريد عدداً من المدافع اكبر ، ولكن لم يعد ثمة مزيد من المدافع .

« لماذا اردت ان تسمعي حديث القتال ؟ انا لا أدري ، في الواقع ، لماذا . أو ادري ، في الواقع ، لماذا . ومن ذا الذي يرغب في القتال الحقيقي فعلاً ؟ ولكن اليك به ، على التلفون اولاً ، وبعد ذلك سوف أُضيف الاصوات والروائح والحكايات عن اولئك الذين 'قتلوا' ، ومتى واين ، اذا اردت ذلك . »

-- « انا لا اريد إلا ما سوف تنبئني به . »

فقال الكولونيل : « سوف انبئك كيف كان ذلك . والجنرال والتر بيدل سميث لا يزال جاهلاً ، حتى اليوم ، كيف كان ذلك . ولكن من الراجح ان اكون مخطئاً ، كما كنت مراتٍ كثيرة . »

فقال الفتاة : « أنا سعيدة لعدم اضطرارنا الى معرفته او الى معرفة
الرجل النابوليّ النعومة . »

فأكد لها الكولونيل : « لن نكون مضطرين الى معرفتهم في هذا
الجانب من الجحيم . ولسوف أقيم على أبواب الجحيم حرساً لكي يحولوا
بين شخصيات كهذه وبين الدخول . »

فقال ناعسة : « في كلامك هذا ما يذكرني بدانتي . »

فقال : « أنا مستر دانتي . مؤقتاً على الأقل . »

ولقد كان كذلك ، في الحق ، طول برهة قصيرة ، ورسم جميع
الدوائر . كانت جائزة كدوائر دانتي ، ولكنه رسمها .

وقال الكولونيل : « سوف أغفل الجزء التفصيلي مادمت - وهذا من حقك بل من واجبك - قد غلب عليك النعاس ، وراقب ، كرة اخرى ، اضطراب الضوءِ المجيبَ على السقف . ثم نظر الى الفتاة التي كانت أوجل من ايما فتاة قدر له ان يراها عُمره كله .

كان قد رأهن يبحن ويرُحن ، وانهن ليرُحن - حين يرُحنَ - بأسرع مما يروح أيما شيء من ذوات الاجنحة . ان في استطاعتهن أن يرُحن من الجمال النَّضْر الى البشاعة المسنة بأسرع من ايما حيوان آخر ، كذلك قال في ذات نفسه . ولكني أعتقد ان هذه الفتاة قادرة على كبح جماح الخطى ، ومواصلة السير حتى النهاية . إن السمراوات ليحتفظن بجهن أكثر من غيرهن ، كذلك قال في ذات نفسه . وانظر الى التكوين المعروق في ذلك الوجه . وهذه الفتاة ذات محتدٍ كريم ، وفي استطاعتها أن تَحُلِدَ على الدهر . إن الكثرة الكبرى من جيلاننا الفانتات يتحدرن من الحاجز الخشبي في مشارب الصودا ، ولسن يعرفن الجزء الأخير من اسم جدّهن ، إلا اذا كان شولتز Schultz أو ربما شليتز Schlitz ؛ كذلك قال في ذات نفسه .

- « هذا هو الموقف الخاطيء يتخذه المرء ، » كذلك خاطب نفسه ، اذ لم يكن راغباً في التعبير عن ايّ من هذه المشاعر للفتاة ، التي لن

تحبُّها على أية حال ، والتي كانت الآن مستغرقة في نوم عميق ، شبيه بنوم الهرة حين ترقد ملتفةً على نفسها .

- « نامي نوماً جيداً ، يا اعزّ حبيب ، ولسوف أتابع حديثي على غير طائل . »

كانت الفتاة نائمة ، وهي لا تزال ممسكةً بيده الشائبة ، التي ازدراها ، ولقد كان في ميسوره أن يستشعرها تلتفّس ، كما يتنفّس الصغار حين يستسلمون للرقاد في سهولة ويسر .

وحدثها الكولونيل بكل شيء عن القتال ، ولكنه لم ينطق به نطقاً .

وهكذا بعد أن حظينا بسماع الجنرال والتر بيدل سميت يشرح سهولة الهجوم ، قمنا به . كان ثمة « الفريق الأحمر الكبير » الذي آمن بشعبيته الخاصة . وكان ثمة الفرقة التاسعة ، التي كانت أفضل منا نحن . وكان ثمة نحن ، الذين قمنا دائماً بالهجوم كلما سئلنا ان نقوم به .

ولم يكن لدينا متسع من الوقت لقراءة الكتب الهزلية المصورة ، ولم يكن لدينا متسع لأیما شيء تقريباً ، لأننا كنا نزحف دائماً قبل بزوغ الفجر ، وهذا أمرٌ عسير ، وإن عليك ان تنبذ « الصورة العظمى » وان تكون فرقة عسكرية .

وارتدينا شارة البرسيم ذات الورقات الأربع ، التي لم تكن لتعني شيئاً عند احد من الناس ، ما عدانا نحن الذين أحببناها كلنا . وكنت أنا كلما وقع نظري عليها يحدث في احشائي شيء لا يتبدل البتة . لقد حسبتها بعض الناس لبلاباً ، ولكنها لم تكن كذلك . لقد كانت برسماً ذا ورقات أربع متنكراً في صورة بلاب .

وكانت الأوامر تقتضينا ان نشنّ الهجوم مع « الفريق الأحمر الكبير »

فرقة المشاة الاولى في جيش الولايات المتحدة الاميركية ، وكانوا ومنشدم المطلق أغنية «برو» Pro لا يدعونك تنسى ذلك ابد الدهر . لقد كان غلاماً ظريفاً ؛ ولقد كانت تلك هي مهنته .

ولكنك سرعان ما تضيق ذرعاً بروث الخيل ، إلا اذا كنت تحب شذاه او طعمه . أما أنا فلم اكن احب ذلك . برغم اني أحببت ان أسير ، وانا غلام ، عبر روث البقر وان أستشعره بين أصابع رجلي . ولكن روث الخيل يضجر المرء . وهو يضجرني انا في سرعة بالغة ، وفي استطاعتي أن استروحه من على مسافة الف ياردة ونيف .

وهكذا شنتنا الهجوم ، وثلاثتنا في خط النار ، حيث ارادنا الألمان أن نشنه تماماً . إننا لن نشير الى الجنرال والتر بيدل سميث بعد الآن . إنه ليس الرجل الوغد في تلك المسرحية . لقد أغدق علينا الوعود ليس غير ، وشرح كيف يُنتظر أن تسير الامور . وليس ثمة ، في ما احسب ، اي اوغاد في ايام دولة ديموقراطية . كل ما في الأمر انه كان كان مخطئاً الى حد جهنمي . علامة وقف ، كذلك اضاف بينه وبين نفسه .

وكانت العصائب الدالة على هويتنا قد نُزعت كلها حتى عن أذرع جنود المؤخرة القصوى لكي لا يتمكن اياما ألماني من معرفة من نحن ، وكانوا يعرفون الفرق الثلاث التي ستقوم بالهجوم احسن معرفة .. وكنا نعتزم ان نشن الهجوم مندفعين كلنا الى خط النار غير مبقين احداً بعيداً عنه على سبيل الاحتياط . أنا لن احاول أن أشرح لك ما الذي يعنيه ذلك ، يا بنيتي . ولكنه ليس بشيء صالح البتة . وكان الوطن الذي سنقاتل فيه ، والذي كنتُ قد ألقيت نظرة مليّة عليه ، هو باشيندايل بالانغام المنشورة حول أشجارها . أنا اكرر هذا أكثر مما ينبغي . ولكنني أفكر فيه أكثر مما ينبغي أيضاً .

وكانت الفرقة الثامنة والعشرون ، تلك الفرقة المسكينة الزاحفة الى
يميننا ، قد دبقت أقدامها في الاراضي السبخة فترة من الزمان ، وهكذا
تيسرت لنا معلومات دقيقة الى حد غير قليل عن الأحوال التي ستواجهنا
في تلك الغابة . وأحسب ان في استطاعتنا ان نصفها ، في اعتدال ،
فنقول انها كانت غير ملائمة .

ثم إننا أمرنا بأن نقذف بإحدى الكتائب الى خطوط العدو قبل
بدء الهجوم . وهذا يعني أن العدو سوف يأسر جندياً واحداً على
الأقل ، مما يجعل نزع العصائب الرامزة الى الفِرَقِّ عملاً أبسلاً ساذجاً .
لأنهم سوف يتربصون الدوائرَ برجالنا حاملي شعار البرسيم ذي الورقات
الأربع ، اولئك الرجال الذين يخلِّقُ بهم أن يندفعوا الى الجحيم مباشرة
مثل بغل من البغال ، وأن يفعلوا ذلك طوال مئة وخمسة أيام . ان
هذه الأرقام لا تعني شيئاً عند المدنيين ، طبعاً . لا ، ولا تعني شيئاً
عند شخصيات « القيادة العليا للقوات الحليفة الموجهة الى اوروبه » الذين
لم نرهم قط في هذه الغابة . وتشاء المصادفة - ولا ريب في أن
هذه الأحداث تكون دائماً تصادفيةً بالنسبة الى القيادة العليا - أن تُفنى
الكتيبة عن بكرة أبيها . ولم تكن هذه غلطة أحد ، ولم تكن - بخاصة -
غلطة الرجل الذي أمرَ بها . فقد كان رجلاً مجرّباً أن أسعد بانفاق
نصف عمري معه في الجحيم . ومن يدري ، فقد أقفل ذلك ذات يوم .
ولا ريب في أنه سوف يكون عجبياً اذا ما تعيّن علينا بدلاً من أن
نذهب الى الجحيم ، كما كنا نأمل دائماً ، ان نذهب الى واحدة من تلك
الحانات النمساوية الرخيصة الشبيهة بـ « الفاهالا »^١ ، وان لا نوفق الى
الانسجام مع القوم . ومن يدري ، فقد نستطيع أن نفوز بمائة منزوية

١ - الفاهالا Valhalla ، في الميثولوجيا السكندنافية ، حجرة الخلود التي تستقبل فيها
ارواح الابطال الذين سقطوا في ميدان القتال ،

نجلس اليها مع «رومل» و «اوديت» ، وسوف يكون ذلك الموطن أشبه شيء بأبما فندق من فنادق الرياضة الشتوية . وأغلب الظن انه سيكون جحيماً ، برغم اني لا أومن بالجحيم .

وعلى اية حال ، فقد رُممت هذه الكتيبة ، كما رُممَ الكتاب الأميركية دائماً ، من طريق نظام الاستبدال . أنا لن أصف ذلك ، لأن في استطاعتك دائماً أن تقرأي عنه في ايما كتاب ألفه رجل كان هو نفسه جندياً مستبدلاً . وهو يتلخص في هذه الحقيقة : انك تبقى هناك حتى تصاب اصابة خطيرة او تُصرَع ، أو تُخبَل ، أو تُمزَّق أقساماً ثمانية . ولكني أحسب انه نظام منطقي ، ولا يقلّ صلاحاً عن ايما نظام آخر ، اذا أخذنا مصاعب المواصلات بعين الاعتبار . وأياً ما كان فإنه يختلف نواةً من بعض الشخصيات التي لم تُصرَع في الميدان ، والتي تعرف نتائج المعركة ، وليس بين هؤلاء من احب طلعة هذه الغابة كثيراً .

وفي استطاعتك أن تجمل موقفهم في هذه العبارة : « لا تمسّني ... يا جاك . »

وإذ كنت شخصية لم تُصرَع في الميدان طوال ثمان وعشرين سنة فقد كان في استطاعتي أن أفهم موقفهم . ولكنهم كانوا جنوداً ، وهكذا فإن أكثرهم صُرع في تلك الغابة وعندما احتلنا تلك المدن الثلاث التي في غاية البراءة والتي كانت في الواقع قلاعاً ومعاقل . لقد بُنيت على هذا النحو بالذات لاغرائنا ، ولم نكن قد سمعنا اية كلمة عنها البتة . ولكي اواصل اصطناع لغة صناعتي السخيفة اقول : ان هذا قد يكون مثلاً على «الاستخبارات الخاطئة» وقد لا يكون .

- « ان قلبي لينفطر حزناً على تلك الكتيبة . » كذلك قالت الفتاة . كانت قد استيقظت وتكلمت والنوم في عينها .

فقال الكولونيل : « أجل ؛ وكذلك أنا . دعينا نشرب نخبها مرة .
وبعد ذلك تستسلمين للرقاد ، يا بنيّتي ، ارجوكِ لقد انتهت الحرب
وأمتست خبراً منسياً . »

« أرجوك أن لا تتوهمي انني مغرور ، يا بنيّتي ، » كذلك قال من
غير أن يتكلم . كانت فتاته التي يحبها حباً صادقاً قد استغرقت في
النوم كرة اخرى . لقد نامت بطريقة تختلف عن طريقة فتاته المحترفة .
ولم يُحب أن يتذكر كيف كانت فتاته المحترفة تنام ؛ بل لقد أحبّ .
ولكنه أراد أن ينساها . إنها لم تكن تنام على نحو عذب ، كذلك قال
في ذات نفسه . لم تكن تنام مثل هذه الفتاة التي رقدت وكأنها
يقضى مفعمة بالحياة ؛ مع فارق واحد وهو انها كانت نائمة . نامي
نوماً عميقاً ، ارجوك ، كذلك قال في ذات نفسه .

ومن أنتِ ، بحق الجحيم ، حتى تنتقد الفتيات المحترفات ؟ كذلك
تسأل الكولونيل بينه وبين نفسه ، وأية حرفة بائسة حاولتها أنت
وأخفقتَ فيها ؟

لقد رغبت في ان اكون ، ولقد كنتُ ، جنرالاً في الجيش الاميركي .
ولكنني اخفقت ، فأنا أغمر من قناة جميع اولئك الذين نجحوا .

ولم تدم توبته طويلاً ، فقال في ذات نفسه : « باستثناء ذوي الانوف
السمراء ، » وأصحاب الخمسة بالمئة والعشرة بالمئة والعشرين بالمئة ، وجميع
اولئك الأغرار الآتين من كل مكان والذي لم يقاتلوا قط ولم يتولوا
القيادة قط .

لقد قتلوا رجالاً كثيرين من الأكاديمية في جيتيسبورغ . وكان ذلك
يوم مجزرة المجازر ، يوم كان ثمة قدر من المقاومة من الفريقين جميعاً .
لا تكن كئيباً . لقد قتلوا الجنرال ماك نير Mc Nair خطأ يوم أقبلت

الطائرات البريطانية التي دعوناها « أكسبريس فالهالا »^١ . إخلعُ عنك
هذه الكتابة . لقد قُتِلَ ناسٌ من الأكاديمية ، وثمة احصاءات تثبت ذلك .
كيف أستطيع أن أتذكر ان لم اكن كئيباً ؟
كن كئيباً ما شئت ، وحدثِ الفتاة الآن في صمت ، فلن يؤذيها
ذلك أبداً لأنها نائمة نوماً فاتناً جداً . ولقد قال « فاتناً » في ما بينه
وبين نفسه لأن تفكيره كان في كثير من الأحيان غيرَ نحويّ .

١ - راجع الفصل التاسع والعشرين من الرواية . (المعرب)

نامي نوماً رقيقاً ، يا من أحبها في صدق ، وعندما تفيقن يكون حديثي هذا قد انتهى ، وسوف اعلمك كيف تقلعين عن محاولة الاطلاع على تفاصيل «صناعة الحرب الكئيبة» ، وسنذهب لنشتري الزنجي الصغير ، او المراكشي الصغير المنقوش على الأبنوس ، بِسِيَّاتِهِ الساحرة وعمامته المرصعة بالجواهر . وعندئذ تعلقينه بالدبوس على صدرك ، وسوف نخفي لنشرب كأساً في حانة هاري ، او نعود الى هنا ، وسوف احزم امتعتي استعداداً للرحيل . اننا سنتبادل كلمات الوداع ، وسوف اركب السيارة مع جاكسون ، وأرشق المايسترو الاعظم بمزحةٍ بهيجة ، والوَّح بيدي الى ايام عضو آخر من اعضاء «منظمتنا» ولن يُقَدَّر لأحدنا - ألفاً في المئة ، كما اشعر في هذه اللحظة - أن يرى الآخر ، بعد ، أبداً الدهر .

يا للجحيم ، كذلك قال للأحد وفي صوت غير عال طبعاً ، لقد استشعرت مثل هذا الشعور قبل كثير من الممارك ، وفي فترة من خريف العام ، دائماً تقريباً ، ولدُنْ مغادرتي باريس دائماً . واغلب الظن انه لا يعني شيئاً .

ومن ذا الذي يبالي .، على اية حال ، غيري وغير المايسترو الاعظم وهذه الفتاة ؟ أعني على صعيد القيادة .
إني انا نفسي ابالي اكثر مما ينبغي . ولكن عليّ من غير ريب ،

بعد أن بلغت هذا السن ، أن اروض نفسي على اللامبالاة بأي شيء .
مثل تعريف البغيّ : المرأة التي لا تبالي ... الخ .
ولكننا لا نفكر في ذلك الغلام ، الملازم الاول ، الرئيس ، العقيد ،
الكولونيل ، الجنرال يا سيدي . سوف ننسأه كرة اخرى ، والى الجحيم
به ، وبوجهه القبيح الذي رسمه هيرونيموس بوش فعلاً . ولكن في
استطاعتك أن تُغمد منجلك ، يا اخي العجوز الذي يسمونك الموت ،
إذا كان لديك غمدٌ له . بل ان في استطاعتك ، كذلك اضاف وقد
فكّر الآن في معركة هورنجن ، ان تحمل منجلك وتحصد به ماشئت .
لقد كانت هي باشيندايل بقنابلها المتفجرة من خلف الاشجار ، كذلك
قال لأحد باستثناء الضوء العجيب المضطرب على السقف . ثم انه رنا الى
الفتاة ، ليتيقن من انها نائمة نوماً عميقاً بحيث لا تؤذيها أفكاره
وبعد ذلك نظر الى اللوحة ، وقال في ما بينه وبين نفسه : اني
لأراها في وضعين اثنين ، مضطجةً ومستديرة بعض الشيء ناظرة اليّ
مواجهةً على نحو مباشر . اني ابن عاهرة محظوظ ، ويتعين عليّ أن لا
أحزن لشيء .

في اول يوم من أيامنا هناك خسرنا ثلاثة من قادة الكتائب . فاما الأول فقُتِل خلال العشرين دقيقة الاولى ، وأما الآخران فصرعا بعد ذلك . ان هذا ليس غير احصاء يقدم الى صحافيّ ، ولكن قيادة الكتائب الصالحين لم يَنَموا في يوم من الأيام على الأشجار ، حتى ولا على شجرات عيد الميلاد التي كانت الشجرة الرئيسية في تلك الغابة انا لا ادري كم مرة خسرنا قادة سرايا أيضاً . ولكن في استطاعتي أن استقصي ذلك .

انهم لا يُصنعون ، ولا يُنَمون ، يمثل السرعة التي يُصنع بها او يُنَمى محصولُ بطاطا . لقد فزنا ببعض الأمداد ، ولكنني اذكر اني فكرتُ آنذاك ان اطلاق النار عليهم في البقعة التي ترحلوا عندها من الشاحنات أسهل وأكثر فعاليةً من محاولة اعادتهم من المكان الذي سُيُصرعون فيه ومواراتهم الثرى . ان اعادتهم هذه لتحتاج الى جند ، والى بنزين ، والى رجال يدفنونهم . وقد يكون هؤلاء الجند واولئك الرجال يخوضون غمار المعركة حيث يلقون مصرعهم ايضاً .

وكان ثمة تلج ، او شيء ما ، مطرٌ او ضباب ، طوال الوقت ؛ وكانت الطرق قد لُغِمت على نحو عميق يتسع لاربعة عشر لغمًا في بعض البقاع . فما تكاد السيارات تهبط مضطربة نحو سلسلة اخرى اعماق ، في جزء آخر من الارض الموحلة ، حتى نخسر دائماً ، بعض تلك السيارات ، ونخسر طبعاً

مَنْ تُقِيْلُهُ مِنْ الرِّجَالِ .

وبالإضافة الى مجرد ضربها بقنابل المورتر ضرباً جهنمياً ، وجعل خطوط النار كلها مشرطة للمدفعية الآلية السريعة ونيران الاسلحة الاوتوماتيكية ، فقد رتبوا كل شيء و«قنوه» بحيث يتحتم عليك ، مهما تكن تبرزم اصالة رأي وحصافة ، ان تقع في الشرك المنصوب . ليس هذا فحسب ، بل لقد كانوا يقصفونك ايضاً بقنابل المدفعية الثقيلة ، وبمدفع واحد من مدافع السكة الحديدية على الاقل .

كان مكاناً من اعسر العسير على المرء ان يبقى فيه حياً ، حتى ولو كان كل ما عمّله ان « يكون » هناك . وكنا نهاجم على نحو موصول ، وكل يوم .

فلنكف عن التفكير في ذلك . الى الجحيم به . ولعل ثمة شيئين سوف افكر فيها ، واتخلص منها . أحدهما هضبة جرداء يتعين عليك أن تجتازها لتبلغ «غروسهاو» Grossshau .

وقبيل اجتياز هذه المسافة ، التي كانت تحت هيمنة نيران من عيار ٨٨ ، كان ثمة قطعة من الارض الموات حيث لم يكن في استطاعتهم أن يصيبوك بغير مدافع الحصار ، او النيران المعوقة ، او من ناحية اليمين بمدافع المورتر . وحين انجزنا ذلك ، وجدنا أن ما لديهم من مدافع المورتر كان ييمن على الموقع هيمنة حسنة أيضاً .

كان ذلك موطناً آمناً نسبياً ؛ أنا لست اكذب في الواقع ، لا انا ولا ايما امرىء آخر . إنك لا تستطيع ان تخدع اولئك الذين كانوا في هورتجن ، واذا ما كذبت اكتشفوا ذلك حالما تفتح فمك ، سواء اكنت

١ من « قتي » ، « يقنتي » الشيء اي اجراه في قناة ونظّمه ، وقد استعملناها مقابل قوله canalized في الاصل .

كولونيلا ام لم تكن .

وفي هذا المكان التقينا شاحنة ، وخففنا سرعتنا . وكان وجهه رمادياً كالعادة ، وقال : « سيدي ، هناك جندي اميركي ميت وسط الطريق أمامكم ، وكلما مرت به سيارة تعين عليها أن تجري فوقه ، وأخشى أن يخلف ذلك انطباعةً سيئة في نفوس الجنود . »

- « سوف نرفعه من الطريق . »

وهكذا رفعناه من الطريق .

وفي استطاعتنا أن نتذكر كيف كان ملمسه ، وكيف سطّح وسوّي بالأرض ، وغرابة تسطّحه .

ثم كان هناك شيء آخر ، في ما اذكر . كنا قد ألقينا على المدينة مقداراً رهيباً من الفوسفور الأبيض قبل أن نستولي عليها نهائياً ، ولك ان تستبدل بلفظ «نستولي» هذا ايّ فعل تشاء . وكانت هذه هي اول مرة رأيت فيها كلباً المانياً يأكل نمساوياً ألمانياً مشوياً . وفيما بعد بصُرْتُ بهرة تنهش من لحمه أيضاً . لقد كانت هرة جائعة ، هرة وسيمة جداً . أنتِ لا تحسبين ان ايما هرة المانية صالحة قد تنزع الى نهش جندي الماني صالح ، أليس كذلك ، يا بنيّتي ؟ أو ان ايما كلب الماني صالح قد ينزع الى نهش حمار لجندي الماني صالح ، حمارٍ شوّي بالفوسفور الأبيض .

كم من مشهد مماثل تستطيع أن ترسمه ؟ مشاهد كثيرة من غير ريب ، ولكن اية فائدة ترجى من ذلك ؟ ان في امكانك ان تروي الف حكاية من هذا الضرب ، فلن يفضي ذلك الى منع نشوب الحرب . ان الناس سوف يقولون اننا لا نقاتل النمساويين ، والى هذا فاهرة لم تأكلني انا ولم تأكل أخي غوردون ، لأنه كان في المحيط الهادىء . ومن يدري ، فلعل سراطين البرّ قد أكلت غوردون . او لعله ذاب وماع

ليس غير .

وفي هورتجن انجمد الجند انجماداً ؛ كان الجو قارساً الى درجة جعلتهم
ينجمدون بوجوه متوردة . شيء غريب جداً . لقد كانوا كلهم شاحبين
صُفراً مثل المصنوعات الشمعية ، في الصيف . ولكن ما إن أُقبل
الشتاء حقاً حتى امست وجوههم متوردة .

ان الجنود الحقيقيين لا يخبرون احداً ، البتة ، كيف بدأ موتاهم ،
كذلك قال مخاطباً اللوحة الفنية . ولقد انتهت من هذا الموضوع كله .
ولكن ماذا عن تلك السرية التي أُفْنِيَتْ عن بكرة أبيها عند الجزء
الأعلى من الوادي ؟ اجل ، ماذا عن اولئك الجنود المحترفين ؟

لقد ماتوا ، كذلك قال في ذات نفسه . وفي استطاعتي أن اضطررب
وان اذهب الى الجحيم .

والآن من ذا الذي يرغب في ان يقاسمني كأساً من الفالبوليشيلا ؟
في اي وقت تظنين ان علي ان اوقظ صُنوكِ ، ايتها الفتاة ؟ ان علينا
ان نمضي الى ذلك الجوهرى . واني لأنتلح منذ الآن الى ارسال النيكات
والى التحدث عن ادعى الاشياء الى البهجة .

ولكن ما البهجة ، أيتها اللوحة الفنية ؟ ينبغي لك ان تعرفي .
فأنتِ أذكى مني ، برغم انك لم تطوّفي في الارض بقدر ما
طوّفتُ .

حسن ، ايتها الفتاة القماشية - كذلك قال لها الكولونيل من غير
ان يجهر بالصوت - سوف تُنْفَلِ هذا كله ، وبعد احدى عشرة
دقيقة سأوقظ الفتاة الحية وعندئذ نمضي الى المدينة ، ونأخذ بأسباب
البهجة ، ونختلفكِ هنا لكي يلفّوكِ .

انا لم اقصد ان اكون فظاً . كل ما في الامر اني كنت امزح
في شيء من الخشونة . اني لا اريد ان اكون فظاً أبداً الدهر ،
لاني سوف احيا معك منذ اليوم . انا ارجو ذلك ، هكذا أضاف ،
وتجرّع كأساً من الخمر .

كان يوماً مشرقاً ، بارداً ، لاذعاً ، ووقفا قبالة واجهة دكان الجوهري
وتأملاً رأسيّ وجسميّ الزنجيين الصغيرين المنقوشين على الابنوس ،
والمرصعين بالجواهر . إن احدهما لا يقل روعة عن الآخر ، كذلك
قال الكولونيل في ذات نفسه .

- « ايها تفضلين يا بنيّتي ؟ »

- « الذي الى اليمين ، في ما احسب . ألا تعتقد معي أنه ذو
الوجه الأجل ؟ »

- « ان لكل منها وجهاً جميلاً . ولكني كنت اوثر أن اكلفه
بخدمتك لو كنا نعيش في العصور الغابرة . »

- « حسن . سوف نشتريه . فلندخل ونرى اليها . يتعين عليّ أن
اسأل عن الثمن . »

- « سوف ادخل معك . »

- « ولكن دعني أنا اسأل عن الثمن . فخليقٌ بالجوهري أن يتقاضاني
ثمناً أقلّ مما قد يتقاضاك . فأنت على اية حال ، اميركي موسر . »

- « وأنتِ ؟ رامبو ؟ »

فقال له الفتاة : « في استطاعتك ان تنتحل شخصية فيرلين على
نحو مضحك الى حد وهيب . وسوف نتحل شخصيات مشاهير آخرين . »

- « هيا ادخلي ، يا صاحبة الجلالة ، وسنشتري الجوهرة الذهبية
للعبنة . »

- « وأنت لن تصلح كثيراً جداً لانتحال شخصية لويس السادس عشر ايضاً . »

- « أنا مستعد لأن أركب العربة القلابة ' معك ' ، وأظلّ مع ذلك قادراً على ان ابصق . »

- « دعنا ننسى جميع العربات القلابات ، وأحزان الناس كلهم ، ونشتري ذلك الشيء الصغير ، وعندئذ نستطيع ان نتصل تلفونياً بمنزل سيبرياني ، ونصبح من مشاهير القوم . »

وفي داخل المحل نظرا الى الرأسين ، وسألت عن الثمن ، ثم دار حديث جدّه سريع ، وخفض الثمن تخفيضاً كبيراً ، ومع ذلك فقد ظل اكثر مما كان في جيب الكولونيل من المال .

- « سوف اذهب الى منزل سيبرياني واجيء ببعض المال . »

- « لا ، » كذلك قالت الفتاة . ثم التفتت الى المستخدم وازافت : « ضعه في علبة ، وابعث به الى بيت سيبرياني ، وقل ان الكولونيل يريد منهم ان يدفعوا ثمنه ويحتفظوا له به . »

فقال المستخدم : « من فضلك . كما تقولين تماماً . »

وغادرا المحل الى الشارع ، وضياء الشمس ، والريح التي ما تهدأ .
- « وبالمناسبة ، » كذلك قال الكولونيل ، « ان احجارك الزمردية هي موضوعة على اسمك في الصندوق الحديدي بفندق غريتي . »

- « احجارك الزمردية . »

- « لا ، » كذلك قال لها ، ليس في خشونة ، ولكن لكي يجعلها تفهم على نحو حاسم . « ان ثمة أشياء لا يستطيع المرء أن يقدم عليها . إنك تعرفين هذا . فأنت لا تستطيعين ان تتزوجيني ، وانا ادرك ذلك ، »

١ - Tumbril وهي العربة التي كان ينقل بها ضحايا الثورة الفرنسية الى المقصلة وكان المؤلف قد شبه الفتاة بباري انطوانيت في العربة القلابة . راجع الفصل الثاني عشر (المرب)

على الرغم من اني لا اقرؤه . .
فقال الفتاة : « حسن جداً . فهمت . ولكن ألا نستطيع أن
تأخذ واحداً منها استجلاباً للحظ؟ »
- « لا . لست أستطيع . انها ثينة اكثر مما ينبغي . »
- « ولكن للوحة الفنية ثناً ايضاً .
- « هذا شيء مختلف . »

فأقرته على ذلك قائلة : « اجل ، أظن ذلك ، يخيل اليّ اني بدأت
أفهم . »

- « لقد كان خليقاً بي أن أقبل منك فرساً ، لو كنت فقيراً او
شاباً أو شديد البراعة في ركوب الخيل . ولكني لا أستطيع أن أقبل
منك سيارة . »

- « الآن فهمتُ المسألة فهماً جيداً . اين نستطيع ان نذهب ،
الآن ، في هذه الدقيقة ، حيث يكون في ميسورك ان تقبلني؟ »
- « فلنذهب الى هذا الزقاق الجاني ، ان كنت لا تعرفين احداً من
المقيمين فيه . »

- « لست ابالي بمن يقيمون فيه . أنا اريد ان أحسّ بك تضمني في
شدة وتقبلني . »

وانعطفنا الى الشارع الجاني ، ومشيا نحو نهايته غير النافذة .

وقالت : « اوه ، ريتشارد ! اوه ، يا عزيزي ! »

- « أحبك . »

- « ارجوك ان تحبني . »

- « انا افعل . »

وكانت الريح قد طيرت شعرها الى فوق وحول عنقه ؛ وقبلها
كرة اخرى وشعرها يلطمه ، حريري الحواشي ، على خديه كليهما .
ثم انها تلمصت منه ، فجأة وفي قوة ، ورّنت اليه وقالت : « احسبُ

ان من الخير لنا ان نذهب الى حانة هاري .
- « احسبُ ذلك . هل تريدان أن يمثل كل منا شخصية من شخصيات
التاريخ ؟ »

فقلت : « أجل ، فلنزم انك أنتَ أنتَ وأنا أنا . »
فقال الكولونيل : « فلنزم ذلك . »

لم يكن في حانة هاري احدٌ غير بعض المصطحبين المبكرين الذين لم يعرفهم الكولونيل ورجلين يعقدان صفقة تجارية في مؤخرة المشرب . كانت تمر بجانة هاري ساعات تغصّ فيها بأناسٍ تعرفهم ، في النظامية المندفعة نفسها التي يُقبل بها الممدّ عند «مونت سانت ميشيل» . مع فارق واحد ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، وهو ان ساعات المد والجزر تختلف كل يوم تبعاً للقمر ، على حين أن الساعات في حانة هاري مثل خط هاجرة غرينتش ، او المتر القياسي في باريس ، او حُسُن رأي العسكريين الفرنسيين في انفسهم .

وسأل الفتاة : « هل تعرفين أيّا من هؤلاء الشرب الصباحيين ؟ »
 - « لا . أنا لست بمن يألّفون الاضطباح ، ومن اجل ذلك لم ألتقِ بهم البتة . »

- « سوف يُكنسون عندما يُقبل الممدّ . »
 - « لا ، انهم سوف يفارقون الحانة ، عندما يُقبل ، من تلقاء انفسهم . »
 - « هل تعارضين في الاختلاف الى هنا في غير اوان الاختلاف ؟ »
 - « أتحسبني مُحدثة نعمة لأنني انتمي الى اسرة عتيقة ؟ إننا نحن الذين ليسوا بمُحدثي نعمة . ان محدثي النعمة هم اولئك الذين تدعوهم أغراراً

١ - الشاربين الحمر صباحاً .

حقيرين واولئك الذين يملكون كل الثروة الجديدة . هل قدر لك ان ترى ثروات جديدة ضخمة الى هذا الحد؟

فقال الكولونيل : « اجل . لقد رأيتها في «كانساس سيتي» عندما كان من دأبي ان أفد اليها من «فورت رايلي» لألعب البولو في نادي الاقليم . »

- « هل كانت تجربتك هذه رديئة كما هي هنا ؟ »

- « لا . لقد كانت سائفة جدا . لقد احببتُ هذا ، وإن ذلك

الجزء من «كانساس سيتي» لجميل جداً . »

- « أهو كذلك فعلاً ؟ لشدّ ما اتمنى لو نستطيع الذهاب الى هناك .

وهل لديكم هناك ، أيضاً ، تلك المعسكرات التي نعترم ان ننزل فيها ؟ »

- « من غير ريب . ولكننا سوف ننزل في فندق «موليباخ» حيث

توجد اضخم السرر في العالم ، وسوف نتظاهر بأننا من اصحاب الملايين . »

- « وأين سنترك الكاديلاك ؟ »

- « أهي كاديلاك الآن ؟ »

- « أجل ، الا اذا اردت ان تأخذ الـ «بيويك» ، طراز «سيد

الطرق» Roadmaster «ذات القيادة الديناميكية الدافقة» Dynaflo drive

لقد قدّمها مجتازة بها طرق اوروبه كلها . ولقد رأيت اعلاناً عنها في

آخر عدد بعثت به اليّ من مجلة «فوغ» vogue . »

فقال الكولونيل : « لعل من الخير لنا أن يقودها كلٌ منا في آن .

وسواء أقررنا الكاديلاك او البيويك فسوف نبيتها في المرأب المهادي

لفندق موليباخ . »

- « وهل فندق موليباخ فخم جداً ؟ »

- « إنه رائع . وسوف تحبّينه . وعندما نغادر البلدة سنقود السيارة

الى سانت جو ، ونحتمي كأساً في المشرب ، في «الروبيدو» ، وربما

كأسين ، ثم نعبّر النهر وننتقل في اتجاه الغرب ؛ وفي استطاعتنا أن نتناوب .

- « وما معنى هذا ؟ »

- « معناه ان تقودي انت حيناً واقود انا حيناً . »

- « اني اقود السيارة الآن . »

- « فلنَجْتَزُ الجزء الريب ، ونغضي الى «تشيمني روك» ثم الى «سكوتس بلاف» و «تورينغتون» ، وبعد ذلك يقع ناظرِك عليه . »

- « لديّ خرائط الطرُق ، وكتب ارشاد المسافرين ، وذلك الرجل الذي يهديك الى حيث تتناول الطعام ، ودليل A.A.A. الى المعسكرات والفنادق ، « هل تنفقين في هذه الدراسة وقتاً طويلاً ؟ »

- « اني اقوم بها في الأمسيات ، مستعينة بالأشياء التي زودتني بها . اي نوع من الاجازة سوف يكون لنا ؟ »

- « ميسُوري . ولسوف نشترى السيارة في كانساس سيتي . اننا نركب الطائرة الى كانساس سيتي ، ألا تذكرين ؟ أو ربما استطعنا ان نقصد اليها على متن قطار فخم حقاً . »

- « لقد حسبتُ اننا ركبنا الطائرة الى آل بوكيرك . »

- « كان ذلك في مناسبة اخرى . »

- « ولسوف نقف في ساعة مبكرة من الأصيل عند افضل فندق مذكور في دليل A.A.A. ، من تلك الفنادق التي تؤوي السياح وتؤدي سياراتهم ايضاً ، ولسوف أُعدّ لك ايما شراب ترغين فيه ، وانت تطالعين الصحيفة أو تقرئين مجلة «لايف» أو «تائم» أو «نيوزويك» ، في حين اقرأ أنا العدد الجديد من «توغ» أو «هاربرز بازار» . »

... « اجل ، ولكننا سوف نرجع الى هنا ، ايضاً . »

- « طبعاً مع سيارتنا . على باخرة ايطالية . افخم باخرة نفع

- عليها آنذاك . ولسوف نركب السيارة من جنوا الى هنا مباشرة .
- « ألا تريدان ان نبيت ليلتنا تلك في ايما مكان ؟ »
- « لماذا ؟ اتنا نريد ان نغضي الى بيتنا على التو . »
- « واين سيكون بيتنا ؟ »
- « في ميسورنا ان نقرر ذلك في ايما وقت . ان ثمة دائماً عدداً وافراً من البيوت في هذه البلدة . هل تحب ان تقيم في الريف ايضاً ؟ »
- « اجل ، كذلك قال الكولونيل . « لم لا ؟ »
- « عندئذ يكون في استطاعتنا ان نرى الاشجار حين نستيقظ .
- ايّ ضرب من الاشجار سوف نرى في هذه الرحلة ؟ »
- « الصنوبر في الأعم الأغلب ، والقطن على ضفاف الجداول ، والرجاج .
- انتظري حتى تَرَيَ الرجّاج يصفرّ في الخريف . »
- « أنا منتظرة . أين سنقيم في ويومنغ ؟ »
- « سوف نذهب الى شيريدان ، اولاً ، ثم نقرر بعد ذلك . »
- « هل شيريدان جميلة ؟ »
- « إنها فاتنة . وسنقود السيارة الى حيث جرت معركة عربات نقل البضائع ، ولسوف احدثك عن ذلك . ثم نواصل انطلاقنا ، في الطريق الى بيلينغر ، الى حيث قتلوا ذلك المعتوه جورج آرمسترونغ كاستر ، وفي استطاعتك ان تَرَيَ شواهد القبور حيث مات القوم جميعاً ، وسأشرح المعركة لك . »
- « سوف يكون هذا رائعاً . اي المدن أشبه بشيريدان : مانتوفا ، أم فيرونا ، أم فيسينزا ؟ »
- « ان شيريدان لا تشبه أيّاً من هذه . انها قائمة قبالة الجبال

١ - ضرب من الحور .

٢ - Custer جنرال اميركي قاتل الهنود المحر ١٨٣٩ - ١٨٧٦ . (المرعب)

مباشرة ، مثل سكيو تقريباً .»

... «أهي تشبه كورتينا اذن ؟»

— «لا ، لا ، هي لا تشبهها بأية حال . ان كورتينا وادٍ في الجبال .
أما شيريدان فتقع قبالة الجبال تماماً . وليس ثمة ايما هضاب مُفضية
الى «القرن الكبير»^١ . انها تنبتق سامقةً من النجد . وفي ميسورك ان
تري قمة السحاب .»^٢

— «وهل ستسلكها سيارتانا كما ينبغي ؟»

— «انا واثق من ذلك . ولكني اوثر ان لا نصطنع ايما سيارة
هيدروماتيكية القيادة .»

فقال الفتاة : «في استطاعتي ان استغني عن ذلك .» ثم انها تماسكت
لكي لا تتفجر الدموع من عينيها ، وازافت : «كما استطيع ان استغني
عن اي شيء آخر .»

وقال الكولونيل : «ما الذي تشربين ؟ اننا لم نطلب حتى الآن
شيئاً ما .»

— «لست احسب انني سأشرب شيئاً .»

فقال الكولونيل للشريي : «كأسين من المارتيني الصِّرف ، وزجاجة
ماء بارد .»

ومد يده الى جيبه ، وأدار لولب زجاجة الدواء ثم هزها متناولاً
بيده اليسرى اثنين من اقراصها الضخمة . وبعد ذلك أعاد ادارة اللولب
والقرصانِ في يده . ولم يكن ذلك بالأمر اليسير بالنسبة الى رجل ذي
عين معطوبة .

١ - Big Horns سلسلة من الجبال في شمال ويومنج بالولايات المتحدة (المغرب)

٢ - Cloud's peak هي اعلى قمة في سلسلة جبال «القرن الكبير» ويبلغ ارتفاعها ١٣١٦٠
قدماً . (المغرب)

- « لقد قلت اني لا اريد ان اشرب شيئاً . »

- « ادري ، يا بنيّتي . ولكنني حسبت انك سوف تحتاجين الى كأس . في استطاعتنا ان نبقّيهما فوق المشرب . او لعل في استطاعتي ان اشربها انا . » ثم اضاف : « ارجوك . أنا لم أرِد أن اكون فقط . »

- « نحن لم نسال عن الزنجي الصغير الذي سيُعنى بأمرى . »

- « لا . لأنني لم أرِد أن أسأل عنه الا بعد ان يعود سيبرياني وأصبح قادراً على دفع ثمنه . »

- « أيكون كل شيء صارماً الى هذا الحد ؟ »

فقال الكولونيل : « عندي أنا ، في ما احسب . أنا آسف ، يا بنيّتي . »

- « قل يا بنيّتي ثلاث مرات في الحال . »

- « هيجا Hija ، فيغليا figlia بنيّتي . »

فقالت : « لست ادري . يخيل اليّ ان علينا ان نغادر هذا المكان . »

انا احب أن يرانا الناس ، ولكنني لا اريد أن أرى احداً . »

- « العلبة المشتمة على الزنجي موضوعة فوق الآلة الحاسبة . »

- « ادري . لقد رأيتها منذ فترة . »

وأقبل المشربيّ حاملاً الكأسين ، مثلوجتّين من برودة الزجاج المثلجة ، والى جانبيهما كأس ماء .

وقال الكولونيل : « أعطني تلك الرزمة الصغيرة التي جاءت باسمي ، »

والموضوعة فوق الآلة الحاسبة . قل لسيبرياني اني سوف ابعث اليه بئونها على صورة شيك . »

- « هل تريدن كأسك ، يا بنيّتي ؟ »

- « اجل ، اذا لم يكن لديك مانع يحول بيني وبين تغيير رأيي أيضاً . »

وشرباً ، بعد ان قرعا كأسيهما قرعاً رقيقاً .. رقيقاً الى درجة جعلت احتكاكهما لا يكاد يُلحظ .

- « لقد كنتَ على حق ، ، كذلك قالت مستثمرة دفثها وقضاءها المؤقت على الأسى .

- « وكنتِ أنتِ على حق أيضاً ، ، وخبأ القرصين في راحة يده .

لقد بدا له ، الآن ، ان أخذهما مع الماء ينمّ عن ذوق سقيم وهكذا لم تكذ الفتاة تدير وجهها لحظة لتراقب احد المصطحبين يغادر المكان حتى ازدردهما مع المارتيني .

- « هل تنصرف ، يا بنيتي ؟ »

- « نعم . من غير ريب . »

ونادى الكولونيل المشربيّ وقال : « ما ثمن هاتين الكأسين ؟ ولا تنس

أن تخبر سيبرياني اني سأرسل اليه شيكاً مقابل هذا الهراء . »

وتناولوا طعام الغداء في فندق «غريتي» ، وكانت الفتاة قد نزعت الغطاء عن الزنجي الأبنوسي الصغير وعلقتة بدبوس على كتفها اليسرى . كان طوله نحواً من ثلاث بوصات ، وكان رائعاً في عينيك اذا كنت مولعاً بمثل هذا الضرب من الأشياء . واذا لم تكن فأنت أبله ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه .

وخاطب نفسه بقوله : ولكن عليك ان تقلع حتى عن مجرد التفكير الفظ ان الواجب يقتضيك الآن ان تكون دمثاً في كل شيء الى ان تلفظ كلمة الوداع . وفكّر : يا لها من كلمة ... كلمة «وداعاً» هذه ! انها تبدو مثل شعار غرامي .

good bye bonne , chance , hasta la vista . لقد كان من دأبنا دائماً ان نكتفي بقول merde^٢ وينقضي الأمر ان كلمة farewell ، كذلك قال في ذات نفسه ، لفظة حلوة . إن لها في الآذان لوقعاً حسناً ، كذلك فكر ، اذن farewell^٣ بل farewell طويلاً ، تأخذينها معك حيناً تذهبين . والى أقصى درجة ممكنة ، كذلك فكر .

١ - هذه التماييز كلها تفيد تمي الحير عند الفراق ، الاولى انكليزية . والثانية فرنسية ، والثالثة اسبانية . (المرب)

٢ - لفظة فرنسية من معانيها «بئس» و «البراز» و «الغانط» . (المرب)

٣ - تعبير انكليزي بمعنى «وداعاً» (المرب)

وقال : « يا بنيقي ! منذ متى قلت لك اني احبك آخر مرة ؟ »

- « ليس منذ ان جلسنا الى المائدة . »

- « اني اقول لك ذلك الآن . »

وكانت قد سرّحت شعرها في أناة عندما وقدا على الفندق ، وكانت قد شخصت الى الحجرة المخصصة للنساء كانت تبغض تلك الحجرات .

وكانت قد اصطنعت اصبع الشفاه لتكون الفم الذي عرفت انه يحبه اكثر من اي فم آخر ؛ وكانت قد قالت لنفسها وهي ترسم ذلك الفم على الوجه الصحيح : « لا تفكري البتة . وفوق كل شيء لا تحزني لأنه سوف يمضي الآن لسبيله »

- « انت تبدين جميلة . »

- « شكراً . اني لأحب ان اكون جميلة من اجلك اذا استطعت ،

واذا استطعت ان اكون جميلة . »

- « الايطالية لفة حلوة . »

- « اجل ، هكذا كان يظن مستر دانتي . »

وقال الكولونيل : « ايها المايسترو الاعظم . ماذا عندك من طعام في

هذه الـ wirtchaft ؟ »

وكان المايسترو الاعظم يلاحظ ، من غير ملاحظة ، في محبة ومن غير حسد .

- « هل تريد لها ام سمكاً ؟ »

فقا الكولونيل : « اليوم يوم سبت ، السمك ليس إلزامياً . وهكذا

سوف آخذه . »

فقال المايسترو الاعظم : « إنه سمك موسى . ماذا تريد يا سيدتي ؟ »

- « ايما شيء نقرره انت . انت أعلم مني بشؤون الطعام ، وأنا أحب

كل ما تختاره لي . »

« اتخذي قراراً ، يا بنيّتي . »

« انا اوتر أن أترك ذلك لمن هو أعلم مني . إن لي شهوة الى الطعام كشهوة تلميذ في مدرسة داخلية . »

« سوف اجعلها لك مفاجأة ، » كذلك قال المايسترو الاعظم بوجه الطويل المحبّ ، وحاجبيه الاشيبين فوق عينين مُقلَّنتَين^١ ووجه سعيد ابدأ كوجه الجندي العتيق الذي لا يزال على قيد الحياة ، والذي يقدر هذه الواقعة حتى قدرها .

وسأله الكولونيل : « هل لديك أية أنباء عن المنظمة ؟ »

« ليس ثمة شيء باستثناء ان زعيمنا ، إياه ، في محنة . لقد صادروا كل ما يملك أو لقد تدخلوا ، على الأقل . »

« ارجو أن لا يكون ذلك جدّياً . »

« سوف نمنح زعيمنا الثقة . لقد خرج ظافراً من عواصف اسوأ من هذه . »

فقال الكولونيل : « فلنشرب نخب زعيمنا ! »

ورفع كأسه ، التي كانت قد أتعت بخمر فالبوليشيلا حقيقية جديدة مروّقة . واطاف : « لإشربي نخبه^٢ ، يا بنيّتي . »

فقالت الفتاة : « انا لا استطيع ان اشرب نخب ذلك الخنزير . والى هذا فأنا لست عضواً في المنظمة . »

فقال المايسترو الاعظم : « انت الآن عضو فيها . بفضل الحرب

« Por merito di guerra

فقالت : « سوف اشرب نخبه اذن . هل أنا عضو في المنظمة حقاً ؟ »

فقال المايسترو الأعظم : « نعم . انت لما تتلقّي وثيقة عضويتك ،

١ - كان كلا منها تعتمر بقلنسوة .

ولكني اعينك سكرتيرة شرفِ عليا . أدلِ اليها بأسرار المنظمة ،
أرجوك ، يا زعيمي . »

فقال الكولونيل : « سوف أدلي . أليس حولنا ايّ رجل مجدور ؟ »
- « لا . لقد انصرف مع سيدته . مسّ بيديك . »

فقال الكولونيل : « حسن ، اذن . سوف أدلي بالأسرار . ان ثمة
سراً رئيسياً واحداً يتعين عليك ان تعرفيه . سدّني ، ايها المايسترو
الأعظم ، اذا ما تورّطت في خطأ ما . »

فقال المايسترو الاعظم : « هيا ، استهلّ حديثك . »

فقال الكولونيل : « سوف استهل . إنتبهني جيداً ، يا بنيّتي . هذا هو
السر الأعظم . اسمعي : الحب حبّ والمزاح مزاح . ولكن الهدوء الساجي
يرين كلما ماتت السمكة الذهبية . »

فقال المايسترو الاعظم : « لقد أدليّ بها . »

فالت الفتاة : « انا جاد فخورة وسعيدة بأن اكون عضواً في المنظمة .

ولكنها ، بطريقة ما ، منظمة فظة بعض الشيء . »

فقال الكولونيل : « انها كذلك حقاً . والآن ، ايها المايسترو الاعظم ،

ما الذي نستطيع أن نأكله ، فعلاً ، من غير أسرار ؟ »

- « بعض انشيلادا السراطين ، على طريقة هذه البلدة ، ولكنها باردة ،

أولاً . ومسكوبة في الصدفة . وبعد ذلك تطعمُ انت سمك موسى ،

وتطعمُ سيدتي شيئاً من اللحم المشوي المخلّط . ما الحُضْر التي تفضلها ؟ »

فقال الكولونيل : « أيما ضرب موجود عندك . »

ومضى المايسترو الاعظم لسبيله ، ورتا الكولونيل الى الفتاة ، ثم الى

القناة العظمى خارج النافذة ، ورأى البقع السحرية وتغيرات الضوء

المضطربة حتى هنا ، في أقصى المشرب ، الذي كان قد حوّل بيد ماهرةٍ

صناعٍ ، الى حجرة طعام ، وقال : « هل قلت لك ، يا بنيّتي ، اني

احبك ؟ »

« انت لم تقل لي ذلك منذ فترة طويلة . ولكنني احبك . »

« ما الذي يحلّ بالذين يحبون بعضهم بعضاً ؟ »

« أحسب أنهم يُصيبون ما يصيبونه ، وانهم أعظم سعادة من غيرهم .

ثم ان واحداً منهم يستشعر الفراغ الى الأبد . »

فقال الكولونيل : « لن اكون فظاً . كان في ميسوري ان أطلق

جواباً خشناً . ولكن ارجوك ، لا تستشعري أيّ فراغ . »

فقال الفتاة : « سأحاول . ولقد حاولتُ منذ أفقتُ من نومي . بل

لقد حاولت منذ أن عرف احدنا الآخر . »

فقال الكولونيل : « تابعي المحاولة ، يا بنيتي . »

ثم التفت الى المايسترو الاعظم ، الذي عاد الى الظهور بعد ان

اصدر اوامره ، وقال : « زجاجة من تلك الخمر الصنف *Vino secco* ،

من فيزوف ^١ ، من أجل سمكات موسى الصغيرة . ان عندنا خمر الـ

«فالبوليشيلا» للأشياء الأخرى . »

فسألته الفتاة : « ألا تستطيع أن احتسي خمر فيزوف مع اللحم المشويّ

المخلّط ؟ »

فقال : « طبعاً ، يا ريناتا ، يا بنيتي . في استطاعتك ان قفلي

اي شيء . »

« انا احب ان احتسي عين المسكرات التي تحتسيها انت ، اذا ما

احتسيتُ الخمر . »

فقال لها الكولونيل : « الخمر البيضاء ، الجيدة سائفة مع اللحم المشويّ ،

في سنك . »

« كنت اتنى لو لم يكن بيننا مثل هذا الاختلاف في السن . »

١ - بركان «فيزوف» الشهير ، قرب نابولي . (المرب)

فقال الكولونيل : « أنا احب ذلك كثيراً . » ثم اضاف : « باستثناء .. »
ولكنه لم يتم ما كان يريد ان ينصّ عليه . وقال : « فلنكن ناضرين متوردين »

كشأننا يوم المعركة fraîche et rose comme au jour de bataille

« من قال هذا الكلام ؟ »

« ليس لديّ اقل فكرة . لقد تلقّفتُهُ يوم تلقّيتُ بعض الدروس
في « كلية المارشالات » Collège des maréchaux . انه اسمٌ يتمّ عن شيء
من الادعاء . ولكنني تخرّجتُ . إن ما اعرفه احسن المعرفة تعلمته من
النمساويين .. من دراستي ايامهم ومقاومتي لهم . انهم خير الجنود .
ولكنهم يضعون النصر ، دائماً لفرط اجهادهم النفس من اجل الفوز به . »
- « فلنكن مثل ما قلت ، وارجوك ان تقول لي انك تحبني . »

فقال : « احبك . ذلك شيء تستطيعين ان تثقي به . فأنا أصدُقُكَ -
القول . »

وقالت : « اليوم السبت ، ما سيكون السبت القادم ؟ »

- « السبت القادم عيدٌ غير ثابت التاريخ ، يا بني . أعطيني رجلاً
يستطيع أن يحدثني عن السبت القادم . »

- « كان في استطاعتك ان تحدثني لو شئت . »

- « سأسأل المايسترو الاعظم ، فلمله يعرف . أيها المايسترو الاعظم ،

متى سيقع السبت القادم ؟ »

فقال المايسترو الاعظم : « في الفصح او في عيد الثالوث الأقدس . »

- « لماذا لا تصلنا من المطبخ اية روائح تنعشنا ؟ »

- « لأن الريح تهب من الوجهة المعاكسة . »

أجل ، كذلك قال الكولونيل في ما بينه وبين نفسه . ان الريح
تهب من الوجهة المعاكسة ، وكَم كان خليقاً بي أن اسعد لو حظيت بهذه
الفتاة بدلاً من تلك المرأة التي ادفع لها نفقةً ، والتي عجزت حتى عن
انجاب ولد . لقد أجزّت نفسها من اجل ذلك . ولكن من ذا الذي

يجب ان ينتقد «أناييب» الآخر ؟ اننا لا انتقد غير «غودريتش» ، او «فايرستون» او «جنرال .»

وقال لنفسه : احتفظ بنظافة تفكيرك . وأحب فتاتك .
كانت الآن الى جانبه ، تتمنى لو تُحَبِّبَ ، اذا ما كان لديه شيء من الحب يمنحه .

وعاودته ، كما عاودته دائماً ، عندما رآها ، وقال : « كيف انتِ بشعر جناح الغراب وبالوجه الذي يكسر القلب ؟ »
- « انا في أحسن حال . »

فقال الكولونيل : « ايها المايسترو الاعظم . أنفحننا ببعض الروائح أو بشيء من مطبخك الخلفي المحبوب ، حتى ولو كانت الريح ضدنا . »

كان بواب الردهة قد تلفن ، بأشارة من بواب الفندق ، وكان الزورق البخاري هو عين ذلك الذي امتطيا متنه من قبل . وكان جاكسون في الزورق ، ومعه الامتعة والصورة الزيتية ، ملفوفة على نحو حسن محكم . وكانت الريح لا تزال تهب عاصفة . وكان الكولونيل قد دفع فاتورته ومنح البخاشيش المناسبة . وكان مستخدمو الفندق قد حملوا الامتعة والصورة الى الزورق ورأوا ان جاكسون قد استوى قاعداً فيه . ثم انقلبوا الى الفندق .

وقال الكولونيل : « حسناً يا بني . »

- « ألا تستطيع أن أمضي معك الى المرأب ؟ »

- « سوف يكون الوضع على مثل هذا السوء في المرأب . »

- « ارجو أن تجيز لي ركوب الزورق الى المرأب . »

فقال الكولونيل : « حسن جداً . انها فرصتك المتاحة ، حقاً . إنزلي . »

ولم يتحدثا قط . وكانت ريحاً خلفية بحيث بدا ، أي ما كانت السرعة

التي انطلق بها المحرك المعجوز التالف ، وكأنه لم يكن ثمة ريح البتة .

وعند المهبط ، حيث راح جاكسون يدفع الامتعة الى احد الجمالين

ويُغني بالصورة الزيتية بنفسه ، قال الكولونيل : « هل تريدان ان تقولي لي

كلمة الوداع هنا ؟ »

- « أيتعين علي ذلك ؟ »

- « لا . »

- « هل تسمح لي أن أمضي الى مشرب المرأب ريثما تنزلون السيارة ؟ »

- « سوف يكون هذا أشد سوءاً . »

- « لست ابالي . »

- « إحمل هذه الأشياء الى المرأب وكنف شخصاً ما بالمحافظة عليها
ريثاً تُنزل السيارة ، » كذلك قال الكولونيل لجاكسون . « افحص بناذقي
واحزم هذه الأشياء بحيث تُبقي أكبر حيز ممكن في المقعد الخلفي . »

فقال جاكسون : « سمعاً وطاعة ، ياسيدي . »

وسألته الفتاة : « أنا ذاهبة اذن ؟ »

فقال لها الكولونيل : « لا . »

- « لماذا لا تستطيع ان اذهب ؟ »

- « انت تعرفين جيداً . انك غير مدعوة . »

- « لا تكن خبيثاً ، ارجوك . »

- « يا للمسيح ! ليتك ، يا بنيتي ، تعرفين كم احاول ان لا اكون

كذلك . إنه لمن اليسير على المرء ان يكون خبيثاً . والآن ، فلندفع الى

هذا الرجل اجرتة ، ولنمض فنجلس على المقعد الذي هناك ، تحت

الشجرة . »

ودفع الاجرة الى صاحب الزورق البخاري وقال له انه لم ينسَ ما

كان قد وعدهُ به من تزويده بمحرك سيارة « جيب » . وقال له ان لا

يتكل عليه كل الاتكال ، ولكن أمه كبير في أن يوفق الى الفوز

بالمحرك .

- « سوف يكون محركاً مستعملاً . ولكنه سيكون خيراً من ركوة

القهوة هذه التي تدير زورقك الآن . »

وارتقيا درجات السلم الكهربية ، ومشيا عبر الحصى ، وجلسا على مقعد

تحت الاشجار .

كانت الاشجار سوداء ، وكانت تتأيل مع الريح ، ولم يكن عليها

اوراق البتة . كانت الاوراق قد تساقطت في وقت مبكر ، تلك السنة ،

وكانت قد كُنِست منذ عهد بعيد .

وأقبل رجلٌ فعرض عليها شراء بعض البطاقات البريدية ، ولكن الكولونيل قال له : « اغرب من هنا ، يا بني . لسنا الآن في حاجة اليك . » كانت الفتاة تبكي ، اخيراً ، برغم أنها كانت قد عقدت العزم على ان لا تبكي ابداً .

وقال الكولونيل : « انظري ، يا بنيّتي . ليس ثمة شيء نقوله . إنهم لم يضعوا «ممتصات الصدمات» في هذه العربة التي تركيبها الآن . » فقالت : « لقد كَفَفْتُ عن ذلك . انالست هستيرية المزاج . » - « لست انزع الى القول أنك كنت كذلك لا ، يخيّل اليّ أنك أهدى فتاة ، وأجمل فتاة ، قدّر لها أن تحيا على ظهر هذه الارض . في ايما زمان . وايما مكان . »

« لو صحّ هذا فأنيّ فرق يُحدثه ؟ »

فقال الكولونيل : « لقد غلبتني في ذلك . ولكنه صحيح . »

« والآن ما الذي سنفعله ؟ »

« الآن سوف نهض ، وتبادل القُبُل ، ونقول وداعاً ! »

« وما ذاك ؟ »

فقال الكولونيل : « لست ادري . يخيّل الي أنه احد الأشياء

التي يتعّين على كل امرئ أن يتصورها بنفسه . »

« سأحاول أن أتصوره . »

« ليس عليك إلا أن تهوّنني عليك ، جهد طاقتك ، يا بنيّتي . »

فقالت الفتاة : « اجل ، في العربة غير المزوّدة بممتصات صدمات ! »

« لقد كنتِ طعاماً للعربة القلابة منذ البدء . »

« ألا تستطيع أن تفعل ايما شيء بلطف ودماثة ؟ »

١ - هي العربة التي كانت تنقل ضحايا الثورة الفرنسية الى المقصلة (المرب)

- « احسب اني لا استطيع . ولكنني حاولت . »

- « ارجوك ان تواصل المحاولة ذلك هو كل الأمل الذي لنا . »

- « سوف اواصل المحاولة . »

وهكذا شدتها اليه وشدته اليها في احكام ، وتبادلا القُبَل في قوة وحرارة ، وقاد الكولونيل الفتاة عبر المجاز المفروش بالحصى ومن ثم الى السلم الحجرية .

- « يتعين عليك أن تأخذي زورقاً جيداً . لا ذلك الزورق البخاري

العتيق ذا المحرك المنفي من وطنه . »

- « اني لأوثر ان آخذ الزورق البخاري العتيق اذا لم يكن لديك

مانع . »

فقا الكولونيل : « مانع ؟ لست انا من يمانع . انا اصدر الاوامر

وأطيع الأوامر ليس غير . لا ، لست امانع . وداعاً ، يا حلوتي العزيزة

الفاتنة ا »

فقلت : « وداعاً ا »

كان في البرميل السندياني الفائر الذي كان من دأبهم ، في البندقية ، أن يتخذوا منه حجاً باً واقياً . والحجاب الواقي هو كل أداة تصطنعها لكي تحبىء القانص عما يحاول أن يقنصه . اي عن البط في هذه الحالة . كانت رحلة مائة مع الفتية ، منذ أن التقوا في المرأب ، وليلة سعيدة مع طعام ممتاز مطهون في المطبخ ذي المستوقد العتيق المكشوف . وركب ثلاثة من القناصة في المقعد الخلفي ، في طريقهم الى موطن القنص . وكان الذين لم يكذبوا قد اجازوا لأنفسهم مقداراً من المبالغة ، على حين كان الكذابون في أوج ازدهارهم .

ان الكذاب ، في اوج ازدهاره ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه ، بديع مثل شجرات الكرز ، او شجرات التفاح ، حين تكون منورة . ومن ذا الذي ينزع الى تثبيط كذاب من الكذابين ، كذلك فكر ، إلا اذا كان يعين لك موقع نقطة او خط وما اليها ؟

كان الكولونيل قد جمع الكذابين طوال حياته ، كما يجمع بعض الناس طوابع البريد . انه لم يصنّفهم الا موقتاً ، ولم يكنزهم في حرص حريص . لقد اكتفى بمجرد الاستمتاع ، على نحو كامل ، بسماعهم يكذبون في اللحظة العابرة ، الا اذا شمل الكذب شيئاً ذا صلة بالواجب ، طبعاً . واليلة البارحة راجت للكذب الصالح سوق حسنة بعد أن اديرت الـ « غرابتا » ؛ ولقد استمتع الكولونيل بذلك .

وكان الدخان المنبعث من نار الفحم المكشوفة قد انتشر في الحجرة ؛
لا ، لقد كان ثمة حطب ، كذلك قال في ذات نفسه . وعلى اية حال ،
فالكذاب يكذب على النحو الأفضل حين يكون ثمة قليل من الدخان ،
او حين تكون الشمس قد توارت بالحجاب .

وكان هو نفسه قد حاذى الكذب مرتين اثنتين ، ثم استعصم ،
واجترأ بمجرد المبالغة اني ارجو هذا ، كذلك فكر .
والآن ها هو ذا اللاغون^١ المنجمد الذي يفسد كل شيء . ولكنه لم
يُفسد شيئاً .

وفجأة اقبل زوج من البلبول^٢ ، من لا مكان ، وانحدرا بسرعة في
ضرب من الغوُص لم تقم بمثله اياما طائرة من الطائرات في اياما يوم ،
وسمع الكولونيل مسارهما الرائش وقتل الذئكر . لقد انطرح الطائر
الصريع على الجليد مرتطما به كأقسي ما تستطيع بطة أن ترتطم
بالجليد . وقبل أن يمسّ الأرض كان الكولونيل قد قتل انثاء ، التي كانت
تصعدّ طويلة العنق مسرعة .

لقد سقطت في محاذاة الذكر

واذن فهذه جريمة قتل ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه .
واي شيء ليس جريمة قتل في هذه الأيام ؟ ولكنك لا تزال قادراً ،
ايها الغلام ، على اطلاق النار . يا للجحيم ، ايها الغلام ، كذلك فكر .
ايها النغل المعجوز البالي . ولكن أنظر اليها الآن وهي تُقبل .
كانت من ذلك البط المعروف بالبط الأصلع ، ولقد أقبلت في سرب

١ - Lagoon المستنقع او البحيرة الضحلة ، وخاصة ما اتصل منها بالبحر والنهر أو
كان قريباً منها . (المرب)

٢ - pin-tail وهو نوع من البط . (المرب)

تراصت وحَدَانَهُ ثم انتشرت على غير طائل ، ثم تراصت من جديد
وشرعت البطة الخادعة التي على الجليد تتحدث اليها .

وقال الكولونيل في ما بينه وبين نفسه : دعها تستدير كرة اخرى .
أبقى رأسك منكساً ولا تحرك حتى عينيك . انها تعترم أن تفيد .

ووفدت على خير وجه ، وقد تحدثت الخداع اليها .
وفجأة مالت أجنحتها الى الهبوط كشأنك حين تخفض أهداب
شراع . ثم انها رأت انها انما تحط على جليد فهضت ، مصعدة .

ونفض القانص - الذي لم يكن الآن كولونيلاً ، او ايما شيء آخر
غير صياد بندقية في البرميل الخشي وأصاب بناره بطتين . لقد سقطتا على
الجليد بمثل الصلابة التي تسقط بها البطات الضخام تقريباً .

وقال الكولونيل : «حسي اثنان من اسرة واحدة . أم انها كانت
قبيلة واحدة ؟»

وسمع الكولونيل طلقة وراءه ، من حيث كان يعرف أنه لم يكن ثمة
اي حجاب آخر واقٍ ، فالتفت لينظر عبر اللاغون المنجمد الى الشاطئ
البعيد المكتنف بنبات الحلفاء .

إن هذه لتؤلف قبيلة ، كذلك فكّر .

كان سرب من البط البري ، الوافد على ارتفاع منخفض ، يحلّق
في السماء محتقاً غاضباً ، وقد بدت كل بطة منه في تصعيدها ، وكأنها
واقفة على ذيلها .

وبصّر بواحدة تهوي ، ثم سمع طلقة اخرى

كان المراكبيّ النكد يطلق النار على البطات التي كان خليقاً بها أن
تفيد على الكولونيل .

وقال الكولونيل : «كيف ، كيف أجاز لنفسه ان يفعل ذلك ؟»

كانت لدى الرجل بندقية رشّ يطلق منها النار على أيما طائر أعرج
يفر بنفسه الى حيث لا يستطيع الكلب أن يمسك به . وكان اطلاقه

النار على البطات الوافدة على حجاب الكولونيل الواقي يُعتبر ، في القنص ،
أسوأ شيء يستطيع امرؤ أن يفيظ به امرءاً آخر .

وكان المراكبيّ أبعد من أن يسمع أيما صيحة . ومن اجل ذلك
أطلق الكولونيل النار تجاهه مرتين . ان الشقة ابعدهُ من ان تجتازها
الرصاصات الصغار ، كذلك فكّر ، ولكنه سوف يعرف على الأقل أني
اعلم ما يفعل . علام هذا كله ، بحق الجحيم ؟ وفي قنص رائع التنظيم
مثل هذا ايضاً ؟ ان هذا القنص خير قنوص البط التي أُتيحت لي
عمري كله حسنَ تنظيم وبراعة تدير . ولقد استمتعت هنا بالقنص
اكثر مما استمتعت به في أيما يوم من أيام حياتي . فما الذي عرا ابن
العاهرة ذاك ؟

كان يعلم مدى الغضب الذي استبد به . وهكذا أخذ اثنين من
الاقراص ، وازدردهما بشرية من «جن» غوردون من قارورته ؛ اذ لم
يكن ثمة ماء .

وكان يعرف ان الـ «جن» يؤذيه . وقال في ذات نفسه : كل شيء
يؤذيني ما عدا الراحة وبعض التمرينات الرياضية الخفيفة جداً . حسن ،
الراحة والتمرينات الرياضية الخفيفة ، ايها الغلام . هل تحسب هذا تمريناً
رياضياً خفيفاً ؟

أنتِ يا تمثال الجمال ، كذلك قال في ذات نفسه . لشدّ ما أتمنى لو
كنتِ هنا الآن ، ولو كنا ضمن الحجاب المزدوج ، ولو استطعنا ان
نستشعر أعقاب منكبينا تتاسّ وتتلاقى ! إذن لكان خليقاً بي أن التفت
وأرغو اليك ، وإذن لسدّدتُ النار الى البطات الحلقات تسديداً موفقاً ،
إظهاراً لبراعتي وتباهياً بها ، وإذن لحاولت أن أسقط واحدة منها
في الحجاب الواقي من غير أن أدعها تمسك . سوف أحاول ان أسقط
واحدة هكذا ، كذلك قال ، سامعاً حفيف الأجنحة في الهواء . ونهض

واستدار ، وبَصُرَ بالذكر المفرد ، طويل العنق وسيّء ، وقد صفق بجناحيه مندفعاً في سرعة مرتحلاً نحو البحر . لقد رآه رشيقاً جلياً وفي السهاء وقد بدت الجبال وراءه . وواجهه ، وسدّد بندقيته اليه ، وضغط على زنادها ، فيها كان يرتد الى الوراء ما وسّعه الارتداد .

وهوى ذكر البط على الجليد ، خارج حدود الحجاب الواقي تماماً ، ولقد كسر الجليد عندما هوى . كان هو ذلك الجليد الذي سبق ان كُسِرَ لاقتلاع الطيور الخشبية الخادعة ، وكان قد انجمد كرة اخرى انجماداً خفيفاً . ونظرت البطة الداعية اليه وهو ينطرح على الجليد ، وازاحت قدميها .

وقال الكولونيل للبطة : « أنتِ لم تربيهِ في حياتكِ قط من قبل ، بل لست أعتقد انكِ رأيتِهِ يُقبل . برغم انكِ ربما رأيتِهِ . ولكنك لم تقولي شيئاً . »

كان ذكرُ البط قد هوى ناكس الرأس ، وكان رأسه تحت الجليد . ولكن الكولونيل استطاع ان يلمح الريش الشتوي الجميل على صدره وجناحيه .

لشدّ ما أتمنى لو اقدم اليها صورة مصنوعة من كامل ريش البط ، على نحو ما كان اهل المكسيك القدامى يفعلون تزييناً لآلهتهم ، كذلك قال في ما بينه وبين نفسه . ولكني احسب ان هذه البطّات يجب ان تمضي الى السوق ، ولن يكون ثمة من يعرف كيف يسلخها ، وكيف يدبغ جلودها على اية حال . ومع ذلك ، فخليق بتلك الصورة ان تكون جميلة ، وقد جعل ظهرها من جلد ذكور البط البري ، ورُسم على صدرها غصنٌ طريٌّ موشحٌ بخطّين طوليين من جلد الحدف الشتوي . وكل خط منها ينحدر فوق واحد من الثديين . انها سوف تكون صدرة فاتنة الى حد جهنمي ! أنا على اتم اليقين من انها سوف تعجبها .

١ - ضرب من البط البري .

وفكر الكولونيل : اني لأتمنى لو تطير . إن بعض البطات المحقاوات قد تفقد . ويتمين عليّ أن أبقى مستعداً لها اذا ما فعلت . ولكن أياً منها لم تفقد . فكان عليه ان يفكر .

ولم تنطلق من الحُجُب الأخرى اية طلاقات نارية ، على حين انطلقت بين الحين والحين ، من البحر طلاقات معدودات .

ومع سطوع الضياء امسى في استطاعة الطير أن ترى الجليد ، فكفت عن الوفود منطلقة ... بدلاً من ذلك - الى عرض البحر لكي تشكل طوفاً عائماً . وهكذا لم يعاود اطلاق النار ، وأنشأ يفكر من غير قصد ، محاولاً ان يكتشف ما الذي اوقع في قلبه حبها ، أول ما أوقعه . لقد عرف أنه لا يستحقه ، ولقد قبله بقبول حسن ، وعاش به ، ولكنه حاول - دائماً - أن يفهمه .

لقد كان السبب في ذلك ، مرةً ، جنديين من جنود الاسطول ، فيما كان يتمشى مع الفتاة في موهن من الليل . كانا قد «عاكساها» بالصفير ، وكان هذا - كذلك فكر - شيئاً لا ينطوي على كبير أذى ، وكان عليه ان يغض الطرف عنه .

بيد انه كان في ذلك الصغير معنى لا يدعو للارتياح . لقد أحس به قبل أن يعرفه . ثم عرفه معرفة اليقين ؛ ذلك بأنه وقف تحت مصباح ما لكي يكون في ميسورها أن يريا ما الذي يزّين كتفيه ، عساه يمضيان الى الجانب الآخر من الطريق .

كان ما زّين كتفيه نسراً صغيراً مبسوط الجناحين . كان مطرّزاً على السترة التي ارتداها بخيط فضي . انه لم يكن جلياً ، ولقد كان ثمة منذ عهد بعيد . ولكنه كان مرثياً .

وصفّر الجنديان البحران كرة اخرى .

وقال الكولونيل للفتاة : «إبقي هنا في محاذة الجدار اذا كنت راغبة في رؤية ما سيحدث ، وإلاّ أشيحي بوجهك .»

- «لها ضخمان فتیان .»

- «لن يظلاّ ضخمين طويلا ،» كذلك وعدما الكولونيل .

وتقدم الكولونيل نحو الصافرين .

وسألها : «أين خفركا الساحلي ؟ .»

فقال اضخم الرجلين : «ومن أين أعلم ؟ كل ما اريده هو نظرة»

طويلة الى السيدة .»

- «هل لأمثالكما من الناس أسماء وأرقام متسلسلة ؟»

- «وكيف لي أن أعرف ؟» كذلك قال واحد منها .

وقال الآخر : «حتى لو عرفت لما انبأت بذلك كولونيلاً غراً .»

إنه جندي عتيق ، كذلك فكر الكولونيل قبل أن ينقض عليه .

محامٍ بحري . يعرف حقوقه كلها .

ولكنه لكه بيسراه لكيات قاسية ، ولكنه ثلاث مرات فيا هو و

ينصرف لسيله

اما البحري الآخر ، الصافر الأول ، فردّ على الكولونيل بضربات

مكينة ، بالنسبة الى رجل ثمل ، فأقحم الكولونيل مرفقه في فمه ، ثم

سدده اليه - على ضوء المصباح - لكاة قوية بيده اليمنى . حتى اذا تم له

ذلك نظر الى الصافر الثاني ، ورأى ان كل شيء حسن .

ثم انه لكه بيسراه ، وغرس ذراعه اليمنى في جسده ، وبعد ذلك

سدده اليه يجمع كفه الأيسر لكاة اخرى ، ثم استدار ، وتقدم نحو الفتاة ،

لأنه لم يرد ان يسمع الرأس يرتطم بحصباء الطريق .

وألقى نظرة على الذي تلقى لكاته أولاً ولاحظ انه يرقد في سلام ،

ناكس الذقن ، وان الدم كان يتفجر من فمه . ولكنه كان لا يزال طبيعياً ،

كذلك قال الكولونيل في ما بينه وبين نفسه .

وقال للفتاة : «حسناً» هكذا تضيع حياتي أياً ما كان معنى ذلك .

ولكن هؤلاء الناس يرتدون سراويل مضحكة .»

فسألته الفتاة : « كيف انت الآن ؟ »
- « انا في حالة رائعة . هل شهدت المعركة ؟ »
« نعم . »

- « سوف أشكو ألماً في اليدين غداً صباحاً ، كذلك قال الكولونيل
شارد الذهن . « ولكني أحسب ان في استطاعتنا ان ننأى بنفسينا عن
هذا المكان . ولكن فلنمشِ على مهل . »

- « ارجوك ان تمشي على مهل . »

- « انا لم اقصد الى ذلك . لقد قصدت ان اقول : يحسُن بنا أن
لا نتعجل الرحيل . »

- « سوف نمشي بأبطأ ما يستطيع شخصان أن يتحدثا . »
ومشيا على ذلك النحو .

- « هل تريدان أن تقومي بتجربة ما ؟ »
« طبعاً . »

- « فلنمشِ بحيث تبدو حتى أعقابُ أقدامنا خطيرةً مخيفة . »
« سأحاول . ولكني لا احسب اني أستطيع ذلك . »

- « حسن . فلنكتفِ بمجرد المشي اذن . »

- « ولكن ألم يسدداً إليك ضربة ما ؟ »

- « أجل ، ضربة قوية واحدة خلف الأذن تماما . سددها اليّ الغلام
الثاني حين أقبل . »

- « أعلى هذا النحو يجري القتال ؟ »

- « حين يكون المرء محظوظا . »

- « وحين يكون غير محظوظ ؟ »

- « عندئذ تلتوي ركبتيك أيضاً . إما الى الأمام وإما الى الوراء . »

- « ألا تزال تبالي بي بعد أن خضت غمار تلك المعركة ؟ »

« انا احبك الآن اكثر مما احببتك من قبل بكثير ، اذا كان ذلك ممكناً . »

« أهو أمر متعذر؟ لو أمكن هذا اذن لكان رائئاً ! لقد أصبحتُ احبك اكثر منذ رأيت ذلك الشيء . أسائرةُ أنا ببطء كافٍ ؟ »

« أنتِ تسيرين مثل أيتل في الغابة ، وفي بعض الاحيان تسيرين مثل ذئب ، او مثل قيوطٍ ضخمٍ عجوز حين لا يكونُ معجلاً . »

« لست متأكدة من اني احب ان اكون قيوطاً ضخماً عجوزاً . »

فقال الكولونيل : « انتظري حتى ترَي واحدأ . وعندئذ سترغبين في ان تكوني مثله . انت تسيرين مثل جميع الحيوانات الضارية الكبرى حين تسير في رفق . ولستِ انتِ بحَيوان ضارٍ . »

« هذا شيء استطيع ان اعدك به . »

« تقدميني في المشي ، بعض الشيء ، حتى أستطيع ان ارى . »

ومشت أمامه ، فقال الكولونيل : « انت تسيرين مثل بطل رياضي قبل ان يصبح بطلاً رياضياً . ولو قد كنتِ فرساً اذن لاشتريتكِ ولو تعين عليّ أن اقترض المال بفائدة مقدارها عشرون بالمئة في الشهر الواحد . »

« لن يتعين عليك أن تشتريني . »

« اعرف ذلك . لم يكن هذا هو موضوع نقاشنا . كنا نتحدث عن مشيتكِ . »

فقالت : « قل لي ما الذي سيحل بدينك الرجلين ؟ هذا واحد من الاشياء التي لا اعرفها عن القتال . ألم يكن من واجبنا أن نبقي ونُغنى بها ؟ »

فأجابها الكولونيل : « لا ، على الاطلاق . تذكري هذا : على الاطلاق . ارجو ان يتقاسما صدمة عنيفة . ان في استطاعتها ان يُنتِننا . انها هما اللذان سببا الحادث . وليس ثمة قضية من قضايا المسؤولية المدنية . لقد

١ - cayote ضرب من الذئاب الاميركية . (المغرب)

كلنا كلنا مؤمنين . ليتني استطعت ان اخبرك شيئاً واحداً ، يا ريناتا ، عن القتال ! »

- « اخبرني ، ارجوك . »

- « اذا ما قدر لك ، ذات يوم ، ان تقاطعي فمندئذ يتعين عليك ان تكسي المعركة . هذا هو الشيء الوحيد ذو القيمة . وكل من بقي فهو كرنب او ملفوف ، كما عبّر صديقي القديم الدكتور روميل . »

- « هل احببت روميل حقاً ؟ »

- « حباً جداً . »

- « ولكنه كان عدوك . »

- « انا احب اعدائي ، في بعض الأحيان اكثر من اصدقائي . الاسطول كما تعلمين ، يكسب جميع المعارك التي يخوضها . ذلك شيء تعلمته في مكان يدعى مبنى البانتاغون^١ ، عندما كان لا يزال مجازاً لي ان أدخل ذلك المبنى من الباب الامامي . ان في استطاعتنا ، اذا شئت ، ان نتمشى عائدين في هذا الشارع ، او ان نجتازه في سرعة ونطرح هذا السؤال على ذينك الرجلين . »

- « اصدقك القول ، يا ريتشارد . لقد رأيت من القتال مقداراً يكفيني لهذه الليلة . »

- « وأنا ايضاً ، اذا اردت ان اصدقك القول . » قال الكولونيل ذلك ، ولكنه قاله بالاطالية ، ولقد استهل كلامه بـ Anche io^٢ ثم أضاف : « دعينا نذهب في جملة الأماكن التي نذهب اليها الى فندق هاري ، وبعد ذلك سأوصلك سيراً على الاقدام الى بيتك . »

١ - هو المبنى الذي يضم معظم دوائر الجيش الاميركي ، (المعرب)

٢ - وتمني بالاطالية: «وانا ايضاً» (المعرب)

- « ألم تؤذي يدك المعطوبة ؟ »
 فأوضح قائلاً : « لا . لقد قذفتُ بها مرةً الى الرأس ليس غير . أما
 في المرات الأخيرة فقد لكتُ بها الجسد . »
 - « هل تجيز لي ان المسها ؟ »
 ... « إذا وعدتني بلمسها في رفق . »
 - « ولكنها متورمة على نحو رهيب . »
 ... « ليس فيها ايما شيء مكسور ؛ وهذا الضرب من الورم من دأبه
 دائماً ان يتطامن . »
 - « هل تحبني ؟ »
 - « نعم . انا احبك بيدين متورمتين في اعتدال ، وبكل قلبي . »

١ - ينخفض وتزول حدته .

واذن فقد كان ذلك الحادث ، وربما كان ذلك اليومُ او ربما يومٌ آخر ، هو الذي اجترح المعجزة . ١ انك لم تكن في أيما يوم واثقاً من هذا ، كذلك قال في ذات نفسه . كانت المعجزة الكبرى قائمة ، ولم يكن هو قد عمل على تحقيقها شعورياً ، البتة . لا ، ولكنك يا ابن العاهرة ، كذلك فكر ، لم تقاومها قط .

كان الجو ابرد منه في ايما وقت مضى ، وعاد الجليد المغطم فانجمد كرة اخرى ، ولم ترفع البطة المفتررة حتى بصرها الآن . كانت قد هجرت الخداع ، في محاولة التماس السلامة .

يا لك من عاهرة ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . برغم ان هذا ظلم . انها حرفتك . ولكن ما الذي يجعل البطة اقدر على التفرير من ذكر البط ؟ ذلك امرٌ ينبغي ان لا يغيب عن فطنتك ، كذلك قال في ذات نفسه . وحق هذا غير صحيح . ولكن اي شيء ، بحق الجحيم ، هو صحيح ؟ ان ذكور البط ، في الواقع ، اقدر على التفرير والخداع .

والآن لا تفكر فيها . لا تفكر في ريناتا ، لأن ذلك لن يعود عليك بأي خير ، أيها الغلام . بل انه قد يكون مؤذياً لك ايضاً . ثم انك قلت لها كلمة الوداع . وما اروعها من كلمة وداع ! كانت كاملة بكل ما

١ - يقصد معجزة حبها له . (المرب)

في الكمال من معنى . ولقد كان خليقاً بريئاً أن تصعد معك ايضاً الى
العربة القلابة اللعينة . ما دامت عربة قلابة حقيقية . إنها صناعة جد وعرة ،
كذلك قال في ذات نفسه ، ان يجب المرء ثم يرحل . فالناس قد يصابون
من جراء ذلك بأذى .

من الذي اعطاك حقاً في معرفة فتاة مثل هذه ؟
لا احد ، كذلك اجاب . ولكن آندريا قدمني اليها .
ولكن كيف استطاعت ان تحب ابن عاهرة كئيباً مثلك ؟
لست ادري ، كذلك فكر صادقاً مع نفسه . اني ، في الحق ، لست
ادري .

انه لم يكن يدري ، في جملة ما كان يجمله ، ان الفتاة احبته لأنه لم
يكن في ايما صبح من أصباح حياته محزوناً ، سواء أكان ثمة هجوم أم
لم يكن ثمة هجوم . لقد ذاق الألم المبرح والأسى . ولكنه لم يكن في
ايما يوم من الايام محزوناً في الصباح .

ان الألم والأسى نادراً ما يبعثان المرء كذلك . ولقد عرفت الفتاة ،
برغم انها كانت فتاة صغيرة ، واحداً من هؤلاء عندما رأت واحداً .

وقال الكولونيل في ذات نفسه : انها الآن في البيت ، مستسلمة
للرقاد . ذلك هو المكان الذي ينبغي لها أن تكون فيه ، لا في أي من
حُجُب الصيد اللعينة هذه ، وقد انجمدت الطيور الخشبية الخادعة
من حولنا .

ومع ذلك ، فلشد ما أتمنى لو انها كانت هنا ، لو كان هذا الحجاب
الواقي مزدوجاً ، ولشد ما أتمنى لو كانت الى جانبي تنو الى الغرب ،
لحظة وقد سرب من اسراب البط . ولسوف يكون كل شيء جميلاً
اذا ما استشعرت دفناً كافياً ، ومن يدري ، فلعلني استطيع ان اشترى

من امرىء ما احدى هذه السنرات الحقيقية التي لم يبيعها قط احدٌ
من فاز بها . تلك السنرات التي وزعوها ذات يوم ، خطأ ، على رجال سلاح
الطيران .

في استطاعتي ان اكشف طريقة تضريب تلك السنرات ، وان اصنعَ
واحدةً من جلد البط المصيد هنا ، كذلك قال في ذات نفسه . وسوف
اعهد في تفصيلها الى خياط بارع ، وسوف نجعلها بصفي . أزرار ، من
غير ما جيب في الجانب الأيمن ، ونضع فوقها عصاة صيد من جلد
الشموه لكي لا يعلق عقبُ البندقية بها البتة .

سوف اصنعها ، كذلك قال مخاطباً نفسه . سوف اصنعها ، وإلا اخذت
واحدة من بعض المجان وفصلتها لها . ولكم اتنى لو آتيتها ببندقية جيدة من
نوع بوردي عيار ١٢ ، ليست بالحقيقة الى حد لعين اكثر مما ينبغي ،
أو بزوج من نوع « بوس » احدهما فوقية والأخرى تحتية . يجب ان
ازودها ببندق لا تقل جودةً عنها هي ؛ أنا احسب ان زوجاً من بوردي
هو خير ما ازودها به ، كذلك فكرت .

وفي تلك اللحظة بالذات سمع خفيف الأجنحة الرفيق ، وهي تصفتق
في الهواء خفيفةً رشيقة . فنظر الى فوق . ولكنها كانت محلقةً اكثر
مما ينبغي . لقد نظر الى فوق بعينه ليس غير . ولكنها كانت من
الارتفاع بحيث استطاعت ان ترى البرميل وتراه هو فيه وترى الطيور
الخشبية الخادعة المنجمدة مع البطة المكتئبة التي رأت هي ايضاً البطات
المحلقة فراحت تبطبط بقوة في مخادعتها الوفية . أما البطات ، وكانت
من بط البلبول ، فواصلت طيرانها نحو البر .

★ ★ ★

أما لم أعطيها في أي يوم شيئاً ، كما لاحظتُ هي ذات مرة . كان

ثمة رأس المغربي الصغير . ولكن هذا لا يفيد ايّ معنى . انها هي اختارته وانا اشتريته . وليست هذه هي الطريقة التي تقدم بها الهدايا .

ان ما احب ان اقدمه اليها هو الأمن ، الذي لم يعد يوجد البتة ؛ كلّ حي ، الذي هو شيء نافه ؛ كل ممتلكاتي الدنيوية ، التي هي شيء لا وجود له عملياً باستثناء بنديقتي صيد جيدتين ، وبذلاتي العسكرية ، والمدايات والاوزمة مع الاشارات بالبسالة وبعض الكتب . وراتب كولونيل متقاعد ايضاً .

إني أهبك كل ممتلكاتي الدنيوية ، كذلك قال في ذات نفسه . ولقد اعطتني هي حبها . وبعض الحجارة الصلبة ، التي ارجعتها ، والصورة الزيتية . حسناً ، ان في ميسوري دائماً أن أرجع الصورة اليها . كان في امكاني ان اقدم اليها خاتمي من V-M-I ، كذلك فكر ، ولكن اين بحق الجحيم أضعت ذلك الخاتم ؟

انها لن تكون في حاجة الى وسام «صليب الخدمة الممتازة» (D.S.C) مع نموذجه المعدني او الى مداليات وطنها . لا ، ولا الى مداليات فرنسا أو مداليات بلجيكة . او المداليات الزائفة . اذ لو احتاجت اليها لدل ذلك على انحراف عقلي .

من الخير لي ان أهبها حي ليس غير . ولكن كيف تستطيع ، بحق الجحيم ، ان تبعث به اليها ؟ وكيف تبقيه غصاً طرياً ؟ انهم لا يستطيعون ان يرزموه يجليد جاف .

لعلمهم يستطيعون . يتعين عليّ ان استطلع ، ولكن أنتى اجيء بمحرك الـ «جيب» اللعين ذاك الذي وعدتُ به ذلك الرجل المعجوز ؟

حلّ عقدة هذا ، كذلك قال في ذات نفسه لقد كان حلّ عقيد الأشياء هو صناعتك . ثم أضاف حلّ عقدة الاشياء حين كانت العدو يطلق النار عليك .

كنت أتمنى لو كان مع ابن العاهرة ذاك الذي يُقلّتي صيد البط
غدارة . وعندئذ كان في امكاننا ان نكتشف على جناح السرعة أيتها
يستطيع حل عقدة الاشياء حتى في برميل حقير في ارض سبخة حيث لا
يقوى المرء على المناورة . سوف يكون عليه ان يقترب لكي يصيبني
بناره .

كُفّ عن هذا ، كذلك قال في ذات نفسه ، وفكّر في فتاتك .
انت لا تريد ان تقتل ايما امرىء بعد اليوم . البتة .

لمن تلمّح بهذا ، كذلك خاطب نفسه . هل تريد ان ترشح نفسك
كمسيحي ؟ في استطاعتك ان تقوم في هذه السبيل بمحاربة أمينة . وخلق
بفتاتك ان تحبك اكثر لو سلكت هذه الخطة . ولكن هل انت واثق
من ذلك ؟ لست ادري ، هكذا قال في صراحة . انا اقسم بالله اني لا
ادري .

لعلك سوف تصبح مسيحياً في خاتمة المطاف . اجل ، كذلك قال ،
لعلك أن تصبح مسيحياً . من ذا الذي يريد أن يراهن على ذلك ؟
- « أتريدن ان تراهنى على ذلك » كذلك سأل البطة الخادعة . ولكنها
كانت رافعة بصرها الى السماء ، خلفه ، وكانت قد استهلت الصفير
المُقوّقي .

وأقبلت اسراب البط محلقة اكثر مما ينبغي ، ولم تحوم البتة . لقد
اكتفت بأن خفضت أبصارها وواصلت اندفاعها نحو البحر الفضاء .

لا ريب في انها تنجو بنفسها الى هناك ، كذلك فكر الكولونيل .
لعل قانصاً في زورق مسطح القعر يحاول الآن أن يصبوب اليها النار
خلسة . ولسوف تكون محجوبة عن الريح ، حين تهبّ ، وليس من
شك في أن شخصاً ما يصبوب الآن اليها النار خلسة . حسناً ، وعندما
يطلق ذلك الشخص رصاصه سيرتد بعضها عائداً من هنا . ولكن ما دام

الجليد مُهَيِّمًا فأحسب ان عليّ ان انصرف بدلاً من أن أمكث هنا
مثل رجل معتوه .

لقد قتلتُ عدداً منها كافياً ، ولقد رميت احسن ما استطيع الرماية
او احسن مما استطيع الرماية . الى الجحيم بـ «أحسن» الثانية هذه . ان
احداً لا يرمي احسن منك ، هنا ، ما عدا آلفاريتو ، وهو شاب
ويطلق النار في سرعة اعظم . ولكنك تصيد عدداً من البط اقل مما
يصيده كثير من الرماة الاردباء وغير البارعين .

أجل ، أنا ادري ذلك ، وأدري لماذا ، ونحن لم نعد مجرد جنود ذوي
أرقام ، ولقد اطرحنا الكتاب ايضاً ، هل تتذكر ؟

لقد تذكّر كيف شئت معجزة من معجزات الحظ في الحرب ان
يكون مع احب اصدقائه اليه ، في ساحة المعركة في «الأردن» Ardennes
وكانا يطاردان العدو .

كان ذلك في اوائل الخريف ، فوق مرتفع من الارض شامخ ذي
طرق وشعاب ، وكانت الاشجار صفصافاً قصيراً وصنوبراً . وكانت
آثار دبابات العدو وعجلات سياراته تبدو جلية في الرمل الندي .

كان المطر قد هطل في اليوم السابق ، ولكن السماء كانت الآن قد
اخدت تصفو ، وكانت الرؤية حسنة ، وكان في استطاعتك ان ترى جيداً
عبر الريف السامق المتعوج كله ، وكان هو وصديقه يستأنفان ارجاءه
بنظاريها في دقة بالغة وكأنها منهيكان في صيد من الصيد .

وكان الكولونيل ، الذي كان آنذاك جنرالاً ومساعد قائد لفرقة
عسكرية ، يعرف الآثار الفردية لكل عربة مقطورة من العربات التي
كانوا يقتفونها .

١ - جمع شعب ، بكسر الشين ، وهو الطريق في الجبل .

ولقد عرف أيضاً متى خرجت العربات العدوة من حقول الالفام
وعدد الطلقات الجماعية التي بقيت لها تقريباً . وكان قد تصور أيضاً
ان تعين عليهم ان يقاتلوا قبل ان يبلغوا خط زيفريد . كان واثقاً
من انهم لن يقاتلوا في اي من هذين الوطنين ، ولكنهم سوف ينطلقون الى
طبيتهم^١ في سرعة جنونية

وقال لصديقه الأعز : « لقد أوغلنا في التقدم بأكثر مما يليق بأمثالنا
من أصحاب الرتب العسكرية العليا ، يا جورج . »

— « لقد تخطينا الحد ، أيها الجنرال . »

-- « لا بأس » كذلك كان الكولونيل قد اجابه . « والآن سوف
نطرح الكتاب ونطارده العدو الى الابد . »

فقال صديقه الأعز : « ليس في ميسوري ان اوافق على شيء اكثر
من موافقتي على هذا . لأنني وضعت الكتاب بنفسني ولكن لنفرض
أنهم تركوا شيئاً هناك ؟ »
وأشار الى موطن الدفاع المنطقي .

وكان الكولونيل قد قال : « انهم لم يتركوا اي شيء هناك . فلم يبق
لديهم ذخيرة كافية حتى للقتال بالاسلحة النارية . »

— « كل امرئ يظل على صواب حتى يثبت خطأه ، » كذلك قال
صديقه الأعز ، ثم اضاف : « ايها الجنرال . »

فقال الكولونيل : « أنا على صواب . » وكان هو على صواب ، أيضاً
برغم انه في حصوله على معرفته المضبوطة لم يحقق الروح الكاملة لميثاق
جنيف الذي زعم انه يهين على عملية الحرب .

وكان صديقه الأعز قد قال : « فلنطاردهم مطاردة حقيقية . »

— « ليس ثمة ما يعوقنا البتة ، وانا زعيم لك بأنهم لن يتوقفوا في
اي من ذينك الوطنين . أنا لم أفز بذلك من اي جندي نمساوي

١ — طية المرء : المكان الذي يقصد اليه .

أيضاً . هذا من بنات افكاري . »

وسرّح طرفه في الريف كرة اخرى ، وسمع حفيف الريح تخلّل الأشجار ، واستروح نبات الخلنج تحت حذاءيهما المسكرين ، وألقى نظرة اخرى على آثار المعجلات في الرمل النديّ ، وكان هذا هو خاتمة تلك القصة .

ليت شعري ، هل ستحب ريناتا ذلك ، كذلك قال في ما بينه وبين نفسه . لا ، انه يظهرني امامها بمظهر الالمية ، اكثر مما ينبغي . ومع ذلك ، فمن الخير ان اكلف شخصاً آخر رواية ذلك على مسمعيها وتميز اعتباري لديها . ان جورج هو الشخص الوحيد الذي كان في إمكانه ان يرويها لها ولكنه لا يستطيع ذلك . انا واثق ، ثققي من الجحيم ، انه لا يستطيع ذلك .

لقد كنت على جادة الصواب اكثر من خمسة وتسعين بالمئة من الوقت ، وهذه نسبة من الاصابة عالية الى حد جهنمي حتى في شيء هين كالحرب . ولكن تلك الخمسة بالمئة التي هي نسبة الخطأ تستطيع من غير ريب أن تكون شيئاً .

أنا لن احدثك أبد الدهر عن ذلك ، يا بنيتي . انها مجرد ضجة مسموعة خلف المسرح في قلبي . قلبي الدجاجي الحقيير . ان ذلك القلب النفل لم يستطع أن يجاري خطواتي .

ومن يدري ، قلعله ان يستطيع ، كذلك قال في ذات نفسه ، واخذ قرصين من تلك الاقراص وجرعة من الـ «جن» ، ونظر عبر الجليد الرمادي .

اني سوف ادعو ، الآن ، تلك الشخصية المتجهمة الى الاقتراب من الشاطئ . وجمع ادوات الصيد ، وسأمضي الى البيت الريفي او الى الكوخ ، كما احسب ان عليّ ان اسميه . لقد انتهى القنص .

وكان الكولونيل قد اوعز الى المراكبي بالتقدم الى الشاطئ بأن نهض واقفاً في البرميل الغائر ، مطلقاً عيارين نارين نحو السماء الخالية ، ثم ملوِّحاً له بيده نحو الحجاب الواقي .

وأقبل المركب وتبدأ ، كاسراً الجليد طوال الطريق . وجمع الرجل الطيور الخشبية الخادعة ، وأمسك بالبطة الداعية ، ووضعها في كيسها ، والكلب ينزلق على الجليد ، ثم جمع البط المقتنص . كان غضب المراكبي قد خمد في ما يبدو ، وحل محله ارتياحٌ حقيقي . وقال للكولونيل : « لقد اصطدت عدداً قليلاً جداً »

- « بمساعدتك . »

كان ذلك كل ما قالاه ، ووضع المراكبي البطات في عناية ، وصدورها إلى أعلى ، فوق مقدم الزورق . وناوله الكولونيل بندقه و صندوق الخرطوش ومقعد القنص فوضعها في الزورق .

ودخل الكولونيل الزورق ، واستلم المراكبي الحجاب الواقي ، وفكّ الأداة الجيّبة الشبيهة بالمتزر والمدلاة في داخل الحجاب الواقي لحمل القذائف . ثم إنه دخل الزورق أيضاً ، وشرعا يبتعدان عن الشاطئ في ببطء وجهد ، مجتازين الجليد الى مياه القناة السمراء الجارية . وجذّف الكولونيل بمثل النشاط الذي جذّف به حين أقبلا للقنص . ولكنها عملاً معاً الآن - في أشعة الشمس الساطعة ، وجبال الثلج إلى شمالها ،

وخطُ نبات الحلفاء الذي يميز القناة امامها - في تناغم كامل .
ثم إنها انتهت الى القناة ، مبتعدين على نحو متكسرٍ عن بقية الجليد
الباقية . وفجأة غمرها الضياء ، ودفع الكولونيل المجداف الكبير الى
المراكبي ، وقعد كان العرق يتصبَّب من جسمه .

واتخذ الكلب ، الذي كان يرتعد عند قدمي الكولونيل ، سبيله فوق
حافة المركب متشبِّثاً بها ببرائته حذر السقوط ، وسبح الى ضفة
القناة . ثم انه نفص الماء عن سترته البيضاء المتسخة ، واندفع نحو أجمة
نبات الحلفاء الأسمر ، وراقب الكولونيل تقدمه الى موطنه من خلال
حركة الأجمة . إنه لم يتناول لقائه البتة .

وإذ استشعر الكولونيل العرق يتصبب من جسده ، برغم ادراكه انه
كان في نجوة من الريح بفضل سترته العسكرية ، فقد تناول من العلبه
قرصين اثنين ، واخذ رشفة «جن» من قارورته .

وكانت القارورة مسطحة ذات كساء فضي وغطاء من جلد . وتحت
الغطاء الجلدي ، الذي كان بالياً وملطخاً ، نُقِشت في جانب ما ، هذه
الكنيات : « الى ريتشارد من ريناتا ، مع الحب » . إن أحداً لم يرَ هذا
النقش قط غير الفتاة ، والكولونيل ، والرجل الذي نقشه . والقارورة
لم تُنقش حيث اشترت . لقد كان هذا في الأيام الاولى ، كذلك
فكر الكولونيل . أما الآن فمن يبالي ؟

وفي أعلى سداة القارورة اللولبية نُقِش : « من ر . الى ر . س . »
وقدم الكولونيل القارورة الى المراكبي الذي نظر اليه ، والى القارورة ،
وقال : « ما هذا ؟ »

- « غراباً انكليزية . »

-- « سوف أجرّبها . »

وأخذ منها جرعة طويلة ؛ ذلك النوع من الجرعة التي تعود الفلاحون

أخذه من قارورات الخمر .

- «شكراً .»

- «هل وُفِّتْ إلى صيد سمين؟»

- «لقد اقتنصت أربع بطات . ووجد الكلب ثلاث بطات تصيدها

إناس آخرون .»

- «لماذا اطلقت النار؟»

- «أنا آسف لإطلاق النار . لقد فعلت ذلك في سورة غضب .»

لقد فعلت أنا ذلك في بعض الأحيان ، هكذا قال الكولونيل في ذات نفسه . ولم يسأله علام كان غضبه .

- «يؤسفني أنها لم تطرُ على نحو أفضل .»

فقال الكولونيل : «تلك هي الطريقة التي تجري بها الأشياء .»

وكان الكولونيل يراقب الحركة التي قام بها الكلب في العشب العالي ونبات الخلفاء . وفجأة لمح يتوقف ؛ لقد جمد في مكانه لا يريم . ثم إنه وثب . كانت وثبة عالية ، وغوصة إلى أمام وإلى أدنى .

وقال للمراكبي : «لقد عثر على بطة جريح .»

وناداه المراكبي : «بوبي ! إيتِ بها ، إيتِ بها !»

وتحرك نبات الخلفاء ، وانقلب الكلب عائداً وبين فكّيه ذكرُ بطّ برّي وكان عنقه الأبيض الرمادي ورأسه الأخضر يترنحان علواً وسفلاً كما يتحرك ثعبان من الثعابين لقد كانت حركة من غير أمل .

واندفع المراكبي بزورقه نحو الشاطئ اندفاعاً قوياً .

- «سوف أخذه أنا ، كذلك قال الكولونيل . ثم اضاف : «بوبي !»

وأخذ ذكر البط من بين فكّتي الكلب المسكين به في غير إحكام فألفاه سليماً لم يُمس ، ورفع به بإحدى يديه فوجده وسيماً بهيئ الطلعة ، وقد راح قلبه يخفق وبدا اليأس على عينيه الأسيرتين .

ونظر الكولونيل إليه في حنان ، ملاحظاً إياه كما يلاطف المرء جواداً .

وقال : « انه مصابٌ في جناحه ليس غير . سوف نحفظ به لنستعين به على صيد امثاله او لنطلق سراحه في الربيع . هيا ، خذه وضعه في الكيس مع البطة . »

وأخذه المراكبي في رفق ووضع في الكيس الخيشي الذي كان تحت مقدم السفينة . وسمع الكولونيل البطة تتحدث اليه . او لعلها كانت تحتج ، كذلك قال في ذات نفسه . انه لم يستطع ان يفهم حديث البط من خلال كيس خيشي .

- « خذ جرعة من هذا » كذلك قال للمراكبي . « إنه يوم قارسٌ الى حد لعين . »

وتناول المراكبي القارورة ، واخذ جرعة أخرى طويلة .
وقال : « أشكرك . إن هذه الغرابا جيدة جداً ، جداً . »

وعند المهبط ، أمام البيت الحجري الطويل المنخفض القائم على ضفة القناة ، كان البطل ملقىً على الأرض في صفوف منظمة .

لقد رُصِفَ مجموعاتٍ غير متكافئة . وكان ثمة عدد قليل جداً من الفصائل ، ولم يكن سرايا البتة ، أما انا - كذلك قال الكولونيل في ما بينه وبين نفسه - فلا اكاد املك شزيمة صغيرة .

وكان كبير حرس الصيد واقفاً على الضفة بجذائه العالي الساق ، وسترته القصيرة ، وقبعته العتيقة المردودة الى الوراء ، ولقد ألقى نظرة ناقدة على عدد البطات التي كانت فوق مقدم المركب فيما هما يتقدمان في محاذاة الشاطئ .

وقال الكولونيل : « كان الجليد غالباً على موقعنا . »

وقال كبير الحرس : « لقد قدّرت ذلك . انا آسف . لقد 'ظن' أنه افضل المواقع . »

- « من كان مجتلياً في القنص ؟ »

- « لقد قنّص البارون اثنتين واربعين . كان ثمة تيارٌ ضعيف هناك أبقى المياه جارية فترة من الزمن . ولعلك لم تسمع اطلاق الرصاص لأنه كان مضاداً للريح . »

- « وأين افراد الجماعة ؟ »

- « لقد مضوا جميعاً ما خلا البارون الذي ينتظر عودتك . ان سائقك نائم في البيت الريفي . »

فقال الكولونيل : « لست أستغرب ذلك . »

- « أنشر هذه نشرأ حسناً ، » كذلك قال كبير الحرس للمراكبي الذي كان هو أيضاً حارس صيد . « اريد أن اذكرها في سجل القنص . »
.. « هناك ذكر بط أخضر الرأس في الكيس . وهو غير مصاب إلا في جناحه . »

- « حسن ، سوف أعنى به عناية جيدة . »

- « سوف ادخل وأرى البارون إني سأراك في ما بعد . »

فقال كبير الحرس : « يتعين عليك ان تدفء نفسك . لقد كان نهراً قارساً جداً ، يازعيمي . »

واتخذ الكولونيل سبيله الى باب البيت الريفي .

وقال للمراكبي : « سوف اراك في ما بعد . »

فقال المراكبي : « نعم ، يا زعيمي . »

كان ألفاريتو ، البارون ، واقفاً على مقربة من نار المستوقد المكشوفة في وسط الحجرة . فابتسم ابتسامة الخجول وقال في صوته ذي الطبقة الحفيزة :

- « أنا آسف لأنك لم توفّق إلى صيد أفضل . »

- « لقد استبد بنا الصقيع استبداداً كاملاً . وعلى اية حال فقد

استمتعت بالذي كان ثمة الى حد بعيد . »

- « هل تستشعر برداً شديداً ؟ »

- « ليس اكثر مما ينبغي . »

- « في ميسورنا أن نطعم شيئاً ما . »

- « شكراً . انا لست جائعاً . هل أكلت ؟ »
- « نعم . لقد مضى الآخرون ولقد تركتهم يأخذون سيارتي . هل تستطيع ان تنقلني بسيارتك الى لا تيزانا او الى ما وراءها بقليل ؟ ان في استطاعتي ان اجد هناك وسيلة من وسائل المواصلات . »
- « من غير ريب . »
- « كان من العار ان يغلب الصقيع على موقعك . فقد كانت الآمال كبيرة في ان توفق الى صيد سمين . »
- « لا بد انه كان ثمة في الخارج عالمٌ من البط كامل . »
- « نعم . ولكن اسراب البط هذه لن تلبث بعدُ وقد اصاب الصقيع طعامها . انها سوف تكون الليلة في سبيلها الى الجنوب . »
- « هل ستذهب كلها ؟ »
- « ستذهب كلها . ما عدا بطننا المحلي الذي يتوالد هنا . إنها سوف تلبث ما بقي ثمة ايما مياه غير منجمدة . »
- « انا آسف لإخفاق رحلة القنص . »
- « وأنا آسف لأن تكون قد قطعت هذه المسافة كلها من أجل هذا العدد الضئيل من البط . »
- فقال الكولونيل : « أنا احب القنص دائماً . وأحب مدينة البندقية . »
- وأشاح البارون ألفاريتو بوجهه وبسط يديه نحو النار . وقال :
- « اجل . نحن كلنا نحب البندقية . ولملك تحبها اكثر منا جميعاً . »
- ولم يسترسل الكولونيل في الحديث عن هذه النقطة ، بل قال : « انا احب البندقية كما تعلم . »
- فقال البارون : « اجل ، أعلم . » ولم ينظر الى ايما شيء . ثم اضاف :
- يتعّين علينا أن نوقظ سائقك . »
- « هل اكلَ ؟ »
- « لقد اكل ونام ، واكل ونام . ولقد قرأ بضع صفحات من بعض

المجلات المصوّرة التي حملها معه . »

فقال الكولونيل : « بعض المجلات الهزلية المصورة . »

فقال البارون : « يتعين علي أن اروض نفسي على مطالعتها . » وابتسم ابتسامته الحبية القائمة . « هل تستطيع أن تأتيني ببعضها من تريستا ؟ »

فأجابه الكولونيل : « أيّ مقدار منها تشاء . ابتداءً من تلك التي تصوّر الانسان الأمثل الى تلك التي تصوّر كل ما هو متعذر التصديق . طالعها بالنيابة عني . اسمع ، يا ألفاريتو ، ما خطب مراقب الصيد ذاك الذي جذّف مركبي ؟ لقد بدا وكأنه يكنّ لي بعض الحقد ، منذ البدء . . . وخلال الرحلة كلها أيضا . »

- « مردّد ذلك الى السترة العسكرية القديمة . إن بزة الحلفاء تثيره على هذا النحو . »

- « تابع . »

- « حين اقبل المغاربة الى هنا اغتصبوا زوجته وبنته . »

فقال الكولونيل : « من الخير لي ان آخذ جرعة . »

- « هناك شيء من الغرابا على المائدة . »

كانا قد انزلا البارون من السيارة في دارة ذات بوابة ضخمة ، ومجاز
معبّد ، وبيتٍ شاه حسن حظه - اذ كان على مبعدة ستة اميال أو
يزيد عن اياما هدف عسكري - ان ينجو من قذف القنابل .
وكان الكولونيل قد قال كلمة الوداع ، وكان ألفاريتو قد دعاه الى
الوفود عليه والاستمتاع بالقنص في اياما «ويك أند» ، يشاء ، أو في كل
«ويك أند» .

- « اوافق انت من انك لن تعرّج علينا الآن؟ »

- « لا يتعين عليّ أن ارجع الى تريستا . هل لك ان تحمل حيي
الى رينانا؟ »

- « سوف افعل . هل هذا الذي لفقته في مؤخرة السيارة صورتها
للزيتية؟ »

- « نعم . »

- « سأقول لها انك وفقت الى صيد سمين وان الصورة الزيتية في

حال جيدة . »

- « وحيي ايضاً . »

- « وحبك ايضاً . »

- « وداعاً Ciao ، يا ألفاريتو ، واشكرك شكراً جزيلاً . »

- « Ciao ، يا زعيمى . اذا كان في امكان المرء ان يقول ciao

١ - نهاية الاسبوع .

لكولونيل . »

- « لا تعتبرني كولونيلاً . »

- « ذلك عسير جداً . الى اللقاء ، يا زعيمة . »

- « في حال ايما طارىء غير مرتقب هل لك ان تسألها ان تسترد

الصورة الزيتية من فندق غريتي ؟ »

- « نعم يا زعيمة . »

- « هذا كل ما هنالك في احسب . »

- « الى اللقاء ، يا زعيمة . »

كانا قد أمسيا على الطريق ، الآن ، وكان الفسق قد اخذ يهبط .
وقال الكولونيل : «إنعطف يساراً .»

فقال جاكسون : « هذه ليست الطريق المفضية الى تريستا ، يا سيدي .»

- « الى الجحيم بالطريق المفضية الى تريستا مر لقد أمرتك بأن تنعطف يساراً . هل تحسب ان هناك طريقاً واحدة ، في العالم ، للذهاب الى تريستا ؟»

- « لا ، يا سيدي . كل ما اردته هو أن ألفت نظر الكولونيل الى ...»

- « لا تلفت نظري الى شيء لعين . وربما اصدر اليك أمراً مغايراً لا تخاطبني إلا اذا خاطبتك .»
« نعم ، يا سيدي »

- « انا آسف ، يا جاكسون . ما اعنيه هو اني اعرف الى اين انا ذاهب ، واني اريد ان افكر .»
« نعم يا سيدي .»

كانا الآن ينطلقان في الطريق القديمة التي عرفها جيداً ، وقال الكولونيل في ذات نفسه : حسناً ، سوف ابعث بأربع من البطات التي وعدتُ بها الى من وعدتهم بها في فندق غريقي . إن الصيد لم يكن غزيراً بحيث

يتوفر لزوجة ذلك الغلام قدر من الريش تستطيع ان تفيد منه .
ولكنها كلها ضخمة وسمينة ، ولا ريب في ان القوم سيجدون في اكلها
متعة بالغة . لقد نسيت ان اقدم اللقائى الى «بوي» .

ولم يكن لديه متسع من الوقت لكتابة مذكرة الى ريناتا . ولكن
ما الذي استطيع ان اقله ، في مذكرة ، مما لم نقله مشافهة ؟

وهد يده الى جيبه ، فوجد إضامة ورق وقلماً . وأضاء المصباح
الخاص بقراءة الخرائط ؛ وبيده المعطوبة راح يكتب رسالة صغيرة
بمحروف كبيرة منفصلة .

- « ضع هذه في جيبك ، يا جاكسون ، واعمل وفاقها عند الضرورة .
واذا ما حدثت الظروف الموصوفة فيها يصبح ذلك واجب التنفيذ» .
فقال جاكسون : « نعم ، ياسيدي » ، ويأخذى يديه أخذ الأمر
المطوي ووضعه في جيب سترته العلوي الأيسر .

والآن هوّن عليك ، كذلك قال الكولونيل في ذات نفسه . إن كل
همّ إضافي قد يستبد بك سوف تكون انت محورَه ، وهذا مجرد ترف .
انت لم تعدّ ذا غناء لجيش الولايات المتحدة . لقد أوضح لك ذلك
إيضاحاً لا لبس فيه .

ولقد قلت كلمة الوداع لفتاتك ، ولقد قالت لك هي كلمة الوداع .
وهذا بسيط من غير ريب .

لقد اجدت القنص ، وأنفارتو يفهم . هذا واضح .

وإذن ، فأني شيء بحق الحميم يتعين عليك أن تقلق من اجله ، أياها
الغلام ؟ انا ارجو أن لا تكون مثل اولئك الاغرار الذين يلقون
لما قد يصيبهم حين لا يكون في اليد حيلة . فلنرج ذلك حقاً .

وفي تلك اللحظة بالذات ألمت به النوبة ، وكان غني مثل اليقين من
انها سوف تفعل ، منذ أن جمعا البطات الخشبية الخادعة .

ان ثلاث نوبات قلبية لقادرة على وضع حد لحياة الانسان . ولقد منحوني اربعاً . لقد كنت دائماً ابن عاهرة محظوظاً . «
وألمت به من جديد عنيفة قاسية .

وقال : « جاكسون ، هل تعلم ما قاله الجنرال توماس ج . جاكسون في احدى المناسبات ؟ . . في مناسبة موته المنكود : لقد حفظته عن ظهر قلب ذات يوم . انا لا استطيع أن أتحمل مسؤولية دقة ذلك القول ، طبعاً ، ولكنهم يروونه على هذه الصورة : « مروا أ . ب . هيل بالاستعداد للمعركة . » وتلا ذلك هذيان اضافي . ثم قال : « لا ، لا ، دعونا نعبّر النهر ونزقده في ظل الاشجار . »

فقال جاكسون : « هذا جدّ طريف ، يا سيدي . ولا بد ان يكون ستونول جاكسون ' هو صاحب ذلك القول ، يا سيدي . »

وشرع الكولونيل يتكلم ، ولكنه أمسك عن ذلك بينا اصابته النوبة للمرة الثالثة ، واستبدت به استبداداً عرف معه انه لن يستطيع الحياة بعد . وقال الكولونيل : « جاكسون . انعطِف الى جانب الطريق وأُنزِر اضاءك الخاصة بالوقوف . هل تعرف الطريق الى تريستا من هنا ؟ »
- « نعم ، يا سيدي ، عندي خريطة . »

- « حسن . سوف امضي الآن الى المقعد الخلفي الواسع من هذه السيارة اللعينة ، المترفة ، الضخمة الى حد التطرف . »

وكانت هذه الكلمات هي آخر ما قاله الكولونيل في حياته . ولكنه بلغ المقعد الخلفي في غير مشقة وأوصد الباب . لقد أوصده في عناية وإحكام .

١ - هو توماس جوناثان Thomas jonathan المعروف بستونول جاكسون Stonewall Jackson (١٨٢٤ - ١٨٦٣) وكان قائداً اميركياً اتحادياً في الحرب الاهلية الاميركية .
(المغرب)

وبعد فترة ، قاد جاكسون السيارة هابطاً الخندق والطريق المكتنفة من جانبيها بشجرات الصفصاف ، وقد أثار أضواء السيارة الكبيرة ، وانشأ يبحث عن مكان ينعطف عنده . واخيراً امتدى الى مكان ، فانعطف في أناة . حتى اذا أمسى على الجانب الأيمن من الطريق ، منعطفاً جنوباً نحو ملتقى الطرق الخليق به ان يُبلغه الطريق العامة المفضية الى تريستا ، تلك الطريق التي كان يألفها ، أضاء مصباح الخرائط واخرج الأمر المطوي من جيبه وقرأ :

« في حال وفاقي تعاد الصورة الزيتية الملقوفة وبنديني
«الرشّ التي في السيارة الى فندق غوتي ، البندقية ،
«حيث ستطالب بها مالكتها الشرعية :
«التوقيع : ويتشارد كانتويل ، كولونييل ، سلاح
«المشاة ، الولايات الاميركية المتحدة» .

— « انهم سوف يعيدونها ، على احسن وجه ، من طريق بعض القنوات .
كذلك قال جاكسون في ذات نفسه ، وأطلق العنان للسيارة .

(انتهت)